الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

مولود قاسم نايت بلقاسم

نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية

1927-1992

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ

تخصص : الحركة الوطنية

إعداد الطالب: تاحي اسماعيل

إشراف الدكتور: خمري الجمعي

لجنة المناقشة

العضو	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د/ع الكريم بوصفصاف	أ.التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري – قسنطينة
د. ا لجمعي خمري	أ.محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة باتنة
أ.د/ عبد الرحيم سكفالي	أ.التعليم العالي	مناقشا	جامعة منتوري – قسنطينة
د/ صالح لميش	أ.محاضر	مناقشا	جامعة المسيلة

السنة الجامعية:

1427هـ 1428 هـ/ 2006 م - 2007 م

الإهـداء

يسعدني وأنا أضع اللمسات الأخيرة في هذا العمل أن أتقدم بإهداء إلى :

روح والدي الطاهرة والى أمي التي سهرت كثيرا حتى أنجز هذا العمل

والى زوجتي التي وقفت بجانبي طيلة هذه الفترة .

والى أخوتي واخواتي الذين لم يبخلوا بمساعدتهم الجمة وانتظروا إنهاء هذا البحث بفارغ الصبر.

والى روح الأستاذ الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم

تاحي إسماعيل

شكـر وتـقـديـر

لما كان من نبالة المقصد وشرف الأخلاق أن يتقدم المرء بالشكر
والاعتراف بالجميل لمن كانوا عونا له في مسيرته رأينا أن نتقدم بالشكر
إلى كل من كان سببا في إنجاز هذا البحث وتخص بالذكر منهم :
الأستاذ المشرف الدكتور الجمعي خمري الذي لم يبخل علينا بنصائحه
وتوجيهاته الرشيدة.
والى :
جمعية مولود قاسم نايت بلقاسم التي وقفت بجانبنا خلال مسيرة هذا البحث
.
والى غضبان فارس الذي عمل على إخراج هذا العمل في أحسن وجه .

تاحي إسماعيل

المقدمة

التعريف بالموضوع :

لقد أنجبت الجزائر في خضم مسيرتها التاريخية والثقافية والحضارية رجالات شتى إن على المستوى العسكري مثل الأمير عبد القادر أو على المستوى الثقافي التربوي مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة أو على المستوى السياسي مثل السياسي القدير الصيدلي فرحات عباس .

والجزائر كما هو معروف لدينا أمة ولودة ، مثلها مثل الأمم التي أعطت لشعوبها قيادات سارت بأحلام وأماني هذه الشعوب إلى النصر والتتويج فالمعروف تاريخيا أن الأمة الجزائرية وعبر مراحلها التاريخية أعطت لنا العديد من الشخصيات الفذة والقيادية ويعد مولود قاسم في رأينا على الأقل من هذا الفصيل الذي تعتز به الجزائر الحاضرة لدوره القيادي الثقافي والسياسي لفترة قاربت الخمس عقود .

فخلال هذه الفترة صال وجال مولود قاسم في الميدان الثقافي والسياسي باحثا عن الارتقاء بالأمة الجزائرية إلى مصاف الأمم القوية والمتطورة ، وخلال دراستنا لهذه الشخصية وقفنا على حقائق دامغة تنم عن إرادة فولاذية لهذا الرجل الذي كافح وناضل من أجل القضية الوطنية السياسية منها والثقافية و تصفية تاريخ هذه الأمة من الشوائب التي علقت به إبان الفترة الاستعمارية المظلمة هذا من جهة ومن جهة أخرى ،فان عمل هذا الرجل كان يتطلع به إلى تمكين الأمة الجزائرية المكانة الطبيعية واللائقة بين أمم الدنيا وهذه المهمة لم تكن بالأمر الهين في جميع مراحلها ومستوياتها فقد تكبد من أجل ذلك الكثير من المتاعب و المشاق في سبيل القضية التي تبناها طوال مسارها النضالي.

ومن هنا حق علينا الاهتمام بمآثر هذا الرجل وتتبع مساره النضالي السياسي منه والثقافي والاجتماعي لنتمكن من الوجهة البحثية الموضوعية الحكم له أو عليه وهذا بإتباع المنهج العلمي الأكاديمي الذي لا يختلف فيه اثنان ،بل لا نكون مبالغين إذا قلنا أن نتائج البحث الموضوعي هي التي تحتكم إليها الحكمة الموضوعية و العلمية.

وبعد الإطلاع على الرصيد الفكري و العلمي و الثقافي الذي تركه مولود قاسم من خلال كتبه و محاضراته الكثيرة ارتسمت لنا المكانة التي احتلها في الدولة الوطنية سياسيا و ثقافيا خلال العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال وتبين لنا حجم التأثير الذي تركه على ميادين الفكر و الثقافة والتاريخ من خلال مواقف ورؤى تستحق الدراسة وربما النقد و الإثراء ومن هذه الزاوية ارتأينا إبراز مكانة ودور هذا الرجل سياسيا و ثقافيا ومناقشة موقفه المتميز من الهوية الجزائرية وذلك من خلال بحثنا الموسوم بـ : مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية .

دوافع اختيار الموضوع

لقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع جملة من العوامل دفعتني إليه دون غيره من المواضيع وهي كالآتي :

1-اعتقادي أن هذه الشخصية لم تنل حقها من الدراسة التاريخية الموضوعية وذلك يرجع إلى غياب الاهتمام بهذه الشخصية ،فحسب علمنا أن ما كتب عن مترجمنا لا يتعدى محاولتين:

- المحاولة الأولى : الكتاب الذي يعرف بسيرة الرجل ومساره النضالي وهو في الحقيقة مجموعة مقالات وشهادات كتبت في مناسبة تأبين مترجمنا زيد إليها مقابلات أجرتها معه صحف وطنية مختلفة وقد جمعت كلها تحت عنوان: مولود قاسم نايت بلقاسم حياة و آثار ،شهادات و مواقف من تأليف الدكتور أحمد بن نعمان ومن إصدار دار الأمة سنة 1996.

- أما المحاولة الثانية :فهي كتاب الأستاذ محمد الصالح الصديق الذي جاء تحت عنوان :خواطر و ذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم و ضمنه المؤلف مجموع الخصائص و الميزات التي اتسمت بها هذه الشخصية.

-أما عن الدراسات الجامعية حول هذه الشخصية فقد انحصرت حسب علمنا في عمل واحد وهو بحث لنيل درجة الماجستير في الدعوة و الإعلام بجامعة الأمير عبد القادر من إعداد الطالب **جوهري بوعلام** وكانت بعنوان: البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم.

و قد ركزت الرسالة على الجانب الدعوي في فكر مولود بلقاسم و لم تتناول بالتفصيل نضال الرجل في الحركة الوطنية و الثورة وفترة الاستقلال الوطني.

2-أما الدافع الثاني فيتمثل في محاولة إزالة الغموض الذي اكتنف شخصية مولود بلقاسم نتيجة أطروحاته الفكرية الجريئة وتميز موقفه تجاه مقومات الهوية الجزائرية في مكوناتها وترتيبها الشيء الذي جعله عرضة لمختلف التصنيفات فالبعض يصنفه مرة من دعاة التجديد الإسلامي وآخر يحشره في تيار المنادين بإحياء الثقافة العربية وصوت ثالث لكنه خافت يذكر بأن لمولود قاسم ميول بربرية من وراء إحيائه التراث الجزائري البربري.

3- إلى جانب هذا فإن هدفنا هو إبراز المكانة النضالية البارزة لمولود قاسم في الحركة الثورية وكذا المناصب السامية التي تقلدها في سلطة الدولة الوطنية وهو ما جعله علما من أعلام الحركة الوطنية و مسؤولا ومفكرا متميزا في الحقل الثقافي الجزائري خلال الثلاثين سنة بعد الاستقلال.

4- لعل ما زادني رغبة و إلحاحا في دراسة هذه الشخصية هي تلك الذكريات الجميلة التي علقت بذهني أيام كنت طالبا في المرحلة الثانوية ففي إحدى الزيارات لبلدتي – قلعة بني حماد- وقف مولود قاسم يردد كلمات مثل الأصالة و التمسك بالثقافة الوطنية وسمو الأمة الإسلامية فظلت هذه العبارات عالقة بذهني فأردت في هذه الدراسة المتواضعة أن أغوص في مصادرها و منابعها وهذا لا يأتي إلا بدراسة تراث مولود قاسم دراسة علمية أكاديمية .

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية البحث في نقطة مركزية تتمثل في إبراز شخصية مولود قاسم كنموذج من المثقفين الجزائريين المتفتحين على الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية عن طريق استعراض أهم جوانب سيرة هذه الشخصية وكذا مرجعيتها الفكرية و السياسية ، لنصل إلى السؤال المحوري : ما حقيقة مولود قاسم في خضم الأطروحات الفكرية التي عاشتها الجزائر إبان الفترة الاستعمارية والفترة الأولى من الدولة الوطنية؟

وهذا السؤال المحوري يحملنا إلى طرح أسئلة جانبية :

- ما مدى مساهمة مولود قاسم في تحرير الفكر الجزائري في مواجهة ثالوث :المسخ و الفسخ و النسخ ؟!
- ما هي القنوات التي استخدمها مولود قاسم في طرح أفكاره ؟
- ما مدى صدى هذه الأطروحات الفكرية في الساحة الجزائرية ؟
- كيف تعامل مولود قاسم بذكاء مع خصومه الذين يسميهم يتامى الثقافة و أنصاف المتعلمين!؟
- بما تميز مولود قاسم عن المثقفين المشكلين للحقل الثقافي الجزائري فيما يخص مواقفه من الهوية الجزائرية ؟

مناهج البحث :

من أجل الإجابة عن التساؤلات المطروحة و التحكم في الموضوع استلزمت الدراسة إتباع المناهج التالية :

1- المنهج التاريخي الوصفي : اعتمدته في عرض الوقائع و تتبع الأحداث التاريخية و سـردها كرونولوجيـا خصوصاً و أن الموضوع يتناول فترتين أساسيتين : فترة الحركة الوطنية و الدولة الوطنية .

2- المنهج التحليلي :وقد اتبعته عندما قمت بعرض وتحليل ثم تصنيف المادة العلمية حسب كل مرحلة مـن مراحل البحث .

3- المنهج الإحصائي :طبيعة الموضوع خاصة في فصله الثالث تطلبت مني استخدام هذا المنهج من خـلال توظيف جداول إحصائية خاصة فيما يتعلق بالتعليم الأصلي .

4- المنهج المقارن :استخدمته في توضيح المواقف المختلفة من العديد من القضايا في البحث كقضية الأصالة ،التاريخ الوطني و غيرها من القضايا .

حدود البحث :

ينحصر موضوع البحث بين الفترة الممتدة من 1927 - 1992 .

يمثل التاريخ الأول 1927 ميلاد مترجمنا وقد جاء ذلك في مرحلة حافلة بالأحداث والأطروحات الفكرية كما أنها كانت تمثل مرحلة حرجة بالنسبة لمصير هذه الأمة التي كانت مهددةً بالزوال و الانسلاخ عن الأمة العربية وهذا في حد ذاته يعد نقطة أساسية لتحديد حدود الدراسة ،بينما التاريخ الثاني 1992 فهو يمثل اختفاء و رحيل مولـود قاسم عن الساحة الثقافية و السياسية بوفاته في مرحلة كانت حرجة و صعبة في تاريخ الجزائـر المعاصـر تميـزت بالأحداث التي عرّضت الأمة إلى التشتت و الانقسام و كادت أن تصل بها إلى الانهيار .

صعوبات البحث:

مثل كل باحث فقد واجهتني صعوبات جمة يمكن حصرها فيما يلي :

1-قلة المصادر و المراجع حول هذه الشخصية مما جعلني ألجأ إلى المقابلات مع عائلته ومع من عرفوه عن قرب في سنوات الدراسة بالزيتونة و بالقاهرة ومع من ربطتهم مع مترجمنا علاقات العمل في الوزارة وفي المجلس الأعلـى للغة العربية.

2-الصعوبة الكأداء التي واجهتني هي كون الأرشيف الذي يتناول الشخصيات الوطنية ما زال بعيدا عن تناول الباحثين بحكم أن هذه الشخصيات مازالت على قيد الحياة أوحديثة الوفاة وهذا ما زاد في صعوبة التحكم في مناحي و جوانب و أغوار هذه الشخصية .

3-صعوبة تبويب المادة الخبرية لاتساع وتشعُب وتعدد المجالات التي خاض فيها مولود قاسم، فثقافته الموسوعية جعلته يطرق المواضيع التاريخية و الفلسفية و الدينية ،و تنقله من موضوع إلى آخر كلفني القراءة و الاستنتاج لفترة غير قصيرة .

4-طبيعة الموضوع الذي تناولته الذي يتوزع بين اختصاص التاريخ و علم الاجتماع و الاختصاص الديني و كذا علم النفس مما صعب تصنيف هذه الشخصية تصنيفاً دقيقاً داخل الحقل الثقافي الجزائري .

وصف أهم مصادر البحث :

لانجاز هذا البحث اعتمدنا على عدد كبير من المصادر والمراجع المتنوعة وباللغتين العربية والفرنسية وتمثلت في الكتب والدوريات والوثائق والصحف والموسوعات ،والقواميس ونستطيع تقسيم هذه البيبليوغرافيا إلى :

1- **المصادر** : متنوعة وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام وهي الكتب التي ألّفها مترجمنا إضافة إلى الدوريات ومجلدات ملتقيات الفكر الإسلامي والصحف ومصادر وثائقية وإصدارات من مختلف أجهزة الدولة ،ويمكن إبراز هذه المصادر كالتالي:

أ- **الكتب** :

- إنية وأصالة .
- أصالية أم انفصالية .
- مآثر فاتح نوفمبر .
- شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830.

وهي الكتب التي أرّخت لفكر مولود قاسم و مواقفه إزاء قضايا الوطن و الأمة و لخّصت مجالات اهتمامه وعالجت إشكاليات عديدة كإشكالية الدولة و الأمة و إشكالية التاريخ و الهوية .

ب- **الدوريات** :وهي متعددة أهمها مجلة **– الأصالة** - التي كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية والتي احتوت على عشرات المقالات لمترجمنا باعتبارها القناة الإعلامية الأولى للوزارة يضاف إليها مجلة **– الثقافة**- التي تصدرها وزارة الثقافة ومجلدات ملتقيات الفكر الإسلامي من الملتقى الرابع سنة 1970 إلى الملتقى الثالث عشر سنة 1979 وغيرها من المجلات التي احتوت على مقابلات هامة و جريئة مع مولود قاسم حول الموضوعات المطروحة على الساحة الوطنية.

ج- **الوثائق**: وهي الأخرى عديدة أهمها:

- ميثاق طرابلس جوان 1962.
- الميثاق الوطني 1976.
- وثائق صادرة عن وزارة التربية الوطنية.

2-**المراجع** : رغم قلتها فقد اتسمت بالتنوع وهي تغطي معظم جوانب البحث وقد قسمتها إلى :

أ :**المراجع بالعربية** : أهمها " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف للدكتور أحمد بن نعمان وتضمن الكتاب التعريف بحياة ومسار الرجل وبعض شهادات من عرفوه في الدراسة وفي المسؤولية وجاءت على شكل مقالات و تغطيات صحفية وندوات تأبينية أقيمت لإحياء ذكرى الفقيد ، وكتاب "خواطر و ذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم" و " أعلام من المغرب العربي " وكلاهما للأستاذ محمد الصالح الصديق وقد احتوى الكتابان على الكثير من المآثر والمواقف التي رصدها المؤلف وهي تدعم وتزكي بعض المضامين الواردة في فصول الرسالة.

ب - **المراجع الأجنبية** : وهي قليلة مقارنة بالمراجع العربية لكنها غنية من حيث المضمون و الطرح وكان وجودها قد أضفى على الموضوع تنوعا و تعددا لوجهات النظر ومن أبرزها كتاب :الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية. Les Etudiants Algériens De L'université française لـ: Guy Perville

وقد تضمن تاريخ الطلبة الجزائريين منذ البدايات الأولى إلى غاية الثورة التحريرية ،إضافة إلى كتاب " المدرسون الجزائريون" " Les instituteurs Algériens " للمؤرخة FANNY COLONA حيث تطرقت فيه إلى وضعية التعليم و السياسة الفرنسية في هذا الميدان وهو ما يخدم الرسالة في فصليها الأول و الثاني إلى جانب هذا فقد اعتمدت على كتاب : الإسلام و الفكر المعاصر في الجزائر Islam Et Pensee Contemporaine En Algérie لـ: LUC- WILLY DEHELUVES وقد تناول العديد من القضايا ذات الارتباط المباشر بنشاط مترجمنا في الدولة الوطنية خصوصا في التعليم الأصلي و مجلة الأصالة

3-المقابلات :وهي التي أجريتها مع العديد من الشخصيات التي عرفت و عايشت مترجمنا في مختلف فتراته من مرحلة الطفولة و التعليم الديني إلى التعليم الجامعي، أو في ساحة النضال أثناء الكفاح التحريري أو في معترك الثقافة والسياسة بعد الاستقلال ،فكان من بينهم الاستاذ محمد الصالح الصديق والدكتور أبو القاسم سعد الله ويحي بوعزيز والدكتور محمد العربي ولد خليفة والشيخ محمد الطاهر آيت علجت ،كما مكنتني الرحلات التي قمت بها إلى مسقط راس مترجمنا – **بلعيال** – ومختلف القرى المجاورة من الالتقاء بعائلته وقدماء الطلبة الذين تعلموا معه في المدارس القرآنية ومختلف الزوايا ومدرسة التربية والتعليم ببني عباس.

خطة البحث:

سمحت لنا المادة الخبرية التي جمعناها حول الموضوع بتقسيمه إلى مقدمة وتوطئة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وقوائم للبيبليوغرافيا وفهارس للإعلام و الأماكن والمنظمات.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع ، دوافع اختياره،الإشكالية المراد مناقشتها ثم وصفنا المناهج المتبعة في معالجة الموضوع، وتطرقنا فيها أيضا للصعوبات التي اعترضتنا خلال انجاز هذا البحث .

وفي الأخير قدمنا وصفا للأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

في التوطئة تكلمنا عن مولود بلقاسم كنموذج للمثقف أو النخبوي ودوره في المجتمع .

الفصل الأول :" أضواء على حياة مولود قاسم " ويشمل ثلاثة مباحث وهي :

- **المبحث الأول** : تناولت فيه المولد والنشأة .
- **المبحث الثاني** : فقد خصصته للتعليم بمختلف مراحله ابتداءا من الكتاتيب مرورا بالزوايا والتعليم الباديسي وانتهاءً بالتعليم الجامعي .
- **المبحث الثالث** : تعرضت فيه الى آثار مولود بلقاسم ممثلة في مجموع كتابات مولود قاسم التي تناولتها بشيء من الدراسة والتحليل والتصنيف .

الفصل الثاني : "دور مولود قاسم في الحركة الوطنية " وتعرضت فيه الى مختلف المحطات النضالية لمترجمنا ، وقد تضمن مبحثين :

- **المبحث الأول** : وقد حاولت من خلاله ابراز دور مولود قاسم في حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ابتداءاً من تونس في 1946 مرورا بنضاله في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة وانتهاء بانضمامه الى فيدرالية حركة الانتصار للحركات الديمقراطية بباريس.

- **المبحث الثاني** : تطرقت فيه الى دور مولود في الدعوة للثورة التحريرية ثم تمثيلها في البلدان الاوربية بداية من نشاطه في صفوف الطلبة بباريس وبراغ ، ثم استقراره في بون بـــالمانيا حيث يكلف بنيابة الوفد الدائم للحكومـــة المؤقتة وينقل بعدها الى سويسرا والبلدان الاسكندنافية .

الفصل الثالث :" دور مولود قاسم في الدولة الوطنية " وقد حاولت أن ابين فيه نظال مترجمنـــا في مواقـــع المسؤولية من وزارة الخارجية الى وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، وتناولت في هذا الفصل مبحثين :

- **المبحث الأول** : وفيه حاولت اظهار مواصلة مولود قاسم للنظال في ظل الدولة الوطنية الفتية بنفس حمـــاس الثورة انطلاقا من مواقع وجبهات عديدة كان أهمها جبهة اعطاء استقلال الجزائر مفهومه الحقيقـــي واســـترجاع الشخصية الجزائرية المتميزة .

- **المبحث الثاني** : وتطرقت فيه الى ملتقيات الفكر الإسلامي التي عمل مولود قاسم على تجديدها وتطويرهـــا كمنبر للاسلام الصحيح ، كما تضمن المبحث التعليم الاصلي الذي أشرف عليه مترجمنا وحاولت تبيين دور معاهد هذا التعليم في المحافظة على الشخصية الجزائرية الأصيلة ، كما تطرقت أيضا الى مجلة الاصالة واستعرضت المحـــاور الاساسية الكبرى التي تناولتها المجلة واظهارها كمنبر حر في التعبير عن الكثير من القضايا الفكرية والعقائدية والتاريخية بشيء من التحليل العلمي الرصين .

الفصل الرابع : "نظرة مولود قاسم للهوية الجزائرية " وقد ركزت فيه على رؤية مولود قاسم للهوية الجزائرية ومكوناتها وترتيبها محاولا اظهار عناصر التميز في هذه الرؤية عن المثقفين المشكلين للحقل الثقافي الجزائري ، وقـــد قسمت الفصل الى مبحثين :

- **المبحث الأول** : وفيه تناولت مفهوم الهوية عند مولود قاسم واعتماد مفهوم الإنية الذي يستخدمه مترجمنـــا ورأينا من الضروري العودة الى واقع الجزائر في ظل النظام الاستعماري لربط نضال مولود قاسم في هـــذا الســـياق بنضال النخبة الجزائرية في تلك الفترة .

- المبحث الثاني : استعرضت فيه مكونات الآنية لدى مولود قاسم وترتيبها بداية من الدين الإسلامي ثم اللغة العربية والتاريخ المشترك وانتهاء بالوطن الجزائري.

انهينا البحث بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المستخلصة من خلال استعراض مسيرة الرجل ومواقفه من قضية الهوية الجزائرية وقد دعمنا الرسالة بمجموعة من الملاحق التي تثري الموضوع و تتكون من نماذج من كتاباتـــه الأولى إضافة إلى رسوم بيانية توضح بعض القضايا التي عالجناها في فصول الرسالة ،ولتسهيل مهمة القارئ وضعنا قائمـــة ببيلوغرافية ومجموعة من الفهارس التوضيحية ،وفهرس عام للمواضيع.

الطالب:تاحي إسماعيل

باتنة في : 20 أكتوبر 2006

الفصل الاول:

أضواء على حيــاة مولــود قاســم

1-المولد والنشأة:

2-تعليمه

أ-من الأسرة إلى كتاتيب القرية

ب-في المدرسة الفرنســية

ج-زاويــة تمقـــرة

د-التعليمي الباديســـي

هـ-الانتقال إلى الزيتونــة

و-الانتقال إلى مصـــر

3-آثار مولود قاسم الأدبية والفكرية

أضواء على حيـــــاة مولـــــود قاســـــم

إن دراســـة شخصيـــة مولـــود قاســـم نايـــت بلقاســـم و إسهامـــاته الوطنية والثقافية في الجزائر إبـــان الفتـــرة الكولونياليـــة .ومـــا بعـــدها يفـــرض على الباحث التعـــرض بالحديث عن تاريخ الشخصـــية و البيئـــة الاجتماعية و الثقافية التي نشـــأ فيهـــا لما هذه البيئة من تاثير على مكونات هذه الشخصية وتوجهاتهـــا الفكريـــة والفلسفية والايديولوجية.

1- المـــولـــد و النشـــأة :

ولـــد مولود قاسم " نايت بلقاسم في اليوم السادس من يناير عام 1927 "" في قرية بلعيال """ بلديـــة آقبو المختلطة ببجاية ، أبوه محمد السعيد (محمد أو سعيد) و أمـــه حفصة بايموث [1] و كان لمترجمنا أخوان يكبرهما سنا وهما على التوالي : (علي وعبد الله) وكان مترجمنا بمثابة الراعي والمشرف على شؤونهم المادية والمعنوية .

و قـــــد كانـــت هـــذه الأســـرة متواضعـــة في المال و العلم لكنـــها عرفـــت بمناهضتهـــــا للمحتـــــل فالجديـــر بالذكـــر أن عائله مترجمنا كانت شاركت في انتفاضة الأخوين المقراني و الحداد سنة 1871 ****

و بعد انكسار الثورة تعرضت العائلة إلى الإجراءات التعسفية و القمعية التي حكمت بها سلطة الاحتلال علـــى كل من شارك في حمل السلاح و إتباع الإخوان الرحمانيين وتراوحت هذه الاجراءات بين العقوبات المالية والنفـــي والسجن[2].

و كانـــت النتيجـــة أن أصبحت عائلة مولود قاسم في وضع يمكن تشبيهه بالفاقة الكبرى مثلـــه مثل العديد من العائلات المحانة التي فقدت الرجال و فقدت الأرض و المال و أصبحت تعيش خارج الدائـــــرة الاقتصـــادية و الدائرة الحضارية التي أوجدتها البورجوازية الفرنسية في الجزائر [3] بل لا نبالغ إذا قلنا أن الكثير بل جـــل العـــائلات الجزائرية أصبحت خادمة للبرجوازية الأوربية هذه الأخيرة حملت السكان الأصليين إمـــا على الاستمرار في خدمـــة المستعمر أو الهجرة إلى فرنسا طمعا في تحسين حالتهم الاقتصادية و الاجتماعية [4].

" حسب الحالة المدنية فإن الاسم الكامل لمترجمنا هو مولود قاسم أضاف إلى اسمه الشخصي الاسم المستعار " قاسم " و ذلك منذ انخراطه في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946 فأصبح الاسم طويلا : مولود قاسم نايت بلقاسم و قد لازمه طول حياته

"" صادف يناير في تلك السنة شهر ربيع الأول من التاريخ الهجري و كان التقليد الساري في القرية و في كثير من قرى المنطقة تسمية المواليد الذكور في هذا الشهر باسم " مولود "

""" تسمى القرية بلعقال أو بلعيال واصل التسمية عربي فهي مشتقه من : أبو العيال مقابلة مع الأستاذ محمد الصغير بلعلام بالمجلس الإسلامي الأعلى العاصمة يوم 12 جانفي 2005 ، وهي قرية جبلية ذات مسالك وعرة تشتهر بإنتاج الزيتون و الملح تبعد عن الطريق الوطني 35 كلم و عن مقر الولاية 110 كلم ، عدد السكانها 900 ن ، زيارة قمنا بها إلى القرية بتاريخ 14 جوان 2004 .

[1] - مقابلة مع علي نايت بلقاسم في بلعقال يوم 14 جوان 2004

**** -المقراني : هو محمد بن أحمد المقراني الباشاغا وكان ابوه أحمد خليفة على منطقة واسعة تشمل البرج والمسيلة وبجاية وحتى بسكرة توفي أبوه عام 1853 فعين خليفة لأبيه بتاريخ 1864 ،أما الحداد فهو محمد أمزيان بن علي بن الحداد ويكنى بابن الحداد ولد في صدوق سنة 1790 تلقى التصوف عن الشيخ الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية بالجزائر :يحي بوعزيز محاضرة القيت في ملتقى مقاومة الشيخ الحداد و المقراني ،دار الثقافة ،محمد بوضياف برج بوعريريج 2004.

[2] - مقابلة مع يحي بوعزيز فندق الاوراسي الجزائر 29 مارس 2005

[3] - Charles Robert Ageron , Les Aleriens Musulmans Et La France 1871 – 1919 , Paris Presse Universitaire De France , 1968 p .102

[4] - Ibid . p 77

و تعـــــد منطقـــة القبائل و بلعقال تحديدا مثالا القرى و البلدات التي اندفعت منها موجات الهجرة المبكـــرة بعد انتكاسه ثورة 1871* إلى غاية الفترة المتأخرة من الاحتلال الفرنسي[1] وهذه الأسباب موضوعية.

لقـــد حملت حالة الفقر و الحرمان والد مترجمنا _ محمد السعيد _ إلى التفكير في الهجرة إلى فرنســـا إقتـــداءا بأقرانه من سكان منطقة بلعقال تاركا وراءه عائلة تعولها سيدة لا حول و لا قوة لها و كان عليها أن تكد من أجل إعالة أبنائها الثلاث و تعليمهم ريثما يأتي المدد من قبل الوالد فيما وراء البحر أي بلاد فرنسا كحال الكـــثير مـــن الجزائريين الذين لم يجدوا سوى اللجوء للهجرة والعمل في المصانع الفرنسية [2].

تعليمــــــــــه :

تلقى مولود قاسم تعليمه في عدة مدارس و عرفت مسيرته العلمية عدة مراحل ساهمت كلها في تشكيل ثقافتـــه و توجهاته فيما بعد .

المرحلـــة الأولـــــى : من الأســـرة إلى كتاتيـــب القريـــــة

التحق الطفل مولود قاسم بالمدرسة القرآنية بالقرية شأنه في ذلك شأن بني جيله فعند بلوغ الطفل سن الرابعة أو الخامسة **من العمر ترسله العائلة إلى الكتاب للتعلم و الأخذ بمبادئ القراءة و الكتابة و حفظ جزء مـــن القـــرآن الكريم [3] .

فجلـــس مترجمنا إلى الشيخين محمد أمقران شقار و محمد أقسوح و قد أخدعنهما مبـــادئ العلـــم و تلقـــى سورا من القرآن الكريم [4] .

و الحـــــق أن الروايات التي رجعنا إليها تجمع أن التلميذ مولود قاسم كان مواظبا في دروسه في الكتاب مكنه ذلك و في سن مبكرة من أن يحفظ خمسة عشر حزبا من القرآن الكريم [5] .

---

[1] - Charles Robert Ageron , Les Aleriens Musulmans Et La France 1871 – 1919 ,op-cit . p 207

*- من ابرز الثورات الشعبية التي اندلعت بالجزائر ضد السياسة الاستعمارية القائمة على مصادرة الاراضي وفرض الضرائب الباهضة على السكان اضافة إلى اذلالهم والحط من شرف العائلات الكبرى ،وكان انتقام الفرنسيين بعد انتكاسة الثورة كبيرا تمثل في اصدار مئات الاحكام بالاعدام والنفي والمصادرة ،ينظر : يحي بوعزيز ،المرجع السابق ،ايضا السعيد بورنان :شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)ج1،ط2 ،دار الأمل للطباعة والنشر ،الجزائر 2002.

[2] - علي نايت بلقاسم المقابلة السابقة .

**-يلتحق الطفل في هذا السن بالمسجد حيث يقوم يوميا مع آذان صلاة الفجر يحمل معه قليل من التين أو القمح ليضعها أمام شيخ المسجد و يواصل الطفل تعلم القراءة و الكتابة و حفظ القرآن إلى السادسة من العمر ليلتحق بالمدرسة الفرنسية و إذا لم توجد في القرية يكمل دراسته في المسجد

[3] - يحي بوعزيز المقابلة السابقة .

[4] - مقابلة مع محمد الصغير بلعلام بالمجلس الإسلامي الأعلى يوم 12 جانفي 2005..

[5] - علي نايت بلقاسم المقابلة نفسها .

المرحلــــة الثانيــة : في المدرســة الفرنسيــة

عندمـــا بلغ مولود قاسم سن السادسة و هي السن القانونية للالتحاق بالمدرسة الفرنسية إجباريا التي كانـــت تلزم الآباء بإرسال أبنائهم إلى المدرسة * أو التعرض لغرامة مالية [1] فكان التلميـــذ مولـــود بلقاســـم يلتحـــــق بالمدرســـة القرآنية في الصباح الباكر مع صلاة الفجر و عند حلول الساعة الثامنة إلا الربع صباحا نجده يســـرع للالتحاق بالمدرسة الفرنسية ** و هكذا كان التلميذ مولود قاسم في هذه السن المبكرة يتلقى نوعين من التعليم :

1 - التعليــــم العربي الحر المتمثل في الكتاب .

2 - التعليــــم النظامي الرسمي الممثل في القسم الفرنسي ***

و إذا كـــان في الظاهـــر أنه من الصعوبة أن يتلقى التلميذ نوعين من الثقافة فإن هذا الوضع كان ســـائدا في الجزائر إبان الفترة الكولونيالية و في كثير من المناطق و في المقام الأول بلاد القبائل * التي حظـــتها الإدارة الفرنسية بالتعليم الذي تشرف علية الإرساليات التبشيرية [2].

و مهمـــــا يكن فقد أظهر التلميذ مولود قاسم نبوغا ملاحظا سواء في المدرسة القرآنية كما سلـــف الـــذكر أو المدرسة الفرنسية حيث نجده يتقدم في التحصيل بالنسبة لأقرانه بل كان يحصد النتائج الأولى و هذا بفضـــل جـــده و اجتهاده الملفت للنظر حيث قال والده ذات مرة [3] " إني أخاف عليه من كثرة القراءة " و هذا إن دل على شـــيء فإنما يدل على تفاني التلميذ في دراسته و تحصيله

---

* راهنت المؤسسة الاستعمارية على نجاعة تثقيف أبناء الأهالي لمحاولة دمجهم بعد أن أدركت أن سلاح القمع و الابادة لم يعد مجديين و من هذا المنطلق فرض التعليم الفرنسي الذي تحول إلى غزو ثقافي هدفه خلق كيان تابع لفرنسا ، أنظر : عبد الله حمادي : الحركة الطلابية الجزائرية (1871 - 1962) (مشارب ثقافية وايدولوجية) منشورات الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين قسنطينة 1994 ص ص 86 ، 87

[1] - Charles Robert Ageron , Histoire De L'Algérie Contemporaine , Paris : P,U,F,1964,P,57

** تقع هذه المدرسة في أعالي القرية و هي أول مدرسة فرنسية في القرية أنشئت سنة 1904 و قد جلبت لها السلطات الاستعمارية المعلمين من مدينة برج بوعريريج و وضعت مباشرة تحت إشراف الجيش الفرنسي ، مقابلة مع الأستاذ محمد الشريف بن الشيخ مسرح بجاية 9 سبتمبر 2004

*** هذا النوع من التعلم يخدم أهدافا استعمارية من خلال المضامين و البرامج المعتمدة لأعداد أجيال جزائرية تحمل في نفسيتها عقلية القابلية للاستعمار و تؤمن بإيديولوجيته و تتبنى أفكاره و هو بذلك لا يخرج عن دائرة تكوين فصيل مخلص و مطيع للسادة الرأسماليين و في هذا صرح أحد الوزراء الفرنسيين عام 1914 قائلا " يحب تعليم الجماهير الإفريقية من أجل المصلحة الاقتصادية أنظر : دولتر رودني : أوربا و التخلف في إفريقيا : ترجمة أحمد القصير ، مراجعة د .إبراهيم عثمان ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت ديسمبر 1988

*كان الاستعمار الفرنسي قد ركز جهوده على القبائل بوجه خاص محاولا التشكيك في أصل سكانها بإدخال تحريفات و مغالطات على تاريخهم و انتمائهم للأمة العربية الإسلامية حتى يسهل عليه ابتلاعها و دمجها في الوطن الفرنسي ، أنظر : الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائرين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945 (دراسة تاريخية و ايديولوجية مقارنة) منشورات المتحف الوطني للمجاهد ص 130 ، كذلك : الدكتور صلاح العقاد ، المغرب العربي (الجزائر ،تونس المغرب الأقصى) ط3 المكتبة الانجلو مصرية القاهرة 1969،ص 168.

[2] - عمر عسوس ، بربر الجزائر و التعريب ، دراسات عربية عدد 1، 2 ، دار الطليعة بيروت نوفمبر ، ديسمبر 1995 ص 13

[3] - علي نايت بلقاسم المقابلة السابقة .

و رغم صغر سنه فقد أظهر في هذا السن المبكرة علامات النبوغ فقد كان كثير الأسئلة إلى درجة الإزعاج و قد أشار إلى تلك المرحلة بقوله :[1] " درست بالمدرسة الفرنسية حيث كانوا يلقنوننا أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا و أن أجدادنا هم الغاليون قدماء فرنسا ، و كنا كأطفال نتساءل حول ذلك ؟! "

و نحن ندرك ذلك جيدا عندما نقرأ الخرافات و المواعظ التي ملئت بها الكتب الفرنسية الاستعمارية المدعومة بأحداث الطرق و المناهج التربوية الحديثة آنذاك التي تمجد فرنسا و تعمد إلى تشويه كل موروث وطني جزائري من لغة و تاريخ و عادات و تقاليد للحط من شأن الجزائر المسلمة و من كرامة أبنائها الذين يتخرجون من المدرسة و هم يجهلون لغتهم و تاريخهم ، ذلك ما توصل إليه خبراء الشؤون الاستعمارية الذين أدركوا بعد دراسة معمقة للمجتمع الجزائري أنه لا يمكن خلق جزائر فرنسية الكيان و الهوية إلا بعزلها التام عن محيطها العربي الإسلامي [2] .

و يبدو أن هذه المحاولات لم تنزع من هؤلاء الشبان دينهم و وطنيتهم التي كانت تتأجج في صدورهم و هذا ما يتضح من خلال رواية الأستاذ محمد الصالح الصديق عن مولود قاسم عندما كان تلميذا بالمدرسة كانت له مواقف جريئة تجاه المعلم الفرنسي الذي لا يألو جهدا في تسميم أفكار التلاميذ و تشكيكهم في القيم الإسلامية و التاريخية حيث يقول[3] : " في إحدى حصص الدرس قام المعلم الفرنسي برسم صورتين على السبورة ، احدهما لرجل مصفف الشعر أنيق الملبس و قد أدخل يديه في جيبه و الصورة الأخرى لأعرابي أشعث الشعر مشوش اللباس و في يده عصا يتوكأ عليه ، و قال المعلم لتلاميذه : أنظروا إلى الصورتين.

و تأملوهما هذه _ مشيرا إلى الصورة الجميلة _ صورة المسيح و هذه _ مشيرا إلى الصورة القبيحة _ صورة محمد (صلى الله عليه وسلم) فسكت الجميع و نطق مولود قائلا : أنا مع هذا الأعرابي الأشعث و عندما سأله المعلم عن ذلك أجابه مولود عنده زاد لا يجوع من اتبعه و معه عصا لا يخاف من كان معه"

في زاويـة تمقـرة :

بعد اكتمال المرحلة الابتدائية أصر مولود قاسم على مواصلة تعليمه خارج القرية فلم يجد الأب محمد السعيد إلا السماح لابنه * بالتوجه و الانتساب إلى المعمرة** الواقعة بتامقرة *** و بها توسع في تحصيله حيث انكب

---

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم : جريدة الجمهورية 13 جويلية 1985

[2]- خمري الجمعي : حركة الشبان الجزائرين والتونيسين 1900-1930 ،" دراسة تاريخية وسياسية مقارنة"،(دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر) بإشراف بوصفصاف عبد الكريم ، جامعة قسنطينة ،2002-2003 ص 37.

[3] - مقابلة مع محمد الصالح الصديق القبة ،الجزائر العاصمة يوم 04 جويلية 2004.

* تعود فكرة إقناع الوالد بذلك إلى أحد أصدقاء العائلة و هو سي العربي من دشرة سراج الذي مكث عنده مولود قاسم مدة حوالي 07 أشهر قبل أن يلتحق بالمعمرة علي نايت بلقاسم المقابلة نفسها.

** المعمرة تنطق محليا "ثمعمرث" و المعمرات مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية أحيانا و بالزوايا غير الخلواتية أحيانا أخرى و تنتشر في أرياف الجزائر و قراها الجبلية خاصة في منطقة القبائل يحضر إليها التلاميذ و الطلبة من الجهات القريبة و البعيدة و يتقطعون فيها لحفظ القرآن و تجويده و تلقي بعض العلوم و المعارف الأخرى الدينية و اللغوية ، أنظر يحي بوعزيز مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ص 136

*** معمرة سيدي يحي العدلي بتامقرة تقع شرق دائرة آقبو على بعد حوالي 30 كلم من قرية بلعيال أسسها العالم يحي بن أحمد العدلي المتوفي سنة 1881 من أشهر طلابها الشيخ أحمد زورق البرنسي و الشيخ سيدي أحمد بن عبد الرحمان جد المقراني تعرضت للتهديم عدة مرات من طرف الاستعمار الفرنسي و فتحت آخر مرة سنة 1937 ترميمها تولى بها الإدارة والتدريس الشيخ محمد الطاهر آيت أستاذ مولود قاسم ،مقابلة مع الشيخ محمد الطاهر أيت علجت ،مسرح بجاية يوم 09 سبتمبر 2004. .

على حفظ القرآن و إكماله في مدة قصيرة لا تزيد عن " سنتين و نصف و خلال إقامته بهذه الزواية عكـف علـى قراءة الاجرومية و البردة و غيرها من الكتابات التي كانت تدرس في الزوايا إبان هذه الفترة و لم تـتمكن الزاويـة التكفل بالإعداد الكبيرة للطلبة الوافدين فكان مولود قاسم من بين من عاد إلى دياره إلا نفسه مازالـت تتـوق إلى التوسع في طلب العلم ، فلم يكن أمام الوالد إلا إرساله إلى إحدى المدن القريبة من قريته لإكمال دراسته غـير أن الحالة المادية للعائلة لم تكن تسمح بالتنقل اليومي لمولود قاسم فوجد عند بعض معارف والده و هو البشير بوشاشي أحد سكان قلة بني عباس _ الحل الذي يسمح له بتحقيق أمنيته[1] .

التعليـــم الباديســـــي

بعـد أخذ مولود قاسم مبادئ العلوم و حفظ القرآن في زاوية تامقرة تاقت نفسه إلى الاستزادة و التوسـع في طلب العلم فلم يكن أمامه _ في ذلك الوقت _ غير مدرسة التربية و التعليم ببني عباس »

فيمم وجهه نحوها و انتسب إليها سنة 1944 و أثناء دراسته تلقى مترجمنا دروسه على يد الأستاذ محمـد و عمر جلواح الذي أخذ عنه قواعد اللغة العربية و أسلوب الخطابة و التعمق في الفقه الإسلامي في جو من الاجتـهاد و المنافسة مع أقرانه في المدرسة أمثال بوشاشي الصديق و بوشاشي عبد الرحمان و محمد بن مالك الورتلاني و عبـد القادر الفرجاني [2]

لقـد كانـت هذه المرحلة حسب ما يعترف به مولود قاسم نفسه الفترة التي صقلت فيـه شخصيتـه و ثقافته و لا نبالغ إذا قلنا أن هذه الفترة كانت حاسمة حقا في رسم مستقبل مترجمنـا و حماسـه في الـدفاع عـن الشخصية الإسلامية و الوطنية [3] فالمدرسة التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خرج منـها مولـود قاسم متشبعا بأفكارها و شغوفا بشيخها عبد الحميد بن باديس الذي ظل يستشهد بأفكاره و أقوالـه في خطبـه و كتبه و مكنته الدروس التي تلقاها من أن يبحث في تاريخ الجزائر عن الأمة التي دافع عنها بن باديس و أن يتسـاءل عن ماضي الجزائر : هـل كانت الجزائر دولـة ؟ هـل كانت لها شخصية ؟ هـل كان لها فعلا ماضي و أمجاد ؟ كل هذه الأسئلة فتحت آفاق مولود قاسم على دراسة تاريخ الجزائر [4].

و تكللت جهود مولود قاسم في هذه المدرسة بالنجاح و أعدته تلك الدروس العصرية المفيدة إلى التفكير في التوجيه إلى الزيتونة لأن فرص الوظائف للمنخرطين في هذا النوع من المدارس كانت محدودة لا تتعدى مدرسين في مـدارس

---

[1]- لقاء مع البشير شريف عبد الله من السكان وقلعة بني عباس ،يوم 14 جوان 2004.

» سماها بن باديس قلعة السنة و هي قرية جبلية معظم سكانها في تلك الفترة كانوا تجارا عايشوا الحركة الإصلاحية بقسنطينة لذلك عزموا على إنشاء مدرسة عربية إسلامية اشتغل بالتدريس فيها ، الشيخ صالح من عتيق الذي دعا إلى توسيعها كي تتمكن من إستقبال العدد الكبير من الطلبة الوافدين إليهـا و انطلـق مشروع التوسيع سنة 1933 و انتهت الأشغال بها في 1936 و هي السنة التي فتحت المدرسة أبوابها أمام الطلبة رسميا بحضور الشيخ بن باديس ، والمدرسة تضم خمسة أقسام و مسجد و مساكن للمعلمين _ تحولت في 2004 إلى متحف _ مقابلة مع:عمار متزو ، قلعة بني عباس 03 جوان 2004

[2] - مقابة مع صلاح الدين بن مالك مقر وزارة الشؤون الدينية الجزائر 03 جويلية 2004

[3] - مولود قاسم جريدة الجمهورية مصدر سابق

[4] - يحي بوعزيز المقابلة سابقة .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو مؤدب في الكتاتيب القرآنية الشيء الذي حمل مترجمنا إلى التفكير في الانتقـــال إلى الجامع الأعظم الزيتونة [1] .

الانتقال إلى الزيتونـــة بتونس (1946 _ 1949):

كـــان جامع الزيتونة يعد بحق قبلة الجزائريين المتخرجين من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائرييـــن و مدارس الزوايا الكبرى الجزائرية مثل زاوية الهامل و سيدي الكبير [2]

و القصة الكاملة لانتقال مترجمنا لجامع الزيتونة حسب رواية مولود قاسم التي نشرتها جريدة الجمهورية ذكر أنـــه في بداية سنة 1946 تسلل لقطع الحدود بين تبسه و تالة بتونس ليلا على البغال عبر طرق صعبة يســـلكها تجـــار السوق السوداء و بدون وثائق ، و كان مولود قاسم أثناء هذا التسلل قد تعرض إلى أخطار حقيقية شأنه في ذلـــك شأن العديد من الطلبة الجزائريين الذين يحدوهم الطموح في طلب العلم فكانت أمامهم المغامرة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الغاية نتيجة رقابة الشرطة الفرنسية التي كانت لا ترحم المتسللين إلى تونس فتعيدهم قصرا إلى مواطنهم بعد أن تسلط عليهم أقصى العقوبات المادية و المعنوية [3] .

استطـــــاع مترجمنـــا أن يتسلل إلى البلاد التونسية و حالفه الحظ هذه المرة فيجد نفسه في العاصمة تـــونس في جانفي 1946 و في الوسط الطلابي الزيتوني ليقيم بنهج تربة الباي الذي تقع به مدرسة بـــن بـــاديس المخصصـــة لاستقبال الطلبة الجزائريين و التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [4] .

و في تونـــس انكب مولود قاسم على التحصيل و التزود بعلوم المواد التي كانت تـــدرس بالجـــامع الأعظـــم ، و يأتي في المقام الأول دروس في الشريعة و الأدب و البلاغة و سائر الدروس المقررة .

و بالرجـــــوع إلى شهادات معاصريه أمثال الدكتور أبو القاسم سعد الله و الأستاذ محمـــد الصـــالح الصـــديق و الذين عرفوه و عايشوه في تونس فإن الطالب مولود قاسم كان يتوق نشاطا و حيوية و ملحوظة فكـــان كـــثير الإطلاع على الكتب و الدوريات و المجلات فلا يتخلف في التردد على مكتبة الثميني بتونس لاقتناء كل مـــا هـــو جديد بل لا نبالغ إذا قلنا أنه من الطلبة القلائل من يقرأ الصحف السياسية و أن إعجابه ببعض الصحف حملـــه إلى الكتابة المبكرة في القضايا السياسية و المشاركة في تحرير مقالات سياسية على صفحاتها * ومن بين هـــذه الجرائـــد

---

[1] - محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي الجزء الثالث موفم 2000 ص 1039

[2] - CH.R.Agerou : les Algériens musulmans .op.cit.P.318

[3] - مقابلة مع محمد الشريف بن الشيخ مسرح بجاية 09-09-2004

[4] - محمد الصالح الصديق المقابلة السابقة.

* ساهم أيضا مولود قاسم بإنتقاداته لهذه الصحف ففي 1947 زار جريدة المغرب العربي مبديا غضبه على محتوياتها التي يراها دعائية و أنها لا تتكلم عن حالة الجزائر و ما تعانيه في ظل الاحتلال ، وهو بذلك أول طالب جزائري يقصد الجريدة .

جريدة المغرب العربي الناطقة آنذاك باسم حركة الانتصار الحريات الديمقراطية و التي كان محررها محمــد السـعيد الزاهري [1] .

إلى جانــب هــذا فإنــه كــان دائــم الحضــور في المنتــديات الأدبيــة و الأمســيات الشــعرية و الخطابية التي دأب الطلبة الجزائريون في الزيتونة على تنظيمها و إحيائها كل مساء خميس .

و الجديــر بالذكر أن هذه الأمسيات التي كانت تجمع في معظمها أعدادا هائلة من الطلبة يقارب 300 طالبا للتباري في إلقاء الكلمات و الخطب في مواضيع أدبية ودينية و أخلاقية و أحيانا سياسية و كان مترجمنا يفضل المحور الأخير أي تناول القضايا السياسية و قد يعود هذا إلى خصوصية هذه الشخصية فهو منخرط في حركــة انتصــار الحريات الديمقراطية من جهة و من جهة أخرى جاء من منطقة رأى فيها بملأ عينيه التعديات الواسعة في الوطن الأم الجزائر .

فمن هذه المقدمات فإن المحور السياسي كان مسيطرا على تفكير و اهتمام مترجمنا ، و بالرجوع إلى الكتابات التي رصدت هذه المرحلة و التي جاءت بعنوان " نتيجة الصبر و الكفاح " كتبها و هو تلميذ في الســنة الأولى ثــانوي وتعرض فيها إلى: الممارسات الاستعمارية اليومية في الوطن الجريح الجزائر وما يعانيه الجزائريون من جــراء تلــك الممارسات القائمة على الاضطهاد و إهانة مقدسات الأمة من دين و لغة و رغم استرساله في ذكر تلك التعــديات الاستعمارية الهادفة إلى القضاء على مقدرات الشعب الجزائري المادية و المعنوية إلا أن ذلك لم يدفع بــالجزائريين إلى الاستكانة و المهادنة بل بالعكس قد زاد في حقدهم على المستعمر و تحملوا كل وسائل الضغط و الإرهاب و ضحوا في سبيل الحرية التي هي ثمرة الجهاد الوطني ضد الغازي المحتل [2].

انكب مولود قاسم على الدراسة و التحصيل تحدوه رغبة جامحة للتفوق و النجاح فهو قد قطــع كــل هــذه المسافات من أجل شهادة عليا تؤهله للارتقاء في السلم الاجتماعي المتواضع الذي كانت عليه العائلة قبل ســفره إلى تونس .

و الجديــر بالذكر أن يوميات مترجمنا تتقارب من حيث طبيعة النشاط الثقــافي و لتحصيلــي اليومــي و الحياة اليومية فهو إلى جانب الدروس النظامية كان كثير التردد على دور المكتبات العامة و الخاصة تحدوه رغبة في التحصيل و الإطلاع * على جديد الكتب و تذكر بعض الروايات أن مولود قاسم كان يقدم احتياجاته الفكريــة على متطلبات الحياة اليومية مثلما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد الصالح الصديق حيــث قــال: [3] " .... في إحــدى

---

[1] - اليامين بشيش ز محاضرة ألقيت في الملتقى الأول في هذا الأمر مقابلة مع العربي دماغ العتروس ، فندق الاوراسي 29 مارس 2005.حول مولود قاسم ، فندق الأوراسي 29 مارس 2005

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم : النشرة السنوية لجمعية الطلبة الجزائرين الزيتونين 1947

* - روى الأستاذ محمد الصالح الصديق عن مترجمنا أنه أعد ذات يوم دراسة مستفيضة حول الظريف التلمساني و هي دراسة فوق مستواه الدراسي و قد عرف منها أنه كثيرا ما يكتب في موضوعات تحتاج إلى مستوى دراسي أعلى . الأستاذ محمد الصالح الصديق المقابلة السابقة

[3] - المقابلة نفسها.

المرات وجد مولود قاسم كتابا هاما في التاريخ و قد استهواه و رغب في امتلاكه ، و فشل في محاولات الافتـــراض من أصدقائه فاضطر لبيع معطفه من أجل اقتنائه ... ".

و يظهر من هذه الرواية أن مترجمنا كان يجد صعوبات جمة في التحصيل في تونس شأنه شـــأن رفاقــه في هـــذه المرحلة الصعبة من الحياة الطلابية في الغربة .

و رغـــــم هذه الصعوبات فقد تكللت مجهودات مترجمنا بالنجاح و التفوق فعند تقدمه إلى امتحـــان شـــهادة الأهلية كانت نتائجه مرضية بل مكنته من الحصول على الشهادة باقتدار و كان ذلك في نهايـــة الســـنة الدراســـية 1949 .

و لقـــــد كان نجاح مولود قاسم في الدراسة في تونس أن شجعه إلى التطلع لمواصلة تعليمه و تحصـــيله فوجـــه نظره هذه المرة إلى أرض الكنانة مصر العربية بعد محاولة لم تكلل بالنجاح للتسجيل في جامعة السوربون للدراسات الشرقية [1]

الانتقـــــال إلى مصـــــــــر (1950 –1954):

في بدايـــة سنة 1950 – شهر فبراير – حل مترجمنا بالقاهرة لإتمام تحصيله العلمي و يبدو أن مولـــود قاســـم كانت تشده إلى مصر و البلاد الشرقية عاطفة روحية و ثقافية نعتقد أن هذه العاطفة تحركها نزعة انتقاميـــة مـــن التجربة الكولونيالية في الوطن الأم الجزائر[2].

فمــــــن باريس انتقل مترجمنا إلى القاهرة* و كان أول اتصال له بالطلبة الجزائريين المقيمين بمصر كان على يد لجنة تحرير المغرب العربي ، هذه الأخيرة التي كان من مهامها استقبال و مساعدة الطلبة الجدد القادمين مـــن الـــبلاد المغاربية[3].

و قـــــد نصح أول مرة من قبل الشاذلي المكي "" بالتوجه إلى العراق و دراسة الطيران من أجـــل تحضـــير شباب الجزائر يحتاجهم الوطن الأم للدفاع و استرجاع السيادة الوطنية ، غير أن ظروف طارئـــة اســـتجدت علـــى الساحة العربية ، ونقصد بها ذلك الخلاف الذي نشب بين مصر و العراق و الذي حال دون إتمام هذا المشروع أيضا

و هكـــــــذا استقـــرت سفينة مولود قاسم على أبواب جامعة الملك فـــؤاد """ و التســـجيل في قســـم الفلسفة هذا الخيار القديم الجديد الذي كانت رغبة مترجمنا تتوق إليه[1]. و جلس مترجمنا متلقيا دروسه على يد أسماء

---

[1] - مقابلة مع أبو القاسم سعد الله المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر يوم 23 جوان 2004.

[2] - المقابلة نفسها

* أقام مترجمنا أول الامر في مدرسة أم الغلام ثم انتقل إلى إقامة جديدة تقع في 40 شارع الجامع الإسماعيلي و هي دار الطلبة الشرقية المقر الذي يقصده الطلبة المسلمون خصوصا المغاربة و الدار تمولها الحكومة المصرية ، أقام في غرفة واحدة مع الشهيد قاسم زيدور الذي كان طالبا في كلية دار العلوم و مع عبد السلام بن يحي ، عثمان سعدي ، محاضرة في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم ، الأوراسي 29 مارس 2005

[3] - أبو القاسم سعد الله المقابلة نفسها .

"" ممثل الجزائر _ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية _ في اللجنة إلى غاية عزله من طرف مصالي في 1952

مشهورة في هذه الفترة أمثال الدكتور زكي نجيب محمود و عبد الواحد وافي و يبدو أن مولود قاسم قد تأثر أيما تأثر بالفيلسوف المصري الكبير عثمان أمين * أستاذه في مادة الفلسفة الحديثة في السنتين الجـــامعيتين الثالثـــة و الرابعـــة ليسانس فأخذ عنه الحماس و الفضول،و حب اللغة العربية و التفتح على اللغات و الثقافات الأجنبية و منه اســـتمد شعار الآنية الذي غدا بمثابة الورد يردده مولود قاسم في كل مجلس و يكرر التذكير به في كل محفل و موقف و قـــد آخذه مترجما.مـــن المؤلف المشهور الجوانية "* و أشار إلى ذلك مترجمنا بقوله [2]" ندين لاستأذنا الكبير باهتمامنـــا بمفهوم الآنية بمبناها و معناها و هي الواردة في الإشارات و التنبيهات لأبي علي ابن سينا ، و قد كان استأذنا و هـــو الذي كتب ما كتب عن ديكارت و فلسفته لايفتأ يذكرنا بأن ديكارت لم يأخذ ذلك المبدأ الـــذي جعلـــه محـــور فلسفته إلا من أنية ابن سينا ... لقد كنا في صميم حركتنا الوطنية المنادية بضرورة إبراز شخصيتنا و التذكير بأمجادنا و فصل ذاتيتنا عن الوجود الفرنسي و لذا اهتممنا بهذا الأساس الفلسفي و تحمسنا و ظللنا نشتغل بها و تركزهـــا في نفسنا حتى بعد استرجاع الاستقلال".

و كان للدكتور عثمان أمين الفضل الأول في توجيه فكر مولود قاسم إلى تقفي أثر أعلام الفكر الإسلامي مثـــل الفرابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وان يغرف من الفكر العربي الإسلامي الحديث ومن كتابـــات رواده أمثـــال الافغاني ومحمد عبده والكواكبي ورشيد رضا ومحمد إقبال .و شكل هؤلاء الرواد الملهمين الحقيقيين لروح التجديـــد و الحرية و النزعة الثورية التي تطبع بها مولود قاسم [3] .

و في جامعـــة الملك فؤاد أظهر مولود قاسم مرة أخرى قدرته على التحصيل و التفوق فقد قطع سنوات شهادة الليسانس بامتياز و تحصل على الشهادة بترتيب ملحوظ حيث كان الأول في دفعته و كان أيضـــا الوحيـــد مـــن الجزائريين في قسم الفلسفة مع الطلبة المصريين و اللبنانيين و هو بذلك الجزائري الثاني في قسم الفلسفة بعـــد أبي مدين الشافعي [4].

و بعـــد هذا التتويج تطلع مولود قاسم إلى المضي في التحصيل العلمي و الثقافي الـــذي يؤهلـــه للارتقـــاء إلى المراتب العليا ، فكانت جامعة السوربون للمرة الثانية وجهته فسجل في قسم الفلســـفة للدراســـات الشـــرقية في

""" جامعة الملك فؤاد الأول هي الجامعة الحكومية التي تأسست في 1928 و أخذت إسم فؤاد الأول منذ 1940 و ضمت إليها دار العلوم سنة 1946 و تغير إسمها بعد ثورة 1952 إلى جامعة القاهرة .

[1] - عثمان سعدي : المرجع السابق .

*- فيلسوف و مفكر مصري تحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون سنة 1937 انتخب عضوا لمجمع اللغة العربية في 1974 كان من الأساتذة القلائل الذين كانوا يذكرون اسم الجزائر و في كل فرصة ليتكلم عن أوضاعها و ما تعانيه تحت الظلم الكولونيالي ، كان لا يتخلف عن حضور ملتقيات الفكر الإسلامي إلى غاية وفاته في ماي 1978 انظر الدكتور عاطف العراقي : العقل و التنوير في الفكر العربي المعاصر قضايا و مذاهب و شخصيات ، دار قباء للطباعة و النشر القاهرة 1998 ص 360

*" الجوانية : أهم كتاب تركه عثمان أمين يلخص أغلب جوانب فكره الفلسفي و صدر بالقاهرة سنة 1964 ، أهدى نسخة منه إلى تلميذه مولود قاسم في ملتقى الفكر الإسلامي الخامس بوهران في 1971 و معنى الجوانية التركيز على باطن الإنسان أكثر من الظاهر لأن العبرة بالقلب و إصلاح الروح : أنظـــر الدكتور عاطف العراقي المرجع نفسه ص ص 361، 362

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم : مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية و مفند الخواجات ، مجلة الأصالة منشورات وزارة الشؤون الدينية عدده 60 ، 61 آوت ، سبتمبر 1978 ص ص 5 ، 6.

[3] - محمد الصالح الصديق المقابلة السابقة.

[4] - عثمان سعدي المرجع السابق

موضوع أقل ما يقال عنه أنه شغل بال مترجمنا كثيرا و هو الحرية عند المعتزلة "** و يبدو أن ظروفـا اسـتجدت حلت مولود قاسم لقطع دراسته و إتمام أطروحته _ التي حسب روايته كان قد شرع في إنجازها _ إلا وهي اندلاع الثورة التحريرية الكبرى في نوفمبر 1954 ، فانتقل إلى أوربا الشرقية و تحديدا إلى بـراغ _ تشيكوسـلوفاكيا _ كون هذه الأخيرة ملاذا يجد فيه الشبان الجزائريون هامشا من الحركة و التنقل و النشاط ، غير أن مترجمنا يبدو أنـه أخذ على تغيير الجامعات من جهة و مواضيع التخصص من جهة أخرى فبعد براغ رحل مولود قاسـم إلى ألمانيـا الغربية في مارس 1957 بعد أن لم تروقه الطريقة الماركسية لدراسة الفلسفة في براغ فأختار مدينة بـون بألمانيـا الغربية و انتسب إلى جامعتها و سجل لموضوع تحت عنوان الحرية تحت عنوان الحرية عنـد كـانط " ، غـير أن الأحداث المتسابقة و ما أفرزته من تطورات على الجبهات المختلفة الفكرية في الجزائر و السياسة في أوربـا دفعـت مترجمنا للانقطاع مرة أخرى عن الدراسة و التضحية في سبيل القضية العزيزة و المساهمة في استقلال البلاد و طـرد المعتدي الغاصب.

آثـــار مولـــود قاســـم الأدبية والفكرية:

شكل مولود قاسم بثقافته الموسوعية المتفتحة و بإنتاجه الغزير المتنوع دائرة معارف جمع فيها بين الفلسفة والتاريخ والدين واللغة و الفن وتعددت بذلك مجالات فكره واتسعت اهتماماته وهو ما أدى إلى صعوبة جمع هـذا الإنتـاج وتصنيفه .

وقد حاولت أن أتتبع إنتاج مترجما بداية من 1947إلى غاية وفاته في 1992 هو بنفسه بإدراج قائمـة هـذا الإنتاج في أخر صفحة من كتابه شخصية الجزائر الدولية و هيبتها قبل 1830تحت عنوان محاولات للمخـربش و احتوت القائمة على خمس مؤلفات هي :

1- الجزائر Algérien مكتوب بالألمانية قام بنشره مكتب جامعة الدول العربية في بون 1957

2- إنية و أصالة : نشر وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ،مطبعة قسنطينة 1975

3- أصالة أم انفصالية؟ في جزئين نشر وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية مطبعة البعث قسـنطينة 1980.

4- ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر نوفمبر (طبع بدار البعـث قسـنطينة 1983) .

** اختار مترجمنا الاستاذ دوغونديناك مشرفا على الموضوع

" يشترك الموضوعان في موضوع الحرية رغم أن الموضوع الأول يدخل في الفلسفة الاسلامية و الموضوع الثاني في الفلسفة الاوربية الحديثة ، وكان لمترجمنا بعد الاستقلال محاولتان للتسجيل في الدكتوراه المحاولة الأولى في بداية السبعينات في جامعة الجزائر تحت اشراف أحد الاساتذة السوريين إلا أن مهام الوزارة حالت دون إتمام المشروع و المحاولة الثانية في فرنسا في نهاية التسعينات و توقفت لظروف غامضة و لعل ذلك بقي جانبا غامضا في حياة مولود قاسم الدكتور ابو القاسم سعد الله مقابلة سابقة..

5- شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830 في جزئين (نشر دار البعث قسنطينة 1985)

إضافة إلى هذه المؤلفات كان لمترجما مقالات و حوارات نشرت له في صحف جزائرية و مشرقية أيـــام كان طالبا في الزيتونة(1946-1949)أو القاهرة (1950-1954) فكتب في جريدة المغرب العـــربي (الجزائر) بين سنتي 1946-1949 كما كتب في نفس الفترة في صحف تونسية منها لسان العرب،الثمـــرة الثانية،الحرية وفيما بعد كتب في جريدة المنار الجزائرية بين سنوات 1951-1954 .

و أيضا في جرائد سورية مثل البيان ،الفيحاء ،الزمان ،النصر وذلك في سنة 1953 إضافة إلى مجلـــة علـــم النفس بالقاهرة بين سنوات 1950-1954 وكانت له أيضا فيما بعد مقالات في جرائد ألمانية ، وسويسرية إضافة إلى أحاديث ومقابلات في تلفزة هامبورغ و محاضرات في المدن الألمانية

ثم بعد ذلك في النمسا في 1959 في السويد و فنلندا سنة 1961 ، و لقاءات في تلفزة لندن و كـــل ذلـــك أثناء الكفاح التحريري عندما كان مترجمنا نائبا للوفد الدائم لجبهة التحـــرير ثم الحكومة المؤقتة في ألمانيـــا

و البلدان الاسكندنافية .

أمــــــــا بعد الاستقلال فكانت لمقالاته حضور كبير في الصحف الجزائرية خصوصا في المجاهد الأســـبوعية و اليومية و في مجلة الثقافة *إضافة إلى جرائد يومية كالمساء و الشعب و الجمهورية و مجـــلات كالإرشـــاد و أصداء الصومام ، أما المجلة التي كان لها النصيب الكبير في هذه الكتابات فكانت مجلة الأصالة ** التي أسسها مولود قاسم في مارس 1971 أي بعد أقل من عام من ترأسه وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية و الـــتي كانت نادرا ما يخلو عدد منها من افتتاحية أو خطاب أو مقال و مقابلة لذلك عبرت هذه الكتابات في المجلـــة عن الكثير من مواقفه من قضايا عصره،فكانت بحق منبرا هاما عبر من خلاله مولـــود قاســـم علـــى مجمـــل توجهاته،بل كانت الوسيلة التي حاول من خلالها تأصيل فكر جديد في الجزائر والقائم على احياء أمجاد الجزائر بكل مكوناتها العربية الإسلام والامازيغية وكان تركيزه على ابراز الشخصيات الجزائرية التي ساهمت في الميادين المختلفة الفكرية والثقافية .

والجدير بالذكر أن الوسائل السمعية والبصرية من راديو وتلفزيون قد لعب دورا هاما في ترجمة فكـــر مولـــود قاسم ،بل لا نبالغ إن قلنا أنها كانت تروج في الاوساط الشبانية المثقفة، كما أن الكثير من الشباب الجزائري في فترة مابعد الاستقلال كان يردد هذا الاعجاب بأصالة الجزائر ،فمولود قاسم من هذه الزاوية استطاع برؤيتـــه الثقافية أن يترجم تطلعات الشباب الجزائري ويجعل منه مثالا للشباب العربي المندفع للـــتخلص مـــن ســـيطرة الأجنبي في بلادالمشرق والمغرب على حد سواء .

---

* مجلة الثقافة أصدرتها وزارة الثقافة في عهد الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي و قد تزامنت ولادتها مع مجلة الأصالة .

** بلغ مجموع مقالات مولود قاسم في مجلة الأصالة من سنة 1971 إلى سنة 1979 أكثر من 30 مقالا .

و مـــــن خلال تتبع كتابات مولود قاسم نجد أن الفترة الممتدة من 1962 إلى غاية 1979 أكثـــر الفترات إنتاجا ، و بالتالي فهي فترة العطاء بالنسبة إليه و هو يعني أن هذا الإنتاج يعطي للمتصفح لمحة شـــاملة عن فكر الرجل المفكر و الوزير في مرحلة الستينات و السبعينات و قد جمع هذا الإنتاج في كتابين هامين همـــا " إنية و أصالة " و " أصالية أم انفصالية ؟ و باعتبارهما الأكثر تعبير عن شخصية و فكر مترجمنا فقـــد ركزنـــا عليهما في التحليل و لعدة اعتبارات أهمها :

أولا : الكتابان يغطيان الفترة التي تولى فيها مولود قاسم مناصب عليا في هرم السلطة خصوصا منصب وزير التعليم الأصلي و الشؤون الدينية (1970-1977) و وزير لدى الرئاسة مكلفا بالشؤون الدينيـــة (1977 – 1979) و من خلال تلك المناصب حاول إضفاء الشرعية الثقافية على شخصيته فزيادة على أنه مســـؤول سام في الدولة الوطنية هو أيضا مفكر و صاحب مشروع ثقافي و حضاري (ملتقيات الفكر الإسلامي ، التعلم الأصلي)

ثانيـــا : محور الكتابين هو المسألة الجوهرية في فكر مولود قاسم و المتمثلـــة في مســـألة الإنيـــة (الهويـــة) بعناصرها الدين و اللغة و التاريخ و حب الوطن و بذلك ترتبط هذه المسألة بالفصل الأخير من هذه الرسالة .

أمـــــــا التحليل الذي سنعتمده فيقوم على عدة مقاييس هي :

1- من الناحية الشكلية نقوم بتفكيك المقالات و النصوص حسب طبيعتها

2- إظهار القنوات التي اعتمدها مولود قاسم في نشر أفكاره .

3- استخدام وحدة السياق أي الوحدة الموضوعية القائمة على التمعن في الألفاظ و العبـــارات مـــع ربطها يبعضها البعض لفهم السياق العام للموضوع .

4- إدراج المواضيع ضمن عناصر الإنية ثم ترتيبها حسب أهميتها و أولويتها لمترجمنا .

5- استخراج دلالات هذه العناصر من خلال المعاني و الألفاظ و تجدر الإشارة إلى أن مولود قاســـم كان قد خصص الكتابين الأخيرين _ مآثر نوفمبر ، شخصية الجزائر _ إلى مسألة التاريخ تحديدا

الأسلـــــــــــوب :

أول ما يلاحظ على كتابات مولود قاسم أسلوب التكرار و الاستطراد و قد يرجع ذلك إلى التـــأثر بالنـــهج التعليمي الذي ساد البيئة الإسلامية التقليدية منذ قرون و أولى ركائز هذا الأسلوب التوجيه و الترشيد.

و وضوح القصد و المعنى و قد أصبح الآن طريقة حديثة يستخدمها علماء النفس و التربية خاصة الألمـــان أمثال العالم إيبنغاوس و هيلمولتز [1] و شكل لهم أداة أساسية في التعليم و التأثير .

و عن ظاهـــرة التكرار هاته التي لوحظت في كتابات مترجمنا أجاب عنها بنفسه حيث قال :[2] " أنـــا أكـــرر هذه الحقائق لأنني مهما كررت و كرر غيري معي و كررت مع غيري للتصحيح فلابد من مدة طويلة جدا لمحو مـــا كرره غيرنا في مجال التزوير و التزييف "

أمـــــا عن دعائم هذا الأسلوب فإنه يقوم على الخطاب التوجيهي و يسلك طريق التبســـيط للتـــأثير علـــى المخاطب إضافة إلى توظيف الدعامات الاستشهادية وفق ما يتطلبه الموقف المعبر عنه فنراه يستنجد بالتراث العـــربي الإسلامي و قد يكون قرآنا أو حديثا أو حتى شعرا و في موقف آخر يستحضر قولا أو حكمة أو مثلا من الثقافـــة الغربية و في الموقفين تتجسد الميزة الثقافية لمولود قاسم * فهو من جهة عصامي مطالع و من جهة أخرى موســـوعي متفتح [3] .

و نحـــــن نعتقد أن توظيف هذا الأسلوب كان الغرض منه التحسيس و التلقين و التوعيـــة خصوصـــا و أن المقصود من خطاباته هم من سماهم يتامى الثقافة الذين يجهلون كل ما يتصل بثقافتهم و مقومـــات شخصـــيتهم و أولئك الذين ظلوا يمثلون الوجه الذي ينوب عن المستعمر و الذي يريد أن يأخذ بثأره .

كمـــــا أن خطاب مولود قاسم موجه أيضا إلى الشعب الجزائري الذي عاش سنوات طويلة تحت وطأة الأميـــة و الجهل ، إضافة إلى أن الخطاب في الكثير من الأحيان _ خصوصا في ملتقيات الفكر الإسلامي يتوجه إلى شـــريحة واسعة في المجتمع الجزائري و هم الطلبة [4] .

كمـــــا أن المتمعن لكتابات مترجمنا يجد ذلك الأسلوب البلاغي الذي يصل أحيانـــا إلى الإضـــرار بالكتابـــة التاريخية و لا نبالغ إذا قلنا أنه لا تكاد تخلو جملة من خطاباته من ذلك فهو يميل كثيرا إلى السجع و قد يكون ذلـــك من أجل ترسيخ الفكرة و حفظها بهذه النغمة الموسيقية لدى القارئ أو السامع و في أحيانا أخرى بدافع النكتة [5] إلا أن الهدف كما نفهمه لا يخرج عن تركيز الفكرة و تلخيصها و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تعمق في اللغة

---

[1] - مقابلة مع عبد المالك مرتاض ، فندق الأوراسي ، الجزائر ، 27 مارس 2005

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم ، جريدة الجمهورية مرجع سابق.

* كان مولود قاسم لا يتردد في التذكير بشخصيات ألمانية من الذيع و الصيت ما لا يغيب عن أحد من أمثال بتهوفن الذي وجد مترجمنا في سيرته و نضاله و ترفعه عن المطامع و المغريات شعارا يرفعه أمام المستلبين ، و في حديثه عن بتهوفن مرشدا أخلاقيا يريد أن يعوض الصورة التي يرى فيها النموذج السوي ليس لأن بتهوفن ظاهرة عملاقة في عالم الفن الرفيع فحسب بل لأنه ثوري إنساني و مناضل أخلاقي و شخصيته تعكس بعض ما كان مترجمنا يمثله من نبل و ترفع أنظر مولود قاسم : بتهوفن الفنان العبقري و الثوري الأخلاقي مجلة الأصالة عدد 44 السنة 07 أفريل 1977 ص 41

[3] - مقابلة مع عشراتي سليمان ، فندق الأوراسي ، 28 مارس 2005

[4] - مولود قاسم نايت بلقاسم : إنية و أصالة ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، مطبعة البعث قسنطينة 1975 ص 07

[5] - أبو القاسم سعد الله : مقابلة سابقة.

و تحكم في المفاهيم و قدرة على استحضار العبارات و التدقيق في المعاني و من أمثلة ذلك قوله :[1] " الأصالة هي أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على اديم مصره دون أن يصبح نسخة غيره "

و في قوله عن الجامعة :[2]" .... تطويرها من جامع إلى جامعة و كيف لم تعد شمسها طالعة ، و بدورها كما ينبغـــي ضالعة ، بل أصبحت لكل إهانة بالعة و تقاليدها قالعة و لسلطتها بنفسها خالعة و أمام كل شر ذمة هالعة "

إن من يقرأ أو يســـمع لمولـــود قاســـم يجـــدو أن العربيـــة تتـــدفق علـــى لســـانه في شـــكل مترادفـــات و مقابلات و سباق حثيث بين الأفكار و الألفاظ و المصطلحات الغير متداولة فنجده يبحث على كل ما هو جديد في القاموس اللغوي ، لذلك فاللغة تحولت عنده إلى مجال للتنقيب ، فلا تمر مناسبة إلا و يظهر فيها كلمة جديـــدة من التراث خاصة إذا كانت مستعملة في القاموس العامي و هي تعود في أصولها و نسبها إلى الأصول العربية و كثيرا ما يفعل ذلك مع الكلمات البربرية أو المتعربة [3] و هو ما نجده مشروحا في هوامش الكتب و نظن أن ذلك لا يخرج على كونه وسيلة من وسائل الإيضاح و التبليغ يستخدمها مولود قاسم بأسلوب جزل و أنيق يأخـــذ مـــن القـــديم سلامة الأداء و سجع المترادفات و أناقة الدلالة جعل أسلوبه يضاهي أسلوب فطاحل اللغة العربية [4]

و قـــــد حدى بالبعض من تضلعوا في هذا الميدان إلى تشبيهه بالعلامة الشيخ الإبراهيمي في بلاغتـــه الرائعـــة سواء كتب أم ارتجل الحديث

و لعـــــــــل مترجمنا قد اكتسب ذلك من خلال الإطلاع على أصول الكلمات في أمهات الكتب:لسان العرب القاموس المحيط ، تاج العروس[5] و قد توج ذلك البحث و الاطلاع باختراع مصطلحات شاعت بـــين الخطبـــاء و الكتاب مثل الانبطاح و المركوبية * و الاستدمار** .

و مـــــا يلاحظ أيضا عن أسلوب مولود قاسم هو التنوع و قد يرجع ذلك إلى تنوع مواقـــع الخطابـــة حســـب المناسبات فنجده عاليا في محاضرات و كلمات افتتاح و اختتام ملتقيات الفكر الإسلامي ، لأنه يخاطب نخبة العلماء و المثقفين من الأساتذة و الطلبة في حين نجده أسلوبا متوسطا يجمع بين الفصحى و العامية في المقـــالات الصـــحفية بينما نجده أسلوبا عاميا بسيطا في الخطابات الارتجالية [6] .

---

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالية أم إنفصالية ، ج 2 ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991 ص 197

2 - المصـــــــدر نفسه ص 285

3 - عبد المالك مرتاض المقابلة السابقة

4- عبد الرزاق قسوم عن أحمد بن نعمان :مولود قاسم نايت بلقاسم ،حياة وآثار شهادات ومواقف ط2، دار الامة 1997 ص215.

[5] - المقابلة نفسها

* المركوبية : استوحى مترجمنا هذا المصطلح من نظرية مالك بن نبي الشهيرة القابلية لاستعمار و المقصود بالمركوبية هو تقبل العالم الاسلامي لكل الأفكار و لذكر مترجمنا أن هذا المصطلح كان محل نقاش بينه و بين مالك بن نبي في دار الطلبة الجزائريين بالقاهرة عام 1954 . ينظر :
مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830،ط 1 ج 2 ، دار البعث 1985 ص 322 .

** الاستدمار : أخذه مترجمنا عن أستاذه عثمان أمين أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة الذي سماه الاستخراب . ينظر : مولود قاسم نايت بلقاسم : مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة و السياحة، عدد 95 سبتمبر ، اكتوبر 1986 ص 18

[6] - مولود قاسم : إنية و أصالة ، مصدر سابق ص 07

كمـــــــا أننا نجد تنوعا أيضا في المواضيع و المجالات لتي خاض فيها مترجمنا كالمجالات الفكريـــة و الدينيـــة و العلمية و الفلسفية و الفنية و هي خاصية عرف بها ذوو الثقافة الموسوعية التي كانت من خصائص منهج القـــدماء و التي جسدها مولود قاسم و تجلت في الجمع بين ما يبدو نوعا من التضاد بين الفلسفة و الفقه و بين العربية و اللغات الأجنبية كالألمانية و الإنجليزية و الفرنسية و كلها أضداد لا تجتمع إلا في عقل مترجمنا [1].

و إذا كان البعض يؤاخذ على كتابات مولود قاسم من زاوية انعدام الترابط العضوي بين المواضـــيع فـــذلك في رأينا لا يرجع إلى تنوع المواضيع بقدر ما يعود إلى أن هذه المواضيع كتبت في مراحل مختلفة و مـــن مواقـــع عـــدة مسؤوليات مارسها مترجمنا لذلك كان من الطبيعي أن تتلون أفكاره و رؤاه بظروف و طبيعة المرحلة التي عاشها[2].

و مـــــن خلال ما تقدم يمكننا القول و بدون شك أن مولود قاسم يجسد ثقافة المناضل أو بمعنى أخر أنه مناضل مثقف أكثر من كونه مفكر محترف لذلك لا يمكن أن نصنف كتاباته في خانة الكتابات الأكاديمية *

و ربما هذه الخاصية ليست حكرا على مترجمنا فقط بل يتقاسمها مع كثير من مثقفي جيله ممن ســـاروا علـــى درب النضال و احتضنتهم الحركة الوطنية [3] فقد تطبعوا على أسلوب الخطابية المباشرة بدل التحليل و جنح خطـــابهم إلى التعميم و الإجمال ليقدم في سياق ترغيبي أو ترهيبي مازجا العقل بالعاطفة مستمدا روحية الإقناع مما يقر في أعماقـــه من إيمان[4]، و إذا استثنينا المفكر مالك بن نبي و مصطفى الأشراف و محمد حربي و عناصر قليلة أخرى أمثال عبـــد المجيد مزيان فإننا نلمس الطابع الشعبي يميز كتابات الجيل المقاوم أمثال _ بن السايح ، بن حمودة _ الذي توفر لديه حظ من الاطلاع ، فثقافتهم الغربية تجعلهم و بصورة مستمرة على صلة بالثقافة بالفكر المتجدد [5] لكن غياب فرص فرص التمرس بالكتابة المنهجية و التدريس الجامعي أبقاهم أسرى العادات الخطابية و الممارسات الارتجاليـــة الـــتي اكتسبوها من نشاطاتهم النضالية على مدى السنين [6] و مع ذلك يبقى الثابت في أسلوب و منهج مولود قاسم هـــو هموم الأمة و قضايا الوطن فكتاباته و خطاباته كلها روافد تصب في نهر واحد هو إعلاء شأن الأمـــة الجزائريـــة و التنويه بمقوماتها و قيمها و تلك هي الحالة الثابتة في هذه الخطابات التي جسدها مترجمنا فكرا و كتابة و هو في جميع الحالات المناضل و المرشد و المعلم قصده الإقناع من خلال تمجيد مآثر الأمة .

1 – " إنيـــــــة و أصـــالـــــــة "[7]

---

[1] - عبد الرزاق قسوم المرجع السابق ص 214..

[2] - مولود قاسم إنية و أصالة ، المرجع السابق ، ص 07

* كان مولود قاسم يتهكم بأصناف الأكاديميين و الدكاترة الذين كان يراهم مثالا للعجز و العقم الفكريين

[3] - عشراتي سلمان : مولود قاسم ، رؤية التأصيل و تأصيل الرؤية ، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم ، فندق الأوراسي ، 27 مارس 2005 .

[4] - المرجـــــع نفســـه

[5] - المرجـــــع نفســـه

[6] - عشراتي سليمان : المقابلة السابقة.

[7] - مولود قاسم نايت بلقاسم : إنية و أصالة ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، دار البعث قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1975.

عنــوان الكتــاب نفسه الكلمة التي افتتح بها مولود قاسم ملتقى الفكر الإسلامي الرابع بقسنطينة في 10 آوت 1970
و قد استوحاه من كتاب التنبيهات و الإرشادات لابن سينا [1] وهو عبارة عن مقالات و محاضــرات و تعليقــات و كلمات افتتاح و اختتام ملتقيات الفكر الإسلامي إضافة إلى مقدمات لكتب الملتقيات و أحاديث صــحفية و هــي تغطي الفترة الممتدة من الاستقلال إلى سنة 1974 تاريخ انعقاد الملتقى الثامن الفكر الإسلامي في بجاية الذي كانت نقطته الخامسة في جدول الأعمال:" الإنية و الأصالة مع التفتح و العالمية " و هو العنوان الذي كان ينــوي وضــعه المؤلف لهذا الكتاب قبل تعديله [2] .

يبلــــغ عدد صفحات الكتاب 649 صفحة احتوت على 76 نصا أو موضوعا جاء ترتيبها حسب تسلسلها الزمني بغض النظر عن طبيعة المواضيع ، و قد ذيلت بتعليقات توضيحية خصوصا المواضيع التاريخية دون أن تقســم في فصول و أبواب لأن المؤلف يعترف مسبقا بأن هذه المواضيع لم يقصد منها في البداية أن تكون كتابــا أكاديميــا لذلك افتقرت إلى الوحدة و الترابط .

مقدمــة الكتاب جاءت وظيفية بين من خلالها المؤلف أسباب جمع هذه المواضيع و استعرض شــكل و محتــوى الكتاب مبررا بعض النقائص التي يراها تعمدا أحيانا و اضطرارا أحيانا أخرى و الهدف الأسمى لكل ذلــك حــث الشباب و الطلبة على الإطلاع و البحث و التنقيب و المقدمة بهذا الشكل تكون قد شكلت الفكرة القائــدة لهــذه المواضيع و هي التي اختصرها المؤلف في عنوان الكتاب [3]

مضمــون الكتاب يدور حول التعلق بالإنية و الأصالة مع ضرورة التطور و التفتح على ما يجــري في العــالم و إعطاء الأصالة مفهوما متحركا أو ديناميكيا لأن السكون في رأي المؤلف موت و فناء أما التفتح فيبدأ من الأصالة و يعود إليها ليثريها [4] ، بمعنى أخر : إبق من أنت و صادق غيرك على أساس المعاملة بالمثل و استفد من تجاربه و وسع وسع أفاقك و أفتح نوافذك و لكن إبق أنت فتتمتع بعدم انفصام شخصيتك و تشبع بمطلق آنيتك فتفيد نفســك و تثري غيرك لأن الشعب الذي ينفصل عن ماضيه و تراثه هو شعب يحتقر نفسه و يصبح حتما ذيلا لغيره [5]

حـــــــاول مولود قاسم من خلال الكتاب إظهار : أن مولود لم يكن مجرد وزيرا أو مسؤولا ساميا في الدولــة الجزائرية الفتية فلم تشغله مواقع المسؤولية و لم تستهويه الامتيازات و لم تنسه الألقاب الفخرية أنه صاحب مشروع و قضية ، مشروع حضاري نهضوي هادف إلى ايقاض العالم العربي و الإسلامي من سباته الطويل ، و في جــوهره

---

[1] - المصــــدر نفســه ص 103
[2] - المصــــدر نفســه ص 09
[3] - المصــــدر نفســه ص 07
[4] - مقابلة مع محمد العربي ولد خليفة ، فندق الأوراسي ، الجزائر يوم 28 مارس 2005.
[5] - مولود قاسم نايت بلقاسم : المصدر نفسه ص 17.

قضايا أساسية : وعي و اعتزاز بالإسلام الراسخ في هذا الربوع ، ودفاع مستميت عن اللغة العربية و دفـــاع عـــن الاستمرارية التاريخية للدولة و المجتمع الجزائري عبر القرون بدون انقطاع أو قطيعة [1]

و الغيرة هنا عن الدين و العربية و الوطن ليس معناه الانغلاق الفكري أو التعصب المذهبي لأن مولود قاسم متعـــدد الألسن و ثقافته الموسوعية مكنته من الاطلاع على الثقافات التي تحملها اللغات الأخرى [2] .

التحليل الذي سنعتمده في الكتاب من حيث الشكل و من حيث المحتوى و ذلك بمحاولة تصنيف النصوص الواردة في الكتاب من حيث المصدر و المناسبة ثم تحليلها و استخلاص عناصر الإنية التي حددها مولود قاسم مـــن خـــلال النصوص في الدين و التاريخ و اللغة .

[1] - محمد العربي ولد خليفة : مولود قاسم رجل الدولة مناضل القضية الوطنية و باعث المشروع الحضاري محاضرة القيت في الملتقى الوطني الاول حول مولود قاسم فندق الاوراسي 27 مارس 2005.

[2] - المرجـــــع نفســـه

و الجــــــــدول التالـــي يوضح تصنيف النصوص حسب الشكـــل

مصــــــدر النــــص	عدد النصوص	طبيعـــــــة النــــــــص	النسبة المئوية
ملتقيات الفكر الإسلامي	44	كلمات الافتتاح و الاختتام ، تعليقات ، تعقبــات ، أجوبة على أسئلة الحاضرين و الطلبة	% 58
مقدمـــــات الكتـــاب	09	شملت مقدمات ، مجلدات ، ملتقيات الفكر الإسلامي و كتب أدبية و ثقافية	% 12
محاضـــــــرات مختلفـــة	09	محاضرات و كلمات ارتجلت ، تدخلات في ندوات و مؤتمرات مختلفة : دينية ، تاريخية فنية	% 12
مجلـــــة الأصالــــــة	07	أغلبها محاضرات ، ملتقيات الفكر الإسلامي	% 09
جريـــدة المجاهـــد الأسبوعيـــة	05	مقالات دارت كلها حول اللغة العربية و التعريب	% 07
جريـــدة المجاهـــد بالفرنسيـــة	01	مـــائـــدة مستديــــــرة	% 01
لقـــاء مع التلفـــزة الجزائريـــة	01	إجابات على أسئلة حول توحيد الصوم و الأعياد و التقويم القمري و نقاط أثيرت في المؤتمر [1] لوزراء الشؤون الدينية بالكويت	% 01
	76		% 100

- جـــــــــــــدول رقـــــــم 01 –

يلاحــــــظ من الجــــدول ما يلي :

1) معظم النصوص كانت بمناسبة انعقاد ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت أهم سمات النشاط الثقافي لمولود قاسم في الفترة الممتدة من الملتقى الرابع بقسنطينة سنة 1970 إلى الملتقى الثامن ببجاية 1974 و قــد ركز في هذه الفترة على مسألة الدين و ذلك لكون مترجمنا كان يشغل في تلك الفتـــرة وزيـــر التعلـــيم الأصلي و الشؤون الدينية .

2) هنـــاك تكرار في مصادر النصوص فقد ينشر النص في أكثر من مصدر مثلا المحاضرة التي ألقاها مترجمنـــا يوم 24 ماي 1968 بالجامعة المركزية و كانت بعنوان " اللغة و الشخصية في حياة الأمم " نشـــرت في جريدة الشعب و المجاهد بالفرنسية و مجلة الثقافة ثم نشرت في مجلة الأصالة في عدد خاص بالتعريب (عدد 17،18)

3) كـــــل المقالات التي جاءت في جريدة المجاهد الأسبوعية تناولت مسألة اللغة و قد كتبت المقالات قبـــل 1970 قبل تولي مترجمنا الوزارة و هذه المقالات هي :
- تعريب الأمخاخ و القلوب قبل تعريب الألسنة .
- قيمة اللغة في نظر بعض الأمم .
- تكلم لغة قومـــك .
- علمية اللغة العربية ماضيا و مستقبلا .
- اللغة و الشخصية في حياة الأمم .

4) جاءت مجلة الأصالة من حيث عدد النصوص في المرتبة 2 باعتبارها قناة إعلامية هامة لتبليغ رسالة مولـــود قاسم و إذا كانت ملتقيات الفكر الإسلامي قد ركزت على الدين فإن الأصالة في هـــذه الفتـــرات قـــد ركزت على مسألة اللغة .

و الجـــــــــدول التـــالي يبين تصنيف المقالات الواردة في الكتاب حسب عناصر الإنية " الهويـــة " الـــتي حددها المؤلف في الإسلام و التاريخ و اللغة :

عنـــــــاصر الإنيـــــــة	عـــدد المقـــالات	النسبـــة المئويـــة
- الإنيـــة (الهويـــة)	08	% 10,53
- الإســـلام	38	% 50
- التاريـــخ	13	% 17,11
- اللغـــــة	11	% 14,47
- قضايـــا مختلفـــة	06	% 7,89
المجمـــــــــــوع	76	% 100

- جـــــــدول رقـــم 02 -

يبيـــن الجدول مجموع المقالات لكل عنصر من عناصر الإنية و نسبتـــه المئويـــة .

و **نسجـــل من خلاله ما يلي** : رغم عنوان الكتاب " إنيـــة و أصالـــة " إلا أن المقالات التي تتكلم حول الإنية لم تتعد " 08 " من مجموع مقالات الكتاب البالغة 76 مقالة لأن المؤلف أراد التركيز على عناصر الإنيـــة و تحليلـــها مركزا على الدين باعتباره وسيلة بناء الأمم و تشييد صرح النهضة و تسليح الهوية بالقيم التي لا تزول ، أمـــا عـــن التاريخ فكانت موضوعاته في الكتاب تحاول أن تربط النشأ بالأصالة و بالجذور كما كانت اللغة أيضا من المســـائل التي احتلت موقعا مركزيا في مقالات الكتاب نظرا لصلتها بالشخصية و بالهوية و التجدر لذلك نراه يحفل بتـــرداد القول حول الهوية و إبراز تقاسيمها و التذكير بمقوماتها.

احتـــــوى الكتـــاب على قضايا أخرى مختلفة كان أهمها الشباب وكان موقفه تجاهه موقف الموجه الرشيد و الصارم و المعلم و هو ما نلمسه في كلماته للشباب و مخاطباته لهم و ذلك ينبع من نوع التنشئة الجادة التي كانـــت ظروف الاستعمار تمليها على الأمة حفاظا على بقائها[1] .

كمـــــا كانت مسألة الاستشراق من بين القضايا التي تعرض لها الكتاب إضافة إلى المشروع الطموح المتمثـــل في إحياء التعليم الأصلي ذي التقاليد العريقة في جزائر الرباط و الزوايا معقل المقاومة و الحصن المنيع للقرآن و العربيـــة لأكثر من مائة عام بعد الاحتلال [2] .

[1] - مولود قاسم ، المصدر السابق ص ص 119 ،120.
[2] - محمد العربي ولد خليفة ، المقابلة السابقة

أصاليـــــــة أم إنفصاليـــــــة :

يتكـــون الكتاب من جزئين و عدد صفحاته 843 صفحة كتبت مقالاته في الفترة الممتدة مـــن 1975 إلى 1979 و هي تعليقات و تدخلات و مقدمات كتب و كلمات افتتاح و اختتام ملتقيات الفكر الإسلامي التاســـع ، العاشر ، الحادي عشر ، الثاني عشر ، إضافة إلى مقالات في جرائد وطنية مثل الشعب و المجاهد

و كان لمجلة الأصالة النصيب الكبير من هذه المقالات التي بلغ مجموعها 51 مقالا وضع لها المؤلف عنوانا على شكل تساؤل كبير أصالية أم انفصالية ؟[1] .

موضـــوع الكتاب تمحور حول قضايا نوقشت في الملتقيات بحيث 83,64 % كانت حول هذه القضايا مـــن الملتقى التاسع إلى الثاني عشر و هي ذات ارتباط وثيق بالتحولات الاقتصادية و الثقافية التي عرفتها الجزائر في مرحلة البناء و التشييد في المخطط الرباعي الثاني (1974-1978).

المقدمـــــة جاءت مطولة و غير منهجية و مكررة في الجزئين و بذلك اســـتحوذت علـــى 122 صـــفحة أي 14,47 من مجموع الكتاب .

المقـــــالات كما كانت في كتابه الأول إنية و أصالة جاءت مرتبة زمنيا و غير مقسمة إلى فصـــول و أبـــواب بـــــدأ المؤلف الكتاب بمقولة بن باديس التي يدعو فيها إلى التشبث بالأصول و الجذور مـــع مجـــاراة الحاضـــر و الاستعداد للمستقبل و هو بذلك يبقى وفيا لمسيرته و لنظرته الباديسية للهوية و الأصالة الجزائريتين[2].

و مذكرا دائما بأنه يحمل مشروعا حضاريا إحدى دعائمه التعليم الأصلي الذي ظل يندد بإلغائه .

جـــــــــدول رقـــــم 1 : يصنف مقالات كتاب أصالية أم إنفصالية من حيث الشكل

مصـــــــــدر النـــــص	عدد النصوص	طبيعـــــــــة النــــــــــص	النسبة المئوية
ملتقيات الفكر الإسلامي	23	تدخلات، تعليقات ، مقـــدمات كتـــب ، كلمات افتتاح و اختتام الملتقى 9-10-11-12	% 44
مجلـــــــــة الأصـــالـــــة	15	مواضيع حول ملتقيات الفكر الإسلامي كلمات ارتجالية ، محاضـــرات ، نصـــوص	% 30

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالية ام إنفصالية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991 ، الطبعة الأولى في جزئين
[2] - سعيد ايت مسعودان عن د/ أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ص 211

	مترجمة		
% 10	مواضيع متصلة بملتقيات الفكر الإسلامي	05	جريـــدة المجاهـــد الفرنسيـــة
% 10	مواضيع مرتبطة بالملتقيات	05	جريــــــــدة الشعـــــب
% 04	مواضيع حول ثورة التحريـــر و صـــداها الخارجي	02	جريـــدة المجاهـــد الأسبوعيـــة
% 02	لقـــاء صحفي حول قضايا دينيـــة أهمهـــا ملتقيات الفكر الإسلامي	01	مجلـــة الثورة الإفريقية
% 100		51	

يظهـــــر الجـــدول أن ملتقيات الفكر الإسلامي هي أكبر القنوات التي استخدمها مولـــود قاســـم لخطابـــه و أفكاره فقد كان يكثر التعليق و كثيرا ما يشيد بالآخرين و كان يتدخل و يناقش كل القضـــايا بقناعـــة و جـــرأة كبيرتين [1] و كان يركز على المناقشة أكثر من المحاضرة لذلك تجده يولي أهمية قصوى لهذه النقطـــة خاصـــة إذا مـــا أثيرت من طرف الشباب إضافة إلى ذلك فهو الذي يحدد جدول أعمال الملتقيات و يحرر بنفسه كلمات الافتتـــاح و الاختتام التي يكتبها في حينها و لو تطلب الأمر السهر حتى الصباح و بالتالي فهو الناطق الرسمـــي لهـــذه التظـــاهرة الفكرية الثقافية [2] .

أمـــــا عن القنوات الأخرى المتمثلة في الجرائد المكتوبة باللغتين العربية و الفرنسية فهي حرص مولود قاسم على تعميم الفائدة فكان يعمد على تكرار نشر الافتتاحيات و كلمات الاختتام في مجلة الأصالة و الشعب و المجاهد و في كثير من الأحيان نجدها مكررة في أكثر من جريدتين و كانت هذه الجرائد تنقـــل نشـــاطات الـــوزير في مختلـــف المناسبات الدينية و الوطنية.

و الجـــــدول التالي يصنف مقالات الكتاب على أساس المحتوى و ذلك بإظهار عناصر الإنية الثلاث : الدين و التاريخ و اللغة حسب أهميتها في فكر مولود قاسم و التي جسدتها هذه النصوص .

عنـــــاصر الإنيـــــة	**عـــدد المقـــالات**	**النسبـــة المئويـــة**
- الإســـــلام	22	% 43,14
- التاريـــخ	08	% 15,69

[1] - أبو القاسم سعد الله ، المقابلة السابقة.
[2] - يحي بوعزيز ، المقابلة السابقة

- اللغـــــة	03	% 05,88
- الإنيــــــة	02	% 03,92
- قضايـــا مختلفـــة	16	% 31,37
المجمــــــــــوع	51	% 100

- جـــــــدول رقـــم " 02 " -

مــــن خلال التصنيف يظهر تركيز مولود قاسم على الدين واضحا كونه محورا مركزيا في اهتمامـــات مولـــود قاسم فقد خصص له 22 مقالا من مجموع مقالات الكتاب البالغة 51 مقالا بنسبة مئوية وصلت 43,14 % ثم قضية التاريخ الوطني بنسبة 15,69 % ثم اللغة بنسبة 05,88 % .

جـــــــدول يمثل دلالات عناصـــــر الإنيـــــة من خلال الكتابيــــن معـــا

" إنيــــــة و أصالـــــة "   " أصاليـــة أم إنفصاليـــــة "

العنـــاصـــــر	**المعانــــــي و الـــــدلالات**
الإنيــــة (الهويـــة)	إبراز الإنية كخصوصية و ليست كقيمة قصد إثبات الذات الجماعيـــة و ربطهـــا بالأصالة ملخصة في الشعار التالي : " أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره و دون أن يصبح نسخة غيره " .
الإســـلام	دعـــوة إلى التمسك بالأخلاق و القيم الإسلامية الســـامية ، خطـــورة التبشـــير الإسلام كقيمة أوسع من العروبة ، علاقة الإسلام بـــالتطور ، علاقـــة الإســـلام بالاشتراكية
التاريـــــخ	البحـــث عن الإنية (الهوية) من الجذور ، أي الرجوع إلى الأصـــول الأولى دون التوقف عند مرحلة معينة من تاريخ الجزائر ، أي لا يمكن فصل تاريخ الجزائر قبل و بعد الإسلام .
اللغـــــــة	التركيـــــز على اللغة الفصحى ، التعريب ، العربية لغة العلم قادرة على مواكبـــة اللغات الأخرى ، ارتباط اللغة العربية بالإسلام .

- جـــــــــدول رقـــم " 03 " –

"ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر "[1]:

يحتوي الكتاب على 253 صفحة موزعة على ثلاث فصول و يعد بذلك أصغر الكتب حجما إلا أنـــه انفـــرد عن الكتب السابقة من حيث تقسيمه إلى فصول و مباحث .

و هـــذا العمل في حقيقته مساهمة تقدم بها مترجمنا في الملتقى الأول لكتابة تاريخ ثـــورة أول نـــوفمبر 1954 المنعقد بقصر الأمم بالعاصمة في الفترة الممتدة من 28 إلى غاية 31 أكتوبر 1981 بدعوة من المنظمـــة الوطنيـــة للمجاهدين و كان موضوع الكتاب قد قدم ملخصا في اليوم الأخير من الملتقى و كان بذلك ختاما لهذا الملتقى ليلة الاحتفال بالذكرى السابعة و العشرين لاندلاع الثورة التحريرية .

موضـــــوع الكتاب يختلف أيضا عن مواضيع الكتب السابقة التي تناولت مواضيع مختلفة في العديـــد مـــن فترات التاريخ الجزائري ، عكس هذا الكتاب الذي خصص كله لموضوع واحد هو التاريخ الوطني و تحديدا الثورة التحريرية و هي أحداث معاصرة للمؤلف الذي نفسه كان طرفا فيها . و قـــــراءة عنوان الكتاب يبين محتواه الذي تمحور حول ردود الفعل المختلفة داخليا و استعراض مختلف المواقف الإيجابية و السلبية تجاه الثـــورة الـــتي قطعهـــا مترجمنا متنقلا بين الأقطار الأوربية و هو ما مكنه من أن ينشئ تصورا قريبا لهذه المواقف الأوربية لـــذلك نجـــد أن نصف الكتاب أو أكثر خصص لمواقف الدول الأوربية .

و إذا كان الكثير من المؤرخين قد كتبوا عن الثورة و عدد الأجانب للأسف يفوق عدد الجزائريين لذلك فقـــد غابت في الكثير من الأحيان النزاهة و الموضوعية لذلك نجد مترجمنا يحيلنا في الكثير من الأحيان إلى تلك الإدعاءات الباطلة التي تعمدها هؤلاء المؤرخون ، و كانت معرفة مولود قاسم بناصية عدة لغات مكنته من التعرف على أفكار و اتجاهات هذه الكتابات التاريخية التي تبقى إحدى المصادر الأساسية للبحث في تـــاريخ الثـــورة بعـــد فرزهـــا و تصحيحها و توجيهها التوجيه السليم الذي يخدم الحقيقة بنزاهة و تجرد و هو ما أراد أن يبينه مترجمنا مـــن خـــلال كتابه .

و المتصفــــح لفصول الكتاب يكتشف دون عناء استطراد مترجمنا في الحديث عن انتصـــارات الثـــورة و شعبيتها بينما يكتفي بإشارات بسيطة للمواقف المعارضة للثورة أو بعبارة أخرى مواقف المترددين و المشـــككين في نجاح مسيرة الثورة أو من صنفتهم دراسات تاريخية أخرى في خانة الخيانة و هنا نجد أنفسنا مضطرين للحديث مرة ثانية عن الموضوعية في كتابه التاريخ الوطني و هي النقطة التي أجاب عليها مترجمنا في حديثه لجريـــدة الجمهوريـــة حيث قال : [2]" بالنسبـــة لهذا الكتاب _ يقصد مآثر نوفمبر _ فقد تمنعت في البداية عندما طلب مني هذا العمـــل ثم استجبت للدعوة لأن الموضوع شائك جدا و يقتضي أن نذكر كل الذين مانعوا و لم يستجيبوا لفـــاتح نـــوفمبر في

[1] - مولود قاسم : ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر نوفمبر ، ط 1 ، نشر دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة 1984

[2] - مولود قاسم ، جريدة الجمهورية ، مرجع سابـــق

البداية و هذا واجب من جهة و لكنه من جهة أخرى يقتضي أقصى التحري و عدم الظلم ... " ثم نضيف قائلا:[1]" و ذكرت الذين عارضوا و الذين ترددوا ثم انظموا فيما بعد.

و كيف تم التلاحم و التآخي ... و من باب الموضوعية كان علي أن أذكر كل ذلك لو باحتشام لكـــن لم أرد أن أركز كل التركيز على هذه النقطة السوداء "

و مجمــــــل القول فإن الكتاب لم يكن من نسج خيال المؤلف بل إن معلوماته مستقاة من كتابات و تصــريحات و بلاغات و غير ذلك من المواقف و مصادر أهلها و بلغت موضوعية المؤلف عندما قال بأنه مستعد لنشــر أي رد عن الكتاب من أجل تصحيحه أو تكملته في الطبعة الثانية و بذلك يجسد مولود قاسم الــروح العلميــة العاليــة و المنهجية التاريخية النابعة من الوطنية الجزائرية [2].

شخصيــة الجزائـــــــر الدوليــة و هيبتهــا العالميـــــة قبل 1830 :

يتكـــــــون الكتـــاب مـــن جـــزئين مجموعهمـــا 649 صـــفحة (الجـــزء الأول 256 ص و الجـــزء الثاني 393 ص).

نشيــــــر في البداية أن الكتاب قد صدر عن دار البعث بقسنطينة سنة 1985 إلا أن فكرة تأليفــه تعــود إلى سنوات طويلة في ماضي كفاح مولود قاسم و بالتحديد إلى سنوات الأربعينيات عندما كان مترجمنا في بداية نشاطه في حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، فما تلقاه من دروس في المدرسة الفرنسية عـــن تـــاريخ الجزائر هذه الدروس التي أنكرت الوجود المتميز و البارز [3] للجزائر لذلك يمكن القول أن الكتـــاب جـــاء ليتـــرجم تساؤلات علقت بذهن الرجل منذ فترة طويلة دفعت به إلى البحث في أعماق التاريخ الجزائري عله يجد ما يكـــذب به ادعاءات الفرنسيين [4] فبدأ بالكتابة عن رموز المقاومة المسلحة في الجزائر مثل الأمير عبد القادر ، فاطمة نسومر ، المقراني و بوعمامة ، إلا أن هذه الكتابة كانت تفتقر إلى التعمق و الدقة و ذلك لغيـــاب المصـــادر التاريخيـــة الـــتي تعرضت لنصوص المعاهدات التي أبرمتها الجزائر مع الدول الأوربية و إلى الدور الذي لعبته البحريـــة الجزائريـــة في العهد العثماني [5] .

و كـــــان هذا وراء تأخر المشروع إلى غاية 1982 حيث طلبت وزارة الثقافة _ التي كان يرأسها الـــدكتور عبد المجيد مزيان _ من مترجمنا المساهمة بعمل تاريخي يتناول فترة ما قبل سنة 1830 و ذلك بمناســـبة الاحتفـــال بالذكرى العشرين للاستقلال ، و كان هذا العمل في بدايته مجموعة من المحاضرات قدمها في عدة مدن جزائرية و لما

---

[1] - مولود قاسم : المصدر السابق .

[2] - عبد الحميد خالدي : الدعاية الإعلامية لتاريخ الثورة من خلال كتاب مولود قاسم " ردود الفعل الدولية " ، الإعلام و مهامه أثناء الثورة ، دراسات و بحوث الملتقى الوطني حول الإعلام و الإعلام المضاد ص 293

[3] - مولود قاسم ، جريدة الجمهورية ، مرجع سابق

[4] - يحي بوعزيز ، المقابلة السابقة .

[5] - مولود قاسم ، المصدر نفســـه .

طلب منه تقديم العمل في بحث مكتوب ساورته فكرة التوسع في الموضوع و تقديمه في شكل كتاب [1] جاء عنوانه : " شخصية الجزائر الدولية و هيبتها قبل سنة 1830 " و عنوان الكتاب يعكس مضمونه الذي يدور حول إثبـــات وجود الدولة الجزائرية قبل 1830 بشخصيتها المتميزة و تمتعها بكل مقومات السيادة و أن السبب في ضياع ذلك يرجع أساسا إلى الاحتلال الأجنبي و في ذلك تأكيد لفكرة استمرارية الدولة و الأمة الجزائرية عبر التاريخ و هو مـــا قصده المؤلف عندما يقول :[2] " إن القصد من هذه الدراسة هو إحكام الصلة بين حلقات سلســـلة تـــاريخ أمتنـــا الجزائرية العريقة و إبراز ما كان لها من شخصية دولية متميزة و وجود دولي بارز و هيبة عالمية أطبقت الأفـــاق " و يضيف قائلا :[3] " ليس المقصود بالشخصية الدولية أو الهيبة أن نبرهن على وجود الدولة الجزائرية قبل 1830 ... و إنما لإثبات بأن الشخصية و الهيبة هما القدر المشترك بين جميع الدول الصغيرة و الكبيرة دون تميز " .

جـــــــــاءت مقدمة الكتاب وظيفية منهجية توجيهية لما احتوى عليه الكتاب و تضمنت نقدا وجهه المؤلف لبعض المؤرخين الفرنسيين أمثال جوليان و غوتي إضافة إلى بعض السياسيين الفرنسيين * و كان قـــد لخصـــها في قوله :[4] " خربشنا** هذه الأسطر لشبابنا و كأننا نرد على كل ما سمعناه و رددنا عليه في وقته شفاهيا و كتابيـــا أثناء كفاحنا التحريري ... و لا نزال نقرأه و نسمعه اليوم أيضا من حين لأخر " .

و في تركيــــــز مترجمنا على العهد العثماني يقول أن هذا العهد هو أزهى عصور الجزائر و مـــن أمجـــد فترات تاريخها العريق [5] و كانت طريقته و منهجه في هذه الدراسة و كما وصفها هو[6] " فقد حرصت على إيـــراد كل ما وجدته من صالح لنا إيجابي في تاريخنا مما أوردوه هم بالذات " و يقصد المؤرخين الفرنسيين

و الغربيين عموما لذلك جاءت الإحالات إلى هؤلاء المؤرخين الأجانب حيث خصص المؤلـــف مـــا يفـــوق 250 صفحة من الكتاب للصور و الوثائق و الرسائل و المعاهدات التي أوردها بلغاتها الأصلية ***

و اكتفى بملخص موجز لا يفي بالشرح المطلوب و هو ما يفوت الفرصة على مـــن لا يـــتقن هـــذه اللغـــات للاستفادة من هذه النصوص التي تبقى في حاجة ملحة لترجمتها إلى اللغة العربية .

و يعتبـــر مولود قاسم أن الجزء الثاني من الكتاب هو بيت القصيد و يقصد بذلك موضوع العلاقات بين الجزائر و فرنسا قبل 1830.

---

[1] - يحي بوعزيز ، مقابلة سابقة
[2] - مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830 ، مصدر سابق ص 331
[3] - المصدر نفســـه ص 332
* أمثال : موريس طوريز ، ادغارفور ، شارل دوغول ، ميشيل جوبير و جيسكار ديستان
[4] - مولود قاسم ، المصدر نفسه ص 26
** الخربشة : الكتابة الرديئة وهي الكلمة التي يستخدمها مترجمنا بدل ، الكتابة.
[5] - المصدر نفســـه ص 12
[6] - المصدر نفســـه ص 20
***-جاءت الإحالات بلغاتها الأصلية مما يصعب على المتصفح للكتاب فهمها والاستفادة منها

و الجديـــــر بالذكر أن هذا الجزء من الكتاب احتوى على عنوان منفصل عن الفصول الأخرى و جاء تحـــت عنوان " الأمم بتاريخها و نحن أعداء الوثيقة "[1]

و حســــــب المؤلف فإن المقصود بهذا العنوان هو تحريك الهمم و شحذ العزائم و بعث روح الاهتمام بالوثـــائق و لا يتوانى في الاستدلال ببعض الدول مثل المغرب الأقصى و تونس و بعض الدول العربية في المشرق ناهيك ببعض الدول الأوربية و يخص بالذكر فرنسا[2].

و يرى الدكتور يحي بوعزيز في ذلك إستراتيجية يوظفها مولود قاسم للوصول إلى الحجج و البراهين حـــتى مـــن الأعداء لدحض مزاعمهم و إقناع البعض منهم [3].

ونصل في الاخير إلى ان كتابات مولود قاسم قد ركزت على مسالة الهوية والتـــاريخ والدولـــة ، هـــذه الكتابات الموجهة إلى مستويات مختلفة ،الجماهير بغرض التعبئة السياسية والحزبية وتوجيه الرأي العام ، ووجه ايضـــا إلى المعارضين الذين يأخذون صفة النقاد وموجهة أيضا إلى المثقفين والعلماء والكتاب والطلبة.بمعنى اخر إلى النخبـــة التي يفترض ان تتولى زمام السلطة .

واذا كان من غير الممكن تحليل هذه الآثار الأدبية والفكرية لمولود قاسم الا اننا يمكن ان نصـــفها بانهـــا تندرج ضمن خطابات الدولة الوطنية ، هذا الخطاب الذي يتمحور حول اشكاليات معينة مثـــل اشـــكالية الهويـــة والتاريخ ،وهي القضايا التي تناولناها في هذه الرسالة.

---

[1] - أشار أبو القاسم سعد الله إلى أنه وجه المؤلف إلى كتاب نادر بالمكتبة الوطنية يحتوي على معاهدات و وثائق باللغة السويدية _ التي يقرأ بها _ و كان الكتاب أحد المصادر التي استعان بها مترجمنا في إنجاز هذا الكتاب الدكتور ابو القاسم سعد الله مقابلة سابقة

[2] - مولود قاسم : المرجـــع السابـــق ص 353

[3] - يحي بوعزيز ، مقابلـــــة سابقـــــة .

الفصل الثانـي

دور مولود قاسم في الحركة الوطنية

1-نشاطه في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

أ- بتونس

ب-القاهرة

ج- نشاطه في لجنة تحرير المغرب العربي

2-دور مولود قاسم في الثورة التحريرية

أ- في بون بألمانيا الغربية

ب- في سويسرا وفي البلدان الاسكندنافية

إن المتتبع للمسار النضالي لمولود قاسم يجد أن هذه الشخصية قد بدأت نشاطها السياسي مبكرا أيام كان طالبا في مدرسة التربية و التعليم بقرية آيت عباس، امتد هذا النشاط و استمر في حقبة الدراسة و التحصيل أيام كان طالبا في الجامع الأعظم (الزيتونة) و قد جمع في نشاطه السياسي بين الانخراط في الحزب الاستقلالي الوطني: حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و بين النضال القاعدي الجمعوي و الجماهيري.

و من هنا يمكن للباحث رصد نضاله في ثلاث محطات أساسية.

1. المحطة الأولى:مرحلة النضال الطلابي.
2. المحطة الثانية: مرحلة الحركة الوطنية.
3. المحطة الثالثة: مرحلة الثورة التحريرية الكبرى.

و الجدير بالذكر أن هذه المراحل أو الحقب المتلاحقة تطبعت باهتمام ملحوظ بقضايا الأمة التي كانت تدور بخلد مولود قاسم، فالوطن يرزح تحت السيطرة الاستعمارية و الأهل يعانون الفقر و الحرمان، و الكيان مهدد بالزوال و الاندثار أمام الهجمة الاقتصادية و الفكرية[1].

و بالرغم من حلكة ليل الاستعمار و أيامه الطويلة فإن مولود قاسم وضع نصب عينيه الدفاع عن مقومات الأمة و المجتمع، فبالرجوع إلى السيرة الذاتية التي كتبها مولود قاسم نفسه[*] و الروايات المختلفة التي جمعناها من أفواه أفراد عائلته و أصدقائه و من عرفوه عن قرب تجمع أن مولود قاسم بدأ اهتمامه بالقضايا السياسية في سن مبكرة، فكانت له في هذه المرحلة مواقف أقل ما يقال عنها أنها كانت البداية المتواضعة للتعبير عن الرفض الاستعماري.

---

[1] FERHAT ABBAS : le jeune algérien, édition GARNIER, 1981, p131.

[*] كان مترجما قد كتبها بطلب من إدارة جبهة التحرير الوطني بتاريخ: 20 فيفري 1984، أنظر الملحق رقم 01.

ففي دور الدراسة و التعليم و عندما كان المعلم الفرنسي يلقن الطلبة الجزائريين أنهم ينحدرون من الأصول الغالية و أن إفريقيا لاتينية الأصول و المعتقد[1]. و أن الجزائر فرنسية[2] حسب ما كانت تروج له مجلة إفريقيا اللاتينية* التي كان يشرف عليها عميد العنصرية الفرنسية في الجزائر في هذه الفترة لويس برترون** فهذه القضايا لم تكن تروق بأي حال من الأحوال لطالب حديث التكوين مما حمله إلى التساؤل لدى معلمي المدرسة الفرنسية المنحدرين من أصول أهلية فكانت الإجابة (ليس هذا هو التاريخ كله و يشيرون إلى أن تاريخ الجزائر يجب أن نبحث عنه في كتب أخرى)[3].

و قد كانت لهذه الإرشادات و النصائح أن راح مترجمنا يبحث عن تاريخ الجزائر الإسلامية في كتب و دراسات غير فرنسية ومن الكتب التي أنارت الطريق للشاب مولود قاسم دراسات عميد المؤرخين الجزائريين المؤرخ أحمد توفيق المدني في مصنفه كتاب الجزائر و كتاب "هذه هي الجزائر"*.

إلى جانب هذه الدراسات اطلع مولود قاسم على كتابات الشيخ مبارك الميلي** خصوصا في مؤلفه المشهور*** "تاريخ الجزائر في القديم والحديث".

---

[1] فيليب لوكا: جزائر الأنتربولوجيين نقد السوسيولوجية الاستعمارية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص 36.

[2] يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب بين 1830 – 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص 163-164.

* كانت فرنسا تعتبر الجزائر قطعة من الأراضي الفرنسية أو ولاية من ولاياتها الداخلية و كانت تحت الوصاية المباشرة لوزارة الداخلية بموجب الأمر الصادر بتاريخ 22جويلية 1934 و التشريع المؤرخ في 1865 الذي نص على أن الجزائر هي أرض فرنسية: أنظر علي بلحاتم: طرح القضية الجزائرية على المسرح الدولي، مجلة الأصالة، عدد 22، أكتوبر- ديسمبر 1974، ص 97.

** لويس برترون: louis Bertrone أحد مفكري الاستعمار صاحب جريدة إفريقيا اللاتينية L'afrique latine كثيرا ما تهجم في كتاباته على المجتمع الجزائري المسلم عموما و على النخبة الجزائرية المسلمة على وجه الخصوص، و قد رد عليه فرحات عباس في كتابه: الشاب الجزائري الذي نشر في 1931،أنظر حمري الجمعي: حركة الشبان الجزائرين والتونيسيين 1900-1930،مرجع سابق،ص 05.

[3] عبد الله العروي: تاريخ المغرب، ج1، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1996، ص ص 47-48.

* كتاب الجزائر، الجغرافيا و التاريخ و المجتمع طبع سنة 1931 و كتاب هذه هي الجزائر طبع سنة 1956.

** شخصية إصلاحية بارزة ولد سنة 1897 ببلدية الميلية في عائلة متوسطة الحال، تلقى تعليمه الأول في المدرسة القرآنية ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة ليصبح طالبا في حلقات ابن باديس العلمية بعدها رحل إلى جامع الزيتونة التي تخرج منها سنة 1925 و يعود إلى قسنطينة مرة ثانية و يعمل بها معلما و مربيا و كان مرافقا لعبد الحميد بن باديس و ظل وفيا لمبادئ جمعية العلماء إلى غاية وفاته سنة 1945. أنظر: عبد الكريم بوالصفصاف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945 مرجع سابق، ص 81.

*** يقع الكتاب في ثلاث أجزاء يتناول الأول العصور القديمة و يدرس الثاني المغرب الإسلامي و يعالج الثالث العهد التركي و هذا الجزء الأخير لم يكتب منه المؤلف إلا عشرين صفحة نظرا لندرة المراجع العربية و صعوبة الترجمة إلى الفرنسية و بعد وفاته أكمله ابنه محمد الميلي سنة 1964، أنظر تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، مطابع بدران و شركائه، بيروت، لبنان، 1964، ص 07.

بعد قضاء المرحلة الأولى من التعليم في الجزائر كان على مولود قاسم الانتقال إلى مجال أرحب من مدينته المتواضعة –بني عباس- فوجه إلى تونس التي كانت في هذه الفترة قبلة للجزائريين المثقفين ثقافة شرقية فكان الجامع الأعظم بالنسبة لهذا الفصيل هو الوعاء الذي تغرف منه هذه النخبة علومها وتفكيرها وتمكنهم من الاستمرار في التعلق بالحضارة العربية الإسلامية لما يتمتع به الجامع الأعظم من برامج ودروس غير متوفرة في الأرض الجزائرية التي أصبحت بها الثقافة العربية الإسلامية ثقافة أجنبية حسب التشريعات والقوانين التي سطرتها البرجوازية الفرنسية[1] .و هكذا ففي رحاب الجامعة بدأت تتشكل الشخصية السياسية لمولود قاسم التي عمادها الثقافة العربية و الحضارة العربية الإسلامية و الدين الإسلامي.

و الحق أن مولود قاسم عند وصوله إلى تونس –جانفي 1946- وجد زخما كبيرا من النشاط الثقافي و السياسي في أوساط المهاجرين الجزائريين الذين جاءوا إلى هذه البلاد هروبا من الفقر و الحرمان و من بطش الاستعمار.

و إذا كان من الصعوبة بمكان تبيين الخط السياسي لمولود قاسم في بداية عهده بتونس[*] فإن الروايات تجمع أنه كان يتردد على الساحة السياسية في تونس بشقيها الإصلاحي و الوطني، و يبدوا لنا أن هذا الاندفاع الملفت للنظر يعود أساسا لهامش الحرية و الحركة التي وجدها في المحمية تونس فكان يتردد على النشاط السياسي أيا كان مصدره و لونه إيديولوجيته هذا من جهة و من جهة أخرى يعود لحماس و تعطش هذا الشاب المتقي حيوية و نشاطا.[2]

استمر مولود قاسم على هذا المنوال و استطاع أن يكون رصيدا سياسيا و نضاليا يظهر جليا قبيل الاستقلال و بعد استرجاع السيادة الوطنية فقد مكنه حضوره الكثيف للنشاط السياسي الطلابي في تونس أن بدأت تتضح له الرؤية في تبني خطا سياسيا واضحا ألا و هو الخط الوطني الثوري الاستقلالي الذي مثله حزب الشعب و حركة الانتصار للحريات الديمقراطية فيما بعد.

إلى جانب هذا فقد كان حضوره المداوم لتلك اللقاءات التي ينظمها قيادات من حركة الانتصار للحريات الديموقراطية في الوسط الطلابي بتونس أمثال أحمد بودة و الدكتور محمد الامين دباغين، حامد الروابحية، أحمد مزغنة، محمد خيضر، و الأمين بلهادي أن

---

[1] Charles robert Ageron, histoire de l'algérie contemporaine, OP. cit, PP. 57-161.

[*] انفتح أمام الطلبة الجزائريين في تونس اتجاهان: اتجاه طلب العلم أي الالتزام بالدراسة فقط، و اتجاه سياسي و هو الالتزام بالكفاح الوطني الذي أملته ظروف البلاد آنذاك و بين الاتجاهين حاول مولود قاسم و أمثاله الجمع بين الدراسة و النضال السياسي، مقابلة مع السيد عبد الحميد مهري، فندق الأوراسي، الجزائر، 29 مارس 2005.

[2] د. أبو القاسم سعد الله عن د. أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم، حياة و آثار شهادات و مواقف ، مرجع سابق، ص 165.

جعله أكثر ارتباطا بفصل الاتجاه الاستقلالي، فجرأة و شجاعة قيادات حركة الانتصار جعلت الطلبة الجزائريين في تونس أكثر ميل لتبني الأفكار الوطنية هذا من جهة و من جهة أخرى فإن قيادات حركة الانتصار هي بدورها كانت تسعى جاهدة لكسب الطلبة إلى صفوفها ليكون هؤلاء زادا للدولة الوطنية المنتصرة.

و الحق أن هذه التجمعات التي دأب عليها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كانت تزيد في رصيد المناضلين المقتنعين بالتوجه الوطني إن عدا أو نوعا، و تجمع الدراسات التي أمكننا الاطلاع عليها أن حزب الشعب الجزائري كان بحق مسيطرا على الساحة السياسية في وسط المهاجرين الجزائريين في تونس طلبة و عمال و تجارا أيضا.

كان لهذا التكوين السياسي الذي عرف منه مولود قاسم نايت بلقاسم من المدرسة الوطنية أن مكنه من الارتقاء في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى أن بلغ عضوا قياديا في اتحاد الطلبة الذي كان يرأسه عبد الحميد مهري*

و رافقه في هذه القيادة كل من الطلبة قاسم رزيق و قاسم زدور* و مبارك ماضي المعروف آنذاك باسم التركي شباطة و هم الطلبة الذين برزوا في طليعة المناضلين الذين كان لهم شرف تنظيم الطلبة الزيتونيين و الذين ظلوا يعملون على دفع و إقناع الشباب الجزائريين حديثي العهد بالنزول إلى تونس و حملهم على الانضمام إلى اتحاد الطلبة.

و هكذا يظهر أن مولود قاسم وجد ضالته في المشاركة و العمل على تمكين الجزائريين المسلمين من الحقوق السياسية و الاقتصادية التي ظلوا محرومين منها لفترة غير قصيرة و التطلع إلى إسقاط النظام الكولونيالي الذي أقامته البورجوازية الفرنسية في الوطن الأم الجزائر[1].

* سياسي و مثقف و مجاهد جزائري ولد بالخروب في 03 أفريل 1926 تلقى تعليمه في المدارس العربية الحرة، بدأ حياته النضالية في حزب الشعب الجزائري منذ 1944، شارك في مظاهرات 08 ماي 1945، انتقل \إلى الزيتونة سنة 1946 و فيها ناضل في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و ساهم في تنظيم الحركة الطلابية، عين أثناء الثورة ممثلا دائما لجبهة التحرير الوطني بدمشق ثم عضوا في الحكومة الجزائرية المؤقتة الأولى، بعد الاستقلال تقلد مناصب سياسية هامة منها منصب السكرتير العام لوزارة التعليم الثانوي ثم سفيرا في فرنسا، كما شغل مناصبا قيادية في حزب جبهة التحرير آخرها منصب الأمين العام للحزب، أنظر: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من تأليف الدكتور بو الصفصاف عبد الكريم و آخرون، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، مـــاي 2004، ص 341.

* ارتبط النضال الطلابي في تونس بثلاث قواسم كان له شرف تنظيم صفوف طلبة الزيتونة مترجما قاسم مولود، و قاسم زدور ابن الطيب المهاجي الذي اعتقل في الأيـــام الأولى للثورة حيث عذب إلى أن استشهد ووجدت جثته ملقاة في البحر و كان أول طالب شهيد، و هناك قاسم رزيق الذي استشهد هو الآخر في ظروف غامضة، عبـــد الحميد مهري المقابلة نفسها.

و يبدو لنا أن هذا الخيار –الانطواء تحت لواء الحزب الوطني- يعود كما يقال لحاجة في نفس يعقوب، فمولود قاسم نايت بلقاسم خريج مدرسة التربية و التعليم- ببني عباس التابعة للحركة الإصلاحية في الجزائر المتشبع بالثقافة العربية الإسلامي يفضل في تونس العمل الوطني على العمل الإصلاحي لما عاشه و كابده من ظلم الاستعمار و تعديات وسائل السلطة في الجزائر من قياد و حكام إداريين و جندرمة و شرطة و تعنت المعمرين الذين ظلوا يعملون بكل الوسائل لحرمان الجزائريين من أبسط الحقوق الإنسانية السياسية و الاقتصادية.[2]

و الجدير بالذكر أن روح النضال و الانتقاد و كشف تعديات النظام الاستعماري بالنسبة لمولود قاسم لم يتحدد في الوسط الطلابي في تونس أو في مكاتب خلايا حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بل نجده و إيمانا منه بضرورة توسيع النشاط على أكبر عدد ممكن من الجزائريين فأثناء عطلته الدراسية الصيفية كان ينزل إلى الجماهيرا شارحا شرعية المطالب الجزائرية من السلطة الفرنسية، ففي المناسبات الدينية كالأعياد و المحلية و حتى المآتم كان يردد حقوق الجزائر الإسلامية من الدولة الاستعمارية.[3]

والحق أن هذا النشاط دأبت عليه عناصر حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قبل هذا التاريخ وهو معروف لدى الباحثين وجاء ذكره في التقارير الفرنسية التي كانت تتتبع نشاط مناضلي حزب الشعب في المقام الأول الطلبة الزيتونيين العائدين من تونس لأنها أي هذه الإدارة كانت تتوجس خيفة و حذرا من هذه العناصر التي كانت تبث الدعاية القائمة على فضح الممارسات و التعديات الاستعمارية و تحسيس الجزائريين بحقوقهم المشروعة[4]

و حسب رواية علي نايت بلقاسم – شقيق مترجمنا- فإن الشرطة الفرنسية جاءت أكثر من مرة إلى البيت سائلة و مستفسرة و ملاحقة لهذا الزيتوني الذي أصبح يشكل قلقا في منطقة بلعيال[5] و ما يؤكد ما ذهبنا إليه هو أن هذه الأخيرة استطاعت أن تلقي عليه القبض و تودعه سجن مدينة أقبو لفترة شهر كامل بالرغم من أن المحكمة فيما بعد حكمت عليه بالإفراج[6]

---

[1] FERHAT ABBAS : le jeune algérien, OP. cit, P122.
[2] Robert aron, les origines de la guerre d'Algérie, Paris : Fayard, P.224.
[3] اليمين بشيش: محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم، فندق الأوراسي، الجزائر، 29 مارس 2005.
[4] Mohamed HARBI, le FLN : Mirage et réalité, Paris : editions jeunes afrique 1980, p.90.
[5] على نايت، المقابلة السابقة.
[6] محمد الشريف بن الشيخ، مقابلة سابقة.

ب- في مصر:

يتحدد نضال مولود قاسم في مصر في جبهتين:

- الجبهة الأولى: في مكتب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالقاهرة
- الجبهة الثانية: و هي التي ناضل فيها مولود قاسم نضالا معتبرا في إطار لجنة تحرير المغرب العربي.* التي كان يرأسها المغربي الثائر و بطل حرب الريف عبد الكريم الخطابي.

فبعد أن أنهى دراسته في الجامع الأعظم الزيتونة متوجا بشهادة الأهلية باقتدار – في جويلية 1949- رحل إلى باريس حيث كان والده يعمل هناك و سعى إلى دخول جامعتها السوريون و الانتساب إلى معهد اللغات الشرقية مع بداية و الموسم الجامعي (1949-1950) و أمضى بباريس عدة أشهر كي يتعرف عن مناهج المستشرقين و في نفس الوقت كان يشتغل بالمكتب الدائم لاتحادية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و هو ما مكنه من الاتصال بقيادات و كوادر الحزب أمثال: محمد يزيد، الدكتور شوقي مصطفاي، بلقاسم راجف، محمد خيضر.

لم يطب له المقام في فرنسا و قد يعود هذا إلى إخفاقه في التسجيل بجامعة السربون التي كانت حلم طالبي العلم من المغاربة و المشارقة، و هكذا نجده مرة أخرى يشد الرحال إلى أرض الكنانة مصر عله يجد في رحاب جامعاتها ما أحجمت عن تقديمه جامعات فرنسا الحرية و الديمقراطية فوصل القاهرة في فاتحة سنة 1950 –شهر فيفري- و كانت الوجهة الأولى له دار الطلبة الشرقية و هو

---

* لجنة تحرير المغرب العربي "comité de libération de Maghreb Arabe" تأسست في القاهرة التي تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى قبلة لزعماء الحركة الوطنية المغاربية – في 05 جانفي 1948 و انبثقت عن مكتب المغرب العربي التابع للجامعة العربية الذي أنشئ خلال مؤتمر الجامعة المنعقد ما بين 15 -21 فيفري 1947 و ضم ممثلي الأحزاب الوطنية المغاربية الثلاثة: حركة الانتصار، حزب الاستقلال، الحزب الدستوري. و تشكل المكتب الأول من محمد بن عبد الكريم رئيسا و امحمد بن عبد الكريم الخطابي وكيل الرئيس و الحبيب بورقيبة أمينا عاما و محمد بن عبود أمينا للصندوق، أنظر: محمد بن زيان، محمد بن عبد الكريم الخطابي "آراء و مواقف" 1926-1963"، مطبعة الكوثر، الرباط، 2002، ص 120. و أيضا عامر رخيلة: انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي (1945-1954) مجلة المصادر، عدد06، مارس 2002، ص ص 36-40.

المكان الذي كان مقصدا لكل مغاربي حديث الإقامة في مصر حيث يتلقى الطلبة الجدد المساعدات الأولية سواء المستوى المعيشي أو الإجراءات الإدارية للإقامة و التسجيل بالجامعة[1].

بعد أن وفق مترجمنا في التسجيل بالجامعة كما سبقت الإشارة إليه راح كعادته يناضل في سبيل القضية التي تبناها منذ أن كان طالبا في الجزائر و تونس فكان يتردد على ساحات نضال حركة انتصار الحريات الديمقراطية منشطا و منظما و شارحا لأفكار الحزب و أعماله و تطلعاته[2] و قد كان هذا النشاط إبان هاته الفترة و في البلاد الشرقية له أهمية كبرى حيث استطاع مناضلو حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية أن يكونوا رأيا عاما جزائريا رافضا للوجود الاستعماري كما عمل مناضلوا الحزب كل في موقعه من شرح تظلمات الشعب الجزائري التي حاولت السلطة الاستعمارية في الجزائر إخفائها[3].

إلى جانب هذا عمل الحزب على إرسال مبعوثين من نخبة الحزب إلى البلاد العربية العراق، لبنان، سوريا لشرح حقيقة وواقع الجزائر في ظل السيطرة الفرنسية و التأكيد على عروبة الجزائر و أنها جزء لا يتجزأ عن الوطن العربي[4]،وظل مولود قاسم محافظا على الخط الالتزامي لمناضلي حزب الشعب فنجده دائم الحضور في النشاطات المختلفة:

1- على المستوى القيادي كزيارات كوادر الحزب لمصر و البلاد العربية.

إحياء المناسبات الكبرى الوطنية في مصر فعلى سبيل المثال لا الحصر كان مولود قاسم يتحين الفرصة في ذكرى 08 ماي 1945 الذكرى الأليمة ليذكر مستمعيه بحالة أو واقع الجزائر الإسلامية التي تعاني من ظلم و ضيم السياسة العنصرية الفرنسية، هذه الأخيرة التي كافأت الجزائريين الذين وقفوا إلى جانبها في محنتها أثناء الحرب العالمية الثانية في مجزرة رهيبة في كل من سطيف، قالمة و خراطة و كانت بحق وصمة عار في جبين فرنسا الحرة[5]

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم "بومدين و ثوابت الأمة" محاضرة ألقاها مترجمنا بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني حول هواري بومدين سطيف يوم 26 ديسمبر 1990.
[2] المرجع نفسه.
[3] Mohamed HARBI, Aux origines du front de libération nationale : la scission du P.P.A- M.T.L.D, Paris Christian BOURGOIS (édition) 1975, P.33.
[4] Ibid, p43.
[5] شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة نخبة من الأساتذة، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص 335.

كما كان إحياء 08 ماي مناسبة لتذكير الطلبة و النخبة الجزائرية في مصر بما ينتظرهم من مسؤوليات جمة بعد تحرير البلاد و بناء الدولة الوطنية المستقلة.

و الحق أن مثل هذه الطروحات كانت المجال الرحب ليصب مولود قاسم و أقرانه جام غضبهم على الاستعمار سواء في المغرب العربي أو في بلاد المشرق.

إلى جانب النضال الخطابي و العمل الحزبي فإن مولود قاسم وجد في بعض الصحف و المجلات منبرا لعرض قضيته الوطنية و إسماع صوت الجزائر في المحافل الثقافية و الصحفية في البلدان العربية.

و من الجرائد التي كانت تترجم هذه الاهتمامات جريدة المنار الغراء.* التي كتب بها مولود قاسم العديد من المقالات** و حسب رواية مولود قاسم فإن هذه الكتابة الصحفية تعددت البلاد المصرية إلى بلدان مشرقية أخرى مثل سوريا و لبنان، فكتب في كل من البيان و الفيحاء و الزمان و النصر*** و كانت كتاباته لا تخرج عن المواضيع السياسية و التاريخية التي تتعلق بالمقاومات الجزائرية للاستعمار كمقاومة الأمير عبد القادر و فاطمة نسومر و المقراني و بوعمامة و امتازت كتاباته بالتحليلات الناقدة و الثقافة الواسعة التي سخرها للحديث عن هموم الوطن الجريح و عن ما يعانيه أبناء جلدته من جراء السياسة الاستعمارية.[1]

- **الجبهة الثانية: دور مولود قاسم في لجنة تحرير المغرب العربي:** تكلل نشاط مولود قاسم بالقاهرة بانتمائه إلى اللجان التحررية المغاربية و الشمال إفريقية و ذلك بالمساهمة في تفعيل الدعم المادي و المعنوي للحركات الوطنية التحررية المناهضة للاستعمار الأجنبي.

---

* جريدة سياسية ثقافية دينية حرة نصف شهرية مدير تحريرها محمد بوزوزو.

** وردت هذه المقالات في العدد 17 السنة الثانية (06 فيفري 1953) و في العدد 20 السنة الثانية (27 مارس 1953) و في العدد 42 السنة الثالثة (08 ماي 1951) و تعرضت هذه الكتابات إلى الاضطهاد الاستعماري للغة العربية التي دافع عنها بقوة من أجل إبراز مكانتها و أهميتها فهي لسان الجزائريين و لسان انتمائهم الحضاري، أنظر مولود قاسم: الجزائر لا تعرف العربية؟ المرجع السابق، عدد 17، و أيضا: الجزائر غريبة حتى في الجزائر، المرجع نفسه، عدد 20.

*** مجلات سورية كانت تصدر في أوائل الخمسينات.

[1] محمد العربي دماغ العتروس: المقابلة السابقة.

و قبل استعراضنا للدور الدعائي و السياسي لمولود قاسم في هذه اللجان خليق بنا التعريف بلجنة تحرير المغرب العربي فقد تأسست هذه اللجنة بالقاهرة في 05 جانفي 1948 و انبثقت عن مكتب المغرب العربي التابع للجامعة العربية الذي تم إنشاؤه يوم 22 فبراير 1947 بناء على توصيات المنعقد ما بين 15 إلى 28 فبراير من نفس السنة[1] و عندما نزل الأمير عبد الكريم الخطابي في القاهرة في أوائل جانفي 1947 أشرف على هذا المكتب و بعث فيه حيوية جديدة[2]، و كان تمويل المكتب تتكفل به الأمانة العامة للجامعة العربية التي ترسل المعونة المالية الشهرية التي تقتسم بالتساوي على الأحزاب المغاربية الثلاث: حركة الانتصار، الحزب الدستوري التونسي و حزب الاستقلال المغربي و ذلك قبل استقلال تونس و المغرب[3].

و المتصفح لبرنامج لجنة تحرير المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) مراكش و نلاحظ أن استراتيجية اللجنة تقوم على الدعائم التالية:

1. المغرب العربي كان وجوده بفضل الإسلام و عاش في الإسلام و ضمن أصول الإسلام سيواصل أعماله في المستقبل.
2. المغرب العربي يمثل جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي و ارتباطه مع الجامعة العربي شيء طبيعي و لازم.
3. الاستقلال المرتجى للمغرب العربي استقلال كامل للأقطار الثلاثة التي تتكون منها و هي تونس، الجزائر، المغرب الأقصى*
4. لا يمكن متابعة أي هدف آخر سابق على الاستقلال.
5. لا محادثة في المسائل الخاصة لكل قطر مع المحتل مادام النظام الحالي.
6. لا يمكن لأية محادثة قبل الاستقلال.

---

[1] محمد أمزيان: محمد بن عبد الكريم الخطابي آراء و مواقف 1926-1963، مرجع سابق، ص 120.

[2] عامر رخيلة: انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي1945-1954، مرجع سابق، ص 36.

[3] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، مع ركب الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1982، ص 119.

* قد يعود استثناء ليبيا هنا لأنها كانت تحت الاحتلال الإيطالي على خلاف الأقطار الثلاثة التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي.

7. يمكن للأحزاب التي هي أعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي أن تفتح محادثات مع ممثلي الحكومتين الفرنسية و الإسبانية بشرط إحاطة اللجنة علما نقطة فنقطة بتطور هاته المحادثات*

8. إن حصول أحد الأقطار الثلاثة على الاستقلال التام لا يعفي اللجنة من واجب متابعة الكفاح لتحرير القطرين الباقيين.[1]

و من خلال تتبع برنامج اللجنة نجد أن ممثلي حركات التحرير الاستقلالية للأقطار الثلاثة تعتبر قضية المغرب العربي واحدة و كفاحه واحدا و تؤكد أن الحق في الحرية و الاستقلال واحد للأقطار المغاربية دون تمييز و لا تفضيل باعتبار قضيتها قضية واحدة كما ألحت اللجنة لدى الحركات التحريرية المغاربية على توحيد كفاحها و نبذ النزعة الانفرادية التي تؤدي إلى تجزئة القضية المشتركة تجزئة تعد اعترافا بالحدود التي أقامها الاستعمار بين الأقطار المغاربية لابتلاعها قطرا بعد آخر لذلك كان رد الفعل الطبيعي يقتضي توحيد السياسة التحريرية و هو ما دعت إليه اللجنة و حاولت تحقيقه[2].

و يمكن القول أن تأسيس هذه اللجنة يعتبر حدثا تاريخيا في تطور الكفاح التحريري في المغرب فضرب بالأوضاع الاستعمارية عرض الحائط و زاد فكرة الوحدة المغربية رسوخا و دفع بالكفاح التحريري إلى الأمام بخطوة هامة في سبيل تحقيق غايته، إذ أصبحت مطالب أقطار المغرب كلها تحوم حول محور واحد الاستقلال التام[3].

و قد أعطت اللجنة لقيادات البلدان المعنية حرية المبادرة و التحرك و هذا يعتبر في رأينا نقلة نوعية للعمل النضالي الهادف إلى استغلال المنفى (المهجر) كميدان لتحقيق الأهداف النبيلة التي تتطلع إليها شعوب بلدان المغرب العربي خاصة و الشمال الإفريقي عامة*.

---

* في القاهرة و بتاريخ 12 جويلية 1951 وقع الأمير محمد عبد الكريم الخطابي بيانا استنكر فيه مشاركة الحزب الحر الدستوري التونسي في الوزارة التي تشكلت بتونس في 17 أوت 1950 و التي كان نصف وزرائها فرنسيون و هو ما اعتبرته لجنة تحرير المغرب العربي قبولا بالنظام الاستعمار الحالي و قبولا بالتفاوض مع الفرنسيين و هذا يتعارض مع استراتيجية اللجنة و برنامجها خصوصا البند الخامس و السادس من البرنامج: أنظر إلى نص البيان: مجلة المنار عدد 06 السنة الأولى الأثنين 30 جويلية 1951.

[1] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الثالثة 1947-1954 الجزء الثالث المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 56.

[2] عبد الحميد بوزوزو: مجلة المنار، العدد13، السنة الثانية، 04 جانفي 1952.

[3] المصدر نفسه.

* إذا كانت منطقة المغرب العربي هي الحلبة الأولى التي دار فيها الصراع مع المحتل بشقيه العسكري و السياسي فإن نخبة من المثقفين و السياسيين المغاربة نجدهم قد نقلوا ميدان الصراع نحو المهجر و ذلك لأسباب موضوعية و هي صعوبة النضال ضد الوطن الأم، و إذا كانت فرنسا نفسها في مجال النشاط لهذه النخبة –نجم شمال إفريقيا- فإن أرض الكنانة مصر بعد الحرب العالمية الثانية قد تحولت إلى قبلة لهذا الفصيل، ينظر الدكتور الجمعي حمري: جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية و دور الأستاذ الفضيل الورتلاني فيها مجلة الحوار الفكري –مجلة فكرية يصدرها مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية لجامعة منتوري قسنطينة السنة الثالثة العدد 05، ص 123.

و هكذا راح قادة و مناضلو الأحزاب الوطنية الجزائرية يعملون بكل الوسائل لإيصال صوت الجزائر لقادة و شعوب البلدان العربية من جهة و من جهة أخرى حمل المناصرين للتحرر الوطني من النخبة و كذا أصحاب البر و الإحسان لتقديم المساعدات المادية للشعب الجزائري، فتسجل الشهادات التي استقيناها من المعاصرين لمولود قاسم و كتابات الصحف العربية أن الشعوب العربية أصبحت اليوم أكثر إحساسا بالهم الجزائري الرابط تحت السيطرة الأجنبية العنصرية، و يعود هذا في رأينا إلى نشاطات قيادات من أمثال الشاذلي المكي و الورتلاني و من التحق بهما أمثال مولود قاسم و محمد خيضر آيت أحمد بن بلة، هذا الجانب الدعائي أما بالنسبة للجانب التعبوي للفئة الجزائرية المهاجرة و المقيمة في البلاد العربية فإن العمل فرض عقد الندوات و المحاضرات المتعددة لشرح واقع يوميات الجزائر الإسلامية تحت النير الاستعماري[1].

و قد أشرف و نشط هذه المحاضرات ثلة من القيادات الجزائرية بالقاهرة من أمثال محمد خيضر و بن بلة فاستدعت أساتذة و شعراء و مفكرين جزائريين أمثال مالك بن نبي و أحمد توفيق المدني و عبد الرحمن كيوان، و قد تناولت مداخلات المحاضرين مواضيع تصب في مجملها في تحليل الظاهرة الاستعمارية و سلوكات المستعمرين اتجاه المستعمَرين، و من بين هذه المداخلات على سبيل المثال مداخلة الفيلسوف الجزائري الشهير مالك بن نبي حول نظريته الشهيرة "القابلية للاستعمار".[*]

كما أن هذه المداخلات كان الهدف منها ربط الطلبة الجزائريين بيوميات الجزائر الجريحة و فضح مدى خطورة و بشاعة القمع و التدمير الفرنسي اليومي لمقدرات الشعب الجزائري[2].

إلى جانب مواضيع الساعة –يوميات الاستعمار في الجزائر- فإن هذه اللجنة لم تغفل الموضوع العزيز على النخبة المثقفة في المشرق و المناضلين من أجل عروبة الجزائر و استقلالها فكانت دائما تذكر بماضي الجزائر التليد الذي تمتد جذوره إلى الفترات الزاهية من

---

[1] حسين آيت احمد: جريدة العالم السياسي (يومية جزائرية) يوم 21 مارس 1999، ص 07.

[*] علق مترجمنا على محاضرة مالك بن نبي التي ألقاها بدار الطلبة الجزائريين بالقاهرة سنة 1953 و التي كانت حول القابلية للاستعمار La colonisabilité قائلا: "عندما كنت شابا حضرت محاضرة للأستاذ مالك بن نبي تحدث فيها عن فكرته المشهورة و هي أننا لدينا قابلية للاستعمار... و أذكر أنني عارضته بشدة و حماس الشباب كنت أنا الطالب و كان هو الأستاذ و لكنني فيما بعد و بعد وفاته تأسفت كثيرا لأنني لم أستطع أن أعتذر له في حياته لكنني اعتذرت له في كتاباتي و مقالاتي و تراجعت عن موقفي و قلت نعم عندنا تلك القابلية، ليس عند الشعب بل عند أولئك المازوخيين و المحكيديين و المركوبين" ينظر: مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830، ج2، مرجع سابق، ص 322.

أيضا: مولود قاسم: جريدة الجمهورية الأسبوعية (16 إلى 23 أوت 1989).

[2] إسماعيل دبش: السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1999، ص ص 69-70.

الحضارة العربية الإسلامية و هذا ردا على تلك الدعوات الباطلة بأن الجزائر أرض فرنسية و أن الشعب الجزائري شعب فرنسي فكانت هذه الخطب و المداخلات تعمل عمل السحر في أوساط الجزائريين و العرب الذين كانوا يحضرون هذه الندوات، و كم من مرة تعالت الأصوات الحماسية الصادرة من حناجر هذه الشبيبة من أمثال مولود قاسم ساخطة على السياسة الاستعمارية في الجزائر الهادفة إلى دمج الجزائر في فرنسا[1].

و إذا ما صدقنا إلى ما ذهب إليه مولود قاسم في ترجمته أن هذا الموضوع ظل هاجسه الأول حمله في ترحاله و في إقامته كيف لا و هو القادم من الجزائر التي لم تتبلور صورتها بعد في أذهان أهل الشرق فهم لا يعرفون عنها الكثير، فالجزائر لا تغدو في نظرهم كونها جزء لا يتجزأ من فرنسا و أمثال مولود قاسم في نظرهم أيضا مواطنون فرنسيون و بصفة رسمية* حتى و إن كان يتكلم العربية و يدافع عن عروبة الجزائر و إسلامها[2].

و قد ذكر أبو القاسم سعد الله في روايته في هذا الصدد أن مولود قاسم و جيله من المناضلين إذا سألهم الناس عن وطنهم لا يكادون يجدون جوابا لأنهم إذا قالوا إنه الجزائر قيل لهم إنها فرنسية ثم يجيبون أنها الجزائر التي كانت و التي ستكون ثم يقفون أمام العالم يفتخرون بأنهم هم مكتشفوا هوية الجزائر و شخصيتها[3].

و قد أكد مترجمنا ما ذهب إليه الدكتور سعد الله حينما قال[4]: "... كم صدمنا بمثل هذه السخافات في المشرق العربي من طرف شخصيات كنا نظن أنها بمنحى عن التأثر بمثل تلك الادعاءات الصادرة عن ذهنيات سخيفة و المؤثرة في ذهنيات لا تقل عنها سخفا...و نشهد هنا حسب تجربتنا في المشرق العربي من بداية 1950 إلى 1954."

هذا بالنسبة لدور هذه النخبة على مستوى تعبئة الرأي العام العربي الرسمي و الشعبي و في المقام الأول الرأي العام المغاربي المقيم في البلاد العربية المشرقية، فبفضل هذا العمل الدؤوب أخذت لجنة تحرير المغرب العربي و الجزائر مكانة في المنظمات العربية الرسمية مثل

---

[1] عثمان سعدي: مرجع سابق.

* عندما كلف مترجمنا من طرف مكتب المغرب العربي بمسؤولية الاتصال بمكاتب و سفارات عربية بالقاهرة من أجل نشر القضية الجزائرية في المشرق العربي كان إذا تقدم للحصول على التأشيرة يصطدم في كل مرة بالرفض كونه فرنسيا و يحمل جواز سفر فرنسي و السماح بذلك في نظرهم يثير احتجاج فرنسا.

[2] مولود قاسم: "الجزائر لا تعرفالعربية؟" جريدة المنار، المرجع السابق، عدد 17، السنة الثانية، 06 فيفري 1953.

[3] ا أبو القاسم سعد الله: المقابلة السابقة.

[4] مولود قاسم: ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر الفاتح نوفمبر، مرجع سابق، ص 187.

الجامعة العربية و الأحزاب القومية العربية و بالشأن المغاربي عامة و الشأن الجزائري خاصة فغدت هذه الأحزاب تؤيد المطلب الاستقلالي للأمة الجزائرية العربية الإسلامية[1].

كما أخذت قضية الجزائر مكانها الطبيعي في نقاش المداولات الجامعة العربية خاصة بعد تحرير كل من تونس و المغرب[2].

و هكذا يمكن القول أن هذه الجهود التي بدأت متواضعة من 1948 أصبحت أثناء الثورة عملا رياديا في التعريف بالقضية الجزائرية و مشروعية العمل المسلح و شكلت رصيدا نضاليا لممثلي الثورة في القاهرة فيما بعد[3].

و صفوة القول فإن حضور قيادات جزائرية من أمثال مولود قاسم و محمد خيضر و قبلهم الشاذلي المكي على رأس هذه اللجنة قد ساهم و لا شك في الدفاع عن المطلب الاستقلالي، هذا من جهة و من جهة أخرى فإن هذا العمل الوطني الرائد بفضله غدت قضية الجزائر البعيدة جغرافيا و سياسيا قريبة من العرب قادة و شعوبا من جهة أخرى و بالتركيز على العواطف و المشاعر و الروابط الدينية و القومية و اللغوية جاء التخفيف من معاناة الجزائريين المادية لما تجود به معونات أصحاب البر و الإحسان من الشعب العربي المعروف بمساعدة إخوانه المحرومين في الجزائر السليبة[4].

دور مولود قاسم في الثورة التحريرية:

تكللت نشاطات مولود قاسم في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى تبنيه الطرح الاستقلالي و العمل إلى الدعوة على التعجيل بالثورة ضد الوجود الفرنسي و يظهر هذا في كتاباته و تدخلاته المشار إليها آنفا.

فالمعلوم لدينا أن هذا التيار أصبح في بداية العقد الخامس من القرن العشرين 1950 يتنامى و تتسع قاعدته سواء في الجزائر أو في فرنسا أو البلاد العربية.

---

[1] جريدة المجاهد، عدد 15 يوم 01 جانفي 1958، ص 08.
[2] إسماعيل دبش: المرجع السابق، ص 72.
[3] حسين آيت احمد: المرجع السابق، ص 07.
[4] الجمعي خمري: جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية و دور الأستاذ الفضيل الورتلاني فيها، مرجع ستابق، ص 132.

فعشية الثورة التحريرية التي قادها صفوة من الشبان المنتمين في غالبيتهم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية[1]، و حددوا هذه المرة الزمان و المكان الذي يعلنون فيه قيام الثورة التحريرية الشاملة هذه الثورة التي شرحوا أسبابها و أطرها و أهدافها في بيانهم المشهور بيان أول نوفمبر 1954[*]، و أرفقوه بعمل مسلح إيذانا ببداية عهد جديد في تاريخ هذا الشعب و هذه الأمة[2] و إذا اختلفت الروايات في الجهات التي كانت على علم بالتاريخ و المناطق التي حددها الثوار لإبلاغ صوتهم، فإن الشعب الجزائري و العالم أفاق صباح أول نوفمبر على تقديم تفسيرات عما سمي بأحداث ليلة أول نوفمبر و إنها ردود و أعمال لصوص ينفذها قطاع طرق و خارجون عن القانون و معزولين عن الشعب حسب الصحافة الكولونيالية[*] في الجزائر و فرنسا.[3]

غير أن الشبان الثوار كذبوا هذه الطروحات من البداية فلم يلبثوا أن جهروا للعالم من خلال البيان أن هذه الشرارة هي شرارة التحرير و الانعتاق من ليل استعماري طويل دام أكثر من قرن[**] عانى فيها الشعب الجزائري كل أنواع الحرمان و العنصرية.[4]

لقد كانت هذه المبادرة الهادفة إلى استرجاع السيادة الوطنية و إقامة نظام سياسي مستمد من المبادئ الإسلامية و احترام مبادئ الحرية دون تمييز بين الأفراد (حسب ما جاء في بيان أول نوفمبر) من القرارات التاريخية بالنسبة لجميع الفئات الاجتماعية في الجزائر، فقد سعى هؤلاء الشبان الثوريون إلى تعبئة الأفراد و الأحزاب و الجمعيات الوطنية للتخلص من الهيمنة الفرنسية، ذلك هو الهدف المشترك الذي يقنع الجزائريين بالتخلي عن الخلافات الإيديولوجية و السياسية و الانخراط في صفوف الثورة و تشكيل جبهة

---

[1] محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث قسنطينة، 1984، ص 184.

[*] كان من المقرر أن يلتحق محمد بوضياف بالقاهرة و يتصل بالوفد الخارجي حيث يزوده بالوثائق اللازمة لإعلان الثورة و إذاعة بيان أول نوفمبر على أمواج صوت العرب من القاهرة غير أن إجراءات الحصول على التأشيرة من سفارة مصر بسويسرا جعلته يتأخر و لا يصل إلى القاهرة إلا يوم 02 نوفمبر 1954 و مع ذلك تمكن من إرسال بيان أول نوفمبر بالبريد السريع إلى القاهرة و أذيع في الوقت المحدد له، ينظر:

Amar hamadani krim belkacem,le lion des djabels. Paris, balland , 1973, p p 129-131.

[2] محمد الطيب العلوي: بيان أول نوفمبر و الظروف التي صدر فيها، مجلة الطريق إلى نوفمبر كما يرويه المجاهدون، المقاومة الوطنية و الحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر 1954، المجلد 01، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ص ص 176-180.

[*] أصيبت الصحافة الفرنسية اليمينية الصادرة في الجزائر أو فرنسا بالجنون و الهلع و أجمعت كصوت واحد على المناداة بضرورة القضاء على الثورة بكل الوسائل من بينها: L'echo d'alger, le journal d'alger, la dépeche, la dépeche algerienne، في الجزائر و في فرنسا جريدة France tireur ينظر: مولود قاسم: ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر، المصدر السابق، ص 126.

[3] محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994، ص 249.

[**] يذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار أن الفترة التي سادت فيها دولة الأمير عبد القادر في الجزائر و أيضا فترة الثورة خارج فترة الاحتلال: د. زهير إحدادن: محاضرة في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم، فندق الأوراسي 27 مارس 2005.

[4] عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص 17.

جديدة لمواجهة العدو المشترك الذي هو فرنسا و تأكدت هذه الحقيقة في بيان أول نوفمبر 1954 حيث أوضح قادة الثورة أنهم بعيدون عن الأطراف المتنازعة عن السلطة و أن حركتهم الثورية قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار[1].

و كانت هذه المبادئ إجابات عن تساؤلات عديدة طرحت على الساحة السياسية الجزائرية إبان تلك الفترة و منها ما حقيقة هذه الأحداث و أي نتائج ستحققها إلى غير ذلك من التساؤلات[2]؟.

و إذا كان معلوم لدينا أن العديد من القوى السياسية في الجزائر و في المهجر وقفت موقفا مترددا يغلب عليه الحذر و الشك[*] فإن فصيل من التيار الوطني كان على ثقة بصحة الاختيار الثوري كوسيلة للتحرر[3].

و من هنا فإن مترجمنا مولود قاسم و حسب رواياته فإنه انضم إلى صفوف الثورة في بداية عهدها و ذلك في ديسمبر 1954[4]، و انطلاقا من موقعه في المهجر راح يشيد بالمولود الجديد في وقت كان فيه المناضلون الجزائريون في فرنسا مختلفين تبعا لقياداتهم الحزبية لذلك فالمناضلون الوطنيون في فرنسا -كما في الجزائر و وجدوا أنفسهم في نفس المأزق الذي وقعت فيه الحركة الوطنية في الجزائر بانقسامهم هم الآخرين إلى مجموعات متنازعة[*]، كان أكثرها تأثيرا و انتشارا في أوساط المهاجرين فيدرالية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و التي كان مترجمنا عضوا فيها[**] و التي مهدت الطريق لميلاد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني 1954[***].،و

---

[1] بيان الفاتح نوفمبر 1954، ملفات وثائقية رقم 24: نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962، الجزائر، وزارة الإعلام و الثقافة 1976، ص 07.

[2] محمد الطيب العلوي: بيان نوفمبر و الظروف التي صدر فيها، مرجع سابق، ص 180.

[*] هذا ما أكدته البلاغات و التصريحات الصادرة عن الأحزاب السياسية و الهيئات في الجزائر عشية اندلاع الثورة فقد وصفها البيانيون و المركزيون بالحوادث الخطيرة و قال عنها المصاليون بأنها حوادث مماثلة لحوادث تونس و المغرب أما الشيوعيون فاكتفوا بوصفها فقط بأنها حوادث. ينظر:

مولود قاسم: المرجع السابق ، ص 61.

[3] محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص 154.

[4] السيرة الذاتية لمولود قاسم، إدارة جبهة التحرير الوطني 20 فيفري 1984.

[*] وجود ثلاث مجموعات: المصاليون و المركزيون و أنصار المنظمة الخاصة.

[**] تأسست في سنة 1946 على أنقاض المندوبية الدائمة التابعة لحزب الشعب المحل، ينظر إلى

Mohamed fares, la participation des travailleurs algériens émigrés en France à la lutte de la libération nationale, 1954-1962, in lle ralentissement de la révolution algérienne, OP. cit, P 116.

[***] تعود فكرة إنشاء هذه الفيدرالية إلى المناضل محمد بوضياف عندما كلف مراد طربوس رئيسا لها و كان هدف المنظمة ضم معارضي الثورة من المصاليين و المركزيين القدماء و المحايدين، و قد قامت بتقسيم التراب الفرنسي إلى ست ولايات تماما كالجزائر و هي: باريس، ضواحي باريس، المنطقة الجنوبية الشرقية لفرنسا، الضاحية الجنوبية الغربية؟، المنطقة الشمالية الشرقية، و المنطقة الشمالية الغربية، و توسع نشاطها فيما بعد إلى بلجيكا و سويسرا و ألمانيا، ينظر:

الدكتور أحمد صاري: شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية 2004، ص ص 156-157،

أيضا M. Fares, OP. cit, P. 116.

بفضل نشاطها الدعائي و التنظيمي المحكم فقد انتصرت على مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية[****]، و واصلت مهمتها في تأطير الجالية الجزائرية المهاجرة و ربطها بالثورة الجزائرية[1] في الداخل و تجنيد العمال و الطلبة في معركة التحرير و تعبئة الطاقات البشرية و المادية و التنظيمية و النضالية من أجل تحسيس الرأي العام الفرنسي بمشروعية نضال الشعب الجزائري و عدالة قضيته[2].

و إذا كانت هذه المواقف تعبر و بوضوح عن مواقف مجموعات التيار الاستقلالي من الثورة فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تصدر أي تعليق إلا في 05 نوفمبر 1954 حيث نشرت جريدة البصائر تعليقا ورد فيه "لحد الساعة لم نتصل بالتفاصيل المقنعة عن الحوادث و ليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف و شركات الأخبار"[3].

و نعتقد أن هذا الموقف مرده إلى أن الجمعية كانت دوما تتوخى الحذر في اتخاذ المواقف خاصة أن الثورة في أيامها الأولى كما أن قادتها لازالوا غير معروفين لدى الكثير من السياسيين.

و إذا كان خوف الجمعية في الجزائر من رد فعل الاستعمار و بطشه قد منعها من المجاهرة بموقفها فإن الشيخ الفضيل الورتلاني ممثلها في القاهرة كان قد نشر مقالا في 03 نوفمبر1954 كان عنوانه "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء"[4]، ثم صدر بيان ثان عن مكتب القاهرة يوم 15 نوفمبر 1954 بإمضاء البشير الإبراهيمي عنوانه "نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد" و قد حمل في ثناياه دعوة صريحة للجهاد و مساندة الثورة[5].

و إذا عدنا إلى تتبع مسار مولود قاسم إبان هذه الفترة فإننا نجد صعوبة في تحديد نشاطه و عمله في الاتجاه الثوري و قد يعود هذا إلى :

[****] M.N.A أسسها مصالي الحاج في 05 ديسمبر 1954 كجبهة موازية و معارضة للثورة و نستطيع القول أنها شكلت إحدى أكبر الصعوبات التي واجهت الثـورة خصوصا في بدايتها، ينظر: أحمد صاري: المرجع السابق، ص 156، أيضا بن يمين سطورة: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية (1898-1974)، منشورات الـذكرى الاربعين للاستقلال، الجزائر، 1998، ص 228.

[1] Mohamed harbi, le F. L. N, mirage et réalité, Op. cit, P 53.

[2] سعد بزيان: صفحات عن دور العمال الجزائريين في المهجر في ثورة نوفمبر1954، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، عدد 03، 1995، ص 176.

[3] -محمد العربي الزبيري : المرجع نفسه، ص 182.

[4] -الفضيل الورتلاني:الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 1992، ص 170.

[5] المرجع نفسه، ص 174.

1. أن الثورة كانت في بدايتها و حتى هذا التاريخ فإن عمل الثورة اقتصر بالدرجة الأولى على العمل الميداني في ساحة القتال "LE MAQUIS"

2. السياسة القمعية و الضغط على سكان الجزائر و أقرانهم في المهجر حتى لا تنتشر عدوى الثورة في أوساطهم*. فاتسع قمع وسائل السلطة من شرطة و جندرمة و شرطة حدود و هكذا فإن الإقبال على الانضمام إلى الثورة كان بصعوبة كبيرة[1].

3. انتقال القمع إلى الأوساط المهاجرة و في المقام الاول بين العمال الجزائريين في فرنسا[2].

و نعتقد أن مثل هذا الجو و هذه الظروف هي التي حملت مولود قاسم إلى:

أولا: أخذ الاحتياطات الواسعة في نشاطه و حركته عن ذي قبل.

ثانيا: راح يعمل على خلق أو إيجاد مجال يجعله دائما على اتصال بأحداث وطنه الثائر.

و إذا كانت الفترة الممتدة من 1954-1956 فترة دراسة و تحصيل بالنسبة لمولود قاسم أرفقها بنشاط متواضع للدعاية للمولود الجديد –الثورة التحريرية- فإن الحقبة التي تليها تعد في رأينا مرحلة العطاء الواسع للثورة التحريرية و في المقام الأول في الدعاية للثورة في الأوساط الأوربية من طلبة و أساتذة و أصحاب الرأي المستنير[3].

و كانت البداية في صفوف الطلبة في فرنسا حيث نجدهم في طليعة الطلبة الذين لبوا دعوة جبهة التحرير الوطني لمقاطعة الدراسة و ذلك للتعبير عن:

أولا: مساندة هذا الفصيل لخيار الثورة[4].

---

* تمركز النشاط السياسي لجبهة التحرير منذ بداية الثورة بفرنسا بسبب حرية التحرر و التعبير و استفحال عمليات اضطهاد الوطنيين و لهذا اعتبرها بعض الكتاب بمثابة الولاية السابعة خلال الثورة التحريرية. ينظر: عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 544.

[1] Ali HAROUNE, la 7 eme wilaya : la guerre du FLN en France, 1954-1962, Alger, editions RAHMA, 1992, p.307.

[2] IBID, P307.

[3] د. محمد العربي ولد خليفة: كيف نثمن مكاسب النصر المادي و المعنوي للثورة الجزائرية؟، يومية العالم السياسي، 18 أوت 1998، ص 03.

[4] د. يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 350.

ثانيا: ردا على الدعاية الفرنسية القائلة بأن دعاة الثورة هم لصوص و لا يعبرون عن حقيقة الشعب الجزائري و في نفس الوقت إفشال محاولات المصاليين لصد الطلبة عن المشاركة في الثورة[1].

و المؤكد أن المقصود بهذا هم الطلبة الذين ينهلون من العلوم و الثقافة الفرنسية و هو ما أصاب السلطات الفرنسية بالارتباك و الهلع لأنها فقدت الأمل في فئة طالما اعتبرتها الركيزة التي تستند إليها من أجل تحقيق الجزائر الفرنسية، ألم يقل ذات يوم الحاكم العام نايجلان[2]: "إن مستقبل الجزائر المسلمة يحضر الآن في المدارس الفرنسية".

إلا أن هذا اليقين تحول إلى فاجعة للفرنسيين عندما رد الطلبة هذا الادعاء و جهروا بإعلانهم لمؤازرة ثورة شعبهم و قياداتها الشبانية.[3]

و الجدير بالذكر أن انضمام الطلبة للثورة التحريرية لم يأت من فراغ كما يعتقد الكثيرون بل أن هذا الانضمام جاء لإحساس هذا الفصيل من الشعب الجزائري بالتعديات الحقيقية للنظام البورجوازي الكولونيالي الذي طالما عاشته هذه الفئة في المدرسة و الثانوية و الجامعة و غيرها من المؤسسات التي كانت تفرق بين نوعين من المواطنين: مواطن كامل الحقوق و هم الأوربيون، و مواطن من الدرجة الثانية و هم الأهالي المسلمون الجزائريون.[4]

لقد كان لإضراب الطلبة المسلمين الجزائريين الذي استمر إلى غاية يوم 14 أكتوبر 1957[5] أن رافقته إجراءات إدارية بوليسية الهدف منها إفشال الإضراب و حمل الطلبة المسلمين للعودة إلى مقاعد الدراسة، و حين فشلت هذه المحاولة راحت هذه الإدارة

---

[1] Guy pevrille : les étudiants algériens de l'université française , 1830-1962 preface de : chorle robert ageron , édition du centre national et la recherche scientifique, France 1984, p.116.

[2] - عبد الله حمادي : الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 – مرجع سابق ص 17.

[3] Guy Perville : OP.cit, P129

[4] -عبد الكريم بوالصفصاف: الطلبة الجزائريون يلبون نداء الواجب الوطني و يلتحقون بصفوف الثورة، جريدة النصر اليومية عدد: 4997، الأربعاء 19 ماي 1982، ص 06.

[5] Guy Perville OP.cit, P.134

تتابع العناصر النشيطة من التنظيم الطلابي في فرنسا* فاستخدمت وسائل القمع و الاضطهاد و أقدمت على اعتقال الطلبة الذين اشتركوا في الإضراب بتهمة الإخلال بالأمن العام و قامت بمحاكمتهم و سجنهم و سلطت عليهم شتى أنواع العقوبات[1]

مما حمل مترجمنا مولود قاسم إلى الانتقال إلى بلد آخر قد يجد فيه هامشا من الحرية لإكمال رسالته فكانت الوجهة إلى تشيكوسلوفاكيا** البلد الاشتراكي الذي يؤازر الثورات التحريرية في العالم[2] هذا من جهة و من جهة أخرى كان اختيار جامعة براغ لقربها الجغرافي و حتى اللغوي من ألمانيا هذان العاملان شجعا مولود قاسم إلى الإقبال على التسجيل في الجامعة بعد حصوله على منحة ضمن المنح التي تقدمت بها دول صديقة للثورة و منظمات عالمية[3]

و بالرغم من التسهيلات و الظروف الملائمة في براغ –المنحة، اللغة، هامش الحرية- غير أن مكوث مولود قاسم في تشيكوسلوفاكيا لم يتعد أربعة أشهر (ديسمبر 1956-أفريل 1957) و قد يعود هذا حسب رواية مولود قاسم نفسه إلى المنهج و الإيديولوجية المعتمدة في جامعة براغ في التدريس و التحليل و التنظير إلى الماركسية اللينينية و هذا يتعارض مع الثقافة العربية الإسلامية لمولود قاسم فانتقل إلى ألمانيا الغربية و إلى مدينة بون بالتحديد طالبا العلم و راغبا في إتمام دراسته الجامعية[4].

في بون ألمانيا الغربية :

إن اختيار مولود قاسم ألمانيا الغربية لم يكن اختيارا عفويا بل يعود لكون هذه الأخيرة كانت قبل هذا التاريخ ملجأ و مركزا للمعارضة المغاربية* للوجود الاستعماري في شمال إفريقيا منذ فاتحه القرن العشرين و أثناء الحرب الكونية الأولى (1914-1918) فشجعه هذا إلى الاستقرار في ألمانيا و العمل في سبيل القضية المقدسة –الثورة التحريرية- و بوصوله إلى بلاد الجرمان في أفريل 1957

---

* لم تلبث الإدارة الفرنسية أن أصدرت قرارا بحل التنظيم و هو الاتحاد العام للطلبة الجزائريين في 28 جانفي 1958، ينظر: ELMODJAHID, N°27 Novembre 1958.

[1] اعمار هلال: نشاط الطلبة الجزائريين إبان الثورة التحريرية، دراسة خاصة بطلاب المشرق العربي، مجلة الثقافة عدد 92 مارس أفريل 1986 ص55.

** تحصل مترجمنا على منحة دراسية رفقة 18 طالبا و كانت المنح تعطى أساسا للطلبة المطاردين و الذين تعرضوا للسجن في فرنسا و الذين حرموا من الدراسة نتيجة الإضراب في حين لم يستفد الطلبة الجزائريون غير المضربين ينظر: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المرجع السابق، ص 482.

[2] اسماعيل دبش: السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 201.

[3] ELMODJAHID : N°32 Novembre 1958, P.94.

[4] مولود قاسم: جريدة الجمهورية يوم 1985/07/13 مرجع سابق.

* في الحرب العالمية الأولى كانت ألمانيا معقل المعارضة المغربية المعروفة "بلجنة برلين comité de Berlin" ضمت هذه اللجنة أسماء معروفة و مشهورة من الوطنيين الجزائريين و التونسيين و المغاربة.

التحق بجامعة بون لمواصلة دراسته التي كان قد قطعها في براغ و بعد شهرين انضم إلى مكتب الجامعة العربية بغرض العمل و الكسب لتلبية حاجاته المعيشية كونه إبان هذه الفترة كان قد فقد امتياز المنحة الدراسية التي استفاد منها بجامعة براغ هذا من جهة و من جهة أخرى لكي يبقى على اتصال بعالمه العربي الإسلامي و الوقوف على الأخبار التي تأتي من الوطن الجريح الجزائر[1]

و هكذا عاود مولود قاسم نشاطه الحثيث الذي تميز به أيام كان في القاهرة و لجنة تحرير المغرب العربي فكان مكتب الجامعة العربية بحق منبرا مهما بالنسبة لمولود قاسم صال و جال فيه شارحا فيه شرعية الكفاح المسلح في الجزائر و أحقية الشعب الجزائري في التمتع بالحرية و الاستقلال كسائر أمم الدنيا[2]

و إذا ما أراد الباحث تصنيف المساهمة أو العمل النضالي لمولود قاسم فإنه يمكن القول أن هذا النشاط مس ثلاث جوانب أساسية:

1. الجانب السياسي.
2. الجانب الإعلامي.
3. الجانب العسكري.

1. الجانب السياسي:

في الحقل السياسي كان عمل مولود قاسم يتركز في المقام الأول على شرح واقع الاستعمار أو بمعنى أدق فضح الأعمال الاستعمارية في الجزائر، هذا الواقع الذي تميز بالظلم الواسع و الاستغلال اللاإنساني للجزائريين من قبل الطغمة الحاكمة في الجزائر المتمثلة في الكولون و تعنتها و صم آذانها أمام كل النداءات من أجل تحسين و إصلاح حالة المسلمين الجزائريين.[3]

فكان عمل النخبة الجزائرية المتواجدة في الخارج أن تتصدى بالشرح و تبيان تجاوزات السلطة الكولونيالية و تعسف وسائلها تجاه الأفراد و الجماعات الأهلية المسلمة هذه التجاوزات التي لم يسلم منها لا البلاد و لا العباد.[1]

---

[1] سعد بزيان: محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم نايت بلقاسم، فندق الأوراسي الجزائر، 28 مارس 2005.

[2] المصدر نفسه.

[3] محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992) الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2000، ص 23.

و قد اعترضت هذه النخبة صعوبات منها أن العمل السياسي في أوربا يختلف عنه في المشرق العربي مثلا أو في أوربا الشرقية[2] فالرأي العام في أوربا الغربية كان يسبح في فلك الدعاية الفرنسية القائلة بأن الوجود الفرنسي في الجزائر جاء لتمدين سكان هذه المستعمرة و إدخال وسائل الحضارة و المدنية الحديثة.[3]

و الحق أن التبجح من طرف أساطين الاستعمار و جهاته الرسمية كان حجرة عثرة أمام عمل هذه الأصوات الجزائرية المتصاعدة فكان العمل و الاعتماد الأول على الأوساط الليبرالية و أصحاب الفكر المستنير و المتمثل إما في الأحزاب المعادية للنهج الاستعماري أو تلك الشخصيات الأدبية و الفكرية[4] التي تدافع عن حقوق الإنسان و الجهات المناصرة لحق الشعب الجزائري في العيش الكريم.[5]

أما العمل الثاني فهو الدعوة إلى تمكين الشعب الجزائري من حقوقه الطبيعية في بلاده و هذا يتأتى بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير المقدس بالنسبة لأمم و شعوب العالم إبان هذه الفترة.

و هكذا تنوع نشاط مولود قاسم و صحبه في ألمانيا فقد كانوا ينظمون محاضرات و مسامرات في الأوساط الطلابية الألمانية بهدف شرح القضية الجزائرية و التعريف بالثورة الشرعية في الجزائر كما كانوا على اتصال بالمنظمات الحكومية و غير الحكومية كالمنظمات الخيرية و الحقوقية المسيحية منها و غير المسيحية.

2- الجانب الإعلامي:

[1] Guy Perville : OP. cit, P.134.

[2] ELMODJAHID N° 31, 1 Novembre 1958, P 55.

[3] محمد العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون و الثورة. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 08.

[4] محمد الأمين بلغيث: موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب في السجون و المحتشدات أثناء الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر عدد 05 صف 2001، ص ص 192، 193.

[5] عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية 1954-1962 دار الشهاب باتنة 1995، ص ص 70-83.

من المجالات التي راهنت عليها الثورة الجزائرية هي كسب أنصار للقضية الجزائرية في المحافل الدولية و الوصول إلى تأليب الرأي العام الدولي ضد التعنت الاستعماري[1] و كان لإنجاز هذا الغرض من قبل إطارات الثورة العمل الكثير في مجال الدعاية و الشرح و تقديم الحجج الدامغة على عدلية المطلب الجزائري في العيش الكريم و في البلاد المستقلة.

و إذا كان معلوم لدينا أن هذه الدعاية تعود إلى فترة الحركة الوطنية –عمل حزب الشعب و جمعية العلماء و شخصيات جزائرية معروفة- فإننا نجد أن هذه الدعاية تتوسع و تنظم أكثر أيام حرب التحرير و حسب رواية بعض من امتهن بالدعاية من أمثال محمد يزيد* فإن تشكيل جهاز للدعاية للثورة يكون قادرا على إبطال الافتراءات و الادعاءات الاستعمارية، كانت من القضايا التي شغلت بحق الرعيل الأول الذي عمل في هذا المجال[2].

و دائما حسب رواية من كان لهم شرف ممارسة هاته المسؤولية فإن جهاز الدعاية و الإعلام إبان الثورة يعود لتلك المحاولات المتواضعة التي بدأها الطلبة في المنفى و بعض قيادي الأحزاب السياسية المشار إليها آنفا و كانت الانطلاقة من تونس و مراكش ثم ليبيا فبلاد مصر و الحجاز و بلاد الشام ثم توسعت لتشمل العديد من الدول الأوربية و الأمريكيتين[3].

و هكذا و بعد مرور فترة وجيزة على اندلاع الثورة التحريرية 1954 بدأت تتشكل النواة الأولى لتنظيم الدعاية و الإعلام للثورة التحريرية[4].

و إذا كان النشاط السياسي الذي عرفناه آنفا في حقيقته بداية النضال في أوربا الغربية و ألمانيا تحديدا فإن هذا النشاط سوف يتوسع و يتحدد أكثر بعد وصول الوفد الرسمي لجبهة التحرير الوطني الراعية للعمل المسلح في الجزائر بقيادة المناضل الدكتور محمد الأمين

---

[1] أحمد حمدي: الثورة الجزائرية و الإعلام، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995، ص 109.

*مناضل و دبلوماسي حرازي ولد سنة 1923 بالبليدة من أب جزائري مسلم كان ضابطا في الجيش الفرنسي تعلم بمدينة الورود، بعد حصوله على شهادة البكالوريا انتقل إلى باريس سنة 1945 ليسجل في معهد اللغات الشرقية بكلية الحقوق، شغل و هو طالب منصب السكرتير العام لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ثم عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار الحريات الديمقراطية التحق بالثورة مبكرا و مثل جبهة التحرير الوطني في باندونغ و في نيويورك، شغل منصب وزير الإعلام في الحكومة المؤقتة، بعد الاستقلال ساهم في وضع ميثاق الجزائر 1964، توفي في 31 أكتوبر 2003: ينظر : معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، مرجع سابق، ص ص 379، 380.

[2] -مقابلة مع صالح بلقبي فندق الأوراسي، الجزائر، 28 مارس 2005.

[3] صالح بلقبي المقابلة نفسها.

[4] أحمد حمدي المرجع السابق، ص ص 38-39.

دباغين* المكلف بالعلاقات الخارجية للثورة التحريرية في إطار لجنة التنسيق و التنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 و بمجرد وصول الوفد شرع في تنصيب الأعضاء الدائمين له في ألمانيا حيث أوكلت الرئاسة إلى عبد الحفيظ كرامان[1] أما النيابة فكانت من نصيب مولود قاسم لما أظهره من نشاط في سبيل التعريف بالقضية الجزائرية.

و الجدير بالذكر أن مهام نيابة الوفد في الخارج كانت تصب في العمل على إيصال صوت الثورة و الدعاية لها في الدول الأوربية هذا من جهة و من جهة أخرى الإشراف على الناحية الثقافية للجزائريين المقيمين في أوربا الغربية[2] و نظرا للإمكانيات المتواضعة للثورة فقد كانت هذه النيابة تشرف على ثلاث دول أوربية هي: ألمانيا و النمسا و هولندا.

تصدى هذا الجهاز إلى جملة من القضايا التي كانت تشغل قادة الثورة التحريرية و هم يواجهون دولة استعمارية قوية في جانبها العسكري و عريقة في العمل الدعائي و الإعلامي لما تمتلكه من منظري الاستعمار في الجزائر و فرنسا[3]، و من هنا و حسب اعتقادنا فإن التنظيم الإعلامي و الدعائي للثورة قد قسم المواضيع و القضايا التي يجب الاهتمام بها في سبيل الوصول أولا إلى إبطال الدعاية الفرنسية المغرضة من جهة و فضح جرائم الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى[4].

فعلى سبيل المثال كانت قضية إقناع الرأي العام الأوربي بحقيقة الحرب القائمة ضد الوجود الفرنسي في الجزائر و أن هذه الحرب هي حرب تحريرية و أن ادعاء فرنسا بأن الثورة هي عمل فردي معزول تقوم به جماعات لا تعدو أن تكون عصابة لصوص و إرهابيين يؤتمرون بأوامر من الخارج[5]، فهذه الادعاءات تصدت لها هاته الثلة من الشباب المنخرطين في تنظيم الدعاية و الإعلام –الوفد

---

* طبيب و مناضل سياسي ولد بالعاصمة سنة 1917 زاول دراسته في مدينة شرشال تحصل على الباكالوريا و تابع دراسته الجامعية بمعهد الطب، انخرط في تنظيم الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا و في صفوف حزب الشعب الجزائري منذ 1939 و أصبح عضوا قياديا في حزب حركة الانتصار و في الثورة شغل منصب وزير خارجية الحكومة المؤقتة بعد الاستقلال ابتعد عن النشاط السياسي و تفرغ لمهنة الطب حتى توفي في 2003. ينظر: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين المرجع السابق، ص ص 119-120.

[1] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المرجع السابق، ص 338.

[2] د. يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، ط1، 1980، دار البعث، قسنطينة، ص 338.

[3] الزبير سيف الإسلام: مواقف الصحافة الفرنسية غداة اندلاع الثورة المسلحة، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1988،ص 63.

[4] يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، المرجع السابق، ص 340.

[5] عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996 ،ص 779.

الدائم لجبهة التحرير الوطني- الذين ما فتئوا أن يشرحوا على أعمدة الصحافة الأوربية و المحلية مثلا أنة هذه الأعمال في الجزائر هي في حقيقتها ثورة شعبية جاءت نتيجة الضغط الاستعماري الذي امتد من 1830 إلى 1954 أي قرن و ربع القرن -124 سنة-[1].

كما جاءت هذه الشروح في الخطب و المحاضرات أثناء التجمعات التي نظمها الوفد الدائم في أكثر من ناحية و مدينة، و حتى يقرب أعضاء الوفد الدائم هذه الحقائق للمستمع و المشاهد الأوربي و تتمكن من إقناعه استعانوا بالأفلام الوثائقية* التي صورت يوميات المجاهدين في المناطق المختلفة مثل الجزائر الأوراس و بلاد القبائل و الشمال القسنطيني[2].

و بهذه الطريقة الجديدة و حسب رأي القائمين عليها و منهم مترجمنا أصبح الرأي العام الأوربي على الأقل في هذه الفترة يتساءل عن حقيقة ما تقدمه الصحافة الفرنسية و أبواقها و من يدور في فلكها من الدول الأوربية التي تسيطر عليها الحكومات العنصرية الحليفة لفرنسا[3].

إلى جانب المحاضرات و تقديم الأفلام الوثائقية فقد شارك أعضاء الوفد الدائم في العديد من الحصص التلفزيونية فقد أدرج تلفزيون هامبورغ في إحدى الحصص المسماة بانوراما موضوعا يخص الكفاح المسلح في الجزائر بحضور أعضاء من الوفد قدموا شروحا و توضيحات عن بعض الاستفسارات للقائمين على هذه الحصة و تدخل هذه الشروح في إظهار الوجه الحقيقي للثورة التحريرية الجزائرية.[4]

إلى جانب هذا فقد سجلنا لهذا التنظيم وقفة لا تقل أهمية عن القضايا الأخرى ألا و هي دحض الادعاء القائل حسب تعبير مولود قاسم "جزئية الجزائر من فرنسا التي لا تتجزأ" و اعتبارها أكذوبة تاريخية و حضارية و مغالطة استعمارية الهدف منها البقاء على أرض الجزائر و استغلال خيراتها الاقتصادية، و قد تطلب إقناع الرأي العام الأوربي بعدم صحة ما تقدمه الإدارة الفرنسية الرجوع

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص 340.

* اعتمد الجزائريون على كل الوسائل الممكنة فإلى جانب استعمال الدبلوماسية لفك الحصار المفروض عليهم و إسماع صوتهم في الخارج بحثا عن مصير اعتمدوا أيضا على الوسائل الإعلامية التي لم تقتصر على الصحف و النشريات بل تعدتها إلى السينما، ينظر:

production cinématographique 1957-1973, catalogue publié par le ministère de l'information et de la culture. Alger, 1974.

[2] عبد الله شريط مرجع سابق 836.

[3] المرجع نفسه، ص 779.

[4] مولود قاسم: أصالية أم انفصالية، ج2، مصدر سابق، ص 422.

بالبحث و الدراسة و التنقيب و تقديم الحجج التاريخية و الحضارية الدامغة بأن الكيان الجزائري وجد قبل مجيء الفرنسيين بل أن سكانها تمتعوا بالهيبة و الاستقلال قرونا عديدة أيام الجزائر المحروسة –في العهد العثماني-[1].

و حتى تقرب هذه النخبة الفكرة أكثر للرأي العام الفرنسي و الأوربي راحت تستدل من الدراسات الفرنسية نفسها التي تعترف بجزائرية الجزائر و أنها جزء من العالم العربي و الإسلامي و هم بذلك –أي الرجوع إلى المصادر الفرنسية يريدون القول و شهد شاهد من أهلها-[2].

و كانت روايات من عايشوا مترجمنا في تلك الفترة لتؤكد ما دأب عليه مولود قاسم في هذا المجال حيث جاء على لسان الدكتور أبو العيد دودو الشهادة التالية[3]: "استمعت إليه أكثر من مرة و هو يخاطب مستمعيه بلغة ألمانية واضحة و يحدثهم عن الدولة الجزائرية قبل الاحتلال و عن فضائع الاستعمار منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر كما كان يحدثهم عن المقاومة الوطنية في فتراتها المختلفة إلى أن يصل بها إلى انطلاق الثورة المجيدة.".

و الحق أن هذا العمل بدأ يؤتي أكله فحسب المعاصرين فإن الرأي العام الألماني مثلا أصبح يراجع نفسه في الحكم على حقيقة و واقع الأحداث في الجزائر[*]، فالصحافة الألمانية مثلا التي كانت تحت تأثير الضغط الفرنسي من الخارج و تأثير بعض الشخصيات النافذة في السلطة من الداخل كانت تكتب بالحروف الكبيرة عن حفنة المتمردين على سيادة دولة حليفة و عن قطاع الطرق و عن العشائر المتوحشة النافرة من المدينة و الحضارة أصبحت فيما بعد تغير لهجتها و تراجع مواقفها و تكتب بحذر و بموضوعية و تارة بشجاعة و جرأة وصلت إلى حد مطالبة الحكومة الألمانية بمراجعة موقفها من الثورة الجزائرية[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث معهد الدراسات العربية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 159.

[2] الأمين بشيشي: دور الإعلام في معركة التحرير، مجلة الثقافة السنة الثامنة عشر عدد 104 أكتوبر، 1994، ص 65.

[3] د. أبو العيد دودو: عن د. أحمد بن نعمان، مرجع السابق، ص 232.

[*] من بين المؤرخين الذين حاولوا أن ينصفوا الجزائريين في كفاحهم ضد الاستعمار الفرنسي المؤرخ: شارل أندري جوليان المعروف بالاتجاه الاشتراكي و الاطلاع الواسع و الصراحة و الاهتمام بقضايا شمال إفريقيا. ينظر: د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981، ص 59.

[4] Mohamed harbi, une vie debout, mémoire politique, tome 1, 1945-1962, alger, casbah, édition 2001, pp. 187-189.

لم تتوقف هذه الأصوات عند هذا الحد بل نجدها تردد و ترفع صوتها منادية بوضع حد للجرائم اللاإنسانية التي تقترف في الجزائر فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد صحيفة Die Welt كتبت ذات مرة عن المحازر الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و التحقت بها جريدة der spiegel*، هذه الأخيرة خصصت حيزا من أعدادها للحديث عن جرائم المنظمات الإرهابية الفرنسية ضد مناضلي جبهة التحرير الوطني في القارة الأوربية مثلما كان الحال في ألمانيا و كذا إيطاليا و بلجيكا و سويسرا.[1]

لقد كان لنجاح الدعاية للثورة الجزائرية في ألمانيا أن حفز أعضاء المكتب الدائم إلى التطلع إلى بلدان أخرى لتوسيع منبر جبهة التحرير الوطني في أوربا و كانت النمسا هي الوجهة الثانية التي قصدها أعضاء الوفد الدائم لجبهة التحرير الوطني و قد يعود هذا لكون هذه الأخيرة أظهرت نوعا من العطف و المناصرة للثورة التحريرية من قبل بعض الجهات النمساوية كالحزب الاشتراكي النمساوي و نقابة العمل النمساوية و بعض رجال الدين كالكاردينال كونيغ KOENIG و بعض رجالات الفكر و السياسة مثل وزير الخارجية النمساوي برونوكرايسكي[2].

ظل الوفد الدائم لجبهة التحرير الوطني ينتقل بين بون و فيينا حاملا معه القضية الجزائرية بكل همومها و تطلعاتها لغد أفضل.

و الحق أن هذا الجهد و النشاط الدؤوب أثمر في مواقع و أخفق في قضايا أخرى بفضل نشاط هذا الوفد، فقد استطاع هذا الفريق أن يحمل في مرات عديدة بعض حالات التطبيب المستعصية في جبهات القتال بالجزائر إلى المستشفيات و دور الصحة في النمسا و تمكنها بوساطة بعض النقابيين الأحرار إلى تلقي العلاج اللازم و هذا حسب ما أورده مولود قاسم نايت بلقاسم نفسه[3].

لم تتوقف نشاطات المكتب الدائم لجبهة التحرير الوطني عند حد الدعاية و جمع الأصوات المؤيدة للثورة بل ذهبوا إلى أبعد من هذا حيث راحوا يعملون سرا على جعل هذه البلدان: ألمانيا هولندا مراكز لوجيستيكية تستقبل الضباط و الجنود الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي و تعمل على ترتيب أمورهم للالتحاق مرة ثانية بصفوف جيش التحرير الوطني كما حول بعض مناطق هذه البلدان مراكز لجمع الأسلحة و الذخيرة و إرسالها إلى ساحة المعركة و بهذا فإن الوفد قد نقل نقلة نوعية عمله و نشاطه في أوربا و أصبح أكثر

---

* die welt، der spiegel جريدتان ألمانيتان أسبوعيتان محايدتان.

[1] مولود قاسم: أصالة أم الانفصالية، ج2، المصدر السابق، ص 420.

[2] مولود قاسم: إينة و أصالة: مصدر سابق، ص 453.

[3] المرجع نفسه، ص 453.

التحاما مع العمل الثوري التحرري في الوطن الأم[1]، و هي الصورة التي ينقلها السعيد آيت مسعودان –الوزير الأسبق- في شهادته حيث قال: [2]"... شاءت الصدفة أن ألتقي بمولود قاسم في جانفي 1959 في مكتب جبهة التحرير الوطني في بون و كان ذلك على إثر فراري من الجيش الفرنسي كملازم أول طيار في السرب الثالث عشر للقوات الجوية الفرنسية، الكائن في مدينة كولمار شرق فرنسا في طريقي للالتحاق بجيش التحرير الوطني ... و قد وجدت مولود قاسم بصحبة عبد الحفيظ كرامان و عبد الحميد بوعتورة* و كانت أول كلمة سمعتها من مولود معلقا على القرار الذي اتخذته –و يقصد بذلك فراري من الجيش الفرنسي- بأنه من القرارات المصيرية التي يتخذها المرء في حياته."، ثم يضيف السعيد آيت مسعودان في شهادته قائلا[3]: " لقد كان لاتصال و احتكاكي بهذا الأخ الكريم أثر عميق و حافز قوي في مسيرتي النضالية و الجهادية من أجل العزة و الكرامة و ترك ذلك في نفسي قناعة عميقة و قوية فيما يخص نوعية إطارات جبهة التحرير الوطني و عظمة هذه الجبهة إبان حرب التحرير.".

و لا ننهي الحديث عن نشاط و دور هذا الوفد دون الإشارة إلى ذلك الدور الإنساني و المتمثل في جمع التبرعات من الجمعيات الخيرية و المنظمات غير الحكومية و عطيات أصحاب البر و الإحسان كهبات و معونات إلى الجالية الجزائرية اللاجئة في البلدان المجاورة

–المغرب الأقصى و تونس- فكانت هذه المعونات عندما تصل إلى اللاجئين الجزائريين يعتبرونها هبة نزلت من السماء.[4] و بهذا كان عمل هذا الوفد متعدد الاختصاص ومما زاده أهمية هو كونه عمل تطبع على المغامرة و المخاطرة فكان الأعضاء معرضين دائما لمراقبة الشرطة و الاستخبارات التي تحد من حركتهم و نشاطهم و قد تتخذ إجراءات تتعارض مع تطلعاتهم النضالية خصوصا بعد إلحاح الجهات الرسمية الفرنسية التي كانت دائما تتشكي من الوجود الجزائري في هذه البلدان، بل نجدها أحيانا تتقدم بطلبات لتوقيف أو طرد أفراد و مجموعات محددة بالاسم و بالمهام و بالموقع المتواجدين فيه.

---

[1] جريدة المجاهد، عدد 68 يوم 16 ماي 1960، ص 02.

[2] سعيد آيت مسعودان: عن د. أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص 211.

* كان يشغل منصب مساعد رئيس المكتب المكلف بشؤون الهجرة.

[3] -المرجع نفسه ،ص 211.

[4] Rapport du haut commissariat des nations unies pour les refugies, New york 1964, P.13.

يضاف إلى ذلك تلك المبادرات تلك المبادرة الطيبة التي قامت بها المحافظة السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة إضافة إلى الصليب الأحمر الدولي و الهلال الأحمر الجزائري.

ينظر: Pierre montagnon, la guerre d'Algérie, Paris : pygmalion gerard watelet, 1984, PP.399-400.

و الحق أن عمل هذه النخبة في الأرض الأوربية كان قد تميز من البداية بالصعوبات الكبيرة فإلى جانب ملاحقة السلطات الفرنسية كانت هناك مشاكل عدة وقفت في وجه نشاط أعضاء الوفد الدائم و قد ترجع هذه المشاكل في طبيعتها إلى تشابك المصالح الرأسمالية مع مصالح الأنظمة السياسية في كل بقاع العالم بما فيها الدول العربية خاصة في تلك المرحلة التي اتسمت بالصراع الحاد بين المعسكرين الرأسمال و الاشتراكي للسيطرة على المناطق الحيوية في العالم.[1]

و لما بلغ نشاط هذه المجموعة مرحلة معتبرة من الفعالية مثل جمع السلاح و إيواء الجنود و الضباط الفارين من الجيش الفرنسي و الشخصيات السياسية المطلوبة من الاستخبارات الفرنسية في الجزائر و في فرنسا تدخلت الدول الاستعمارية و على مستوى عال هذه المرة (دوغل، أديناور) لحمل هذه الدول على توقيف و طرد هذه العناصر و هو ما كان عليه الحال فعلا مع قيادي الوفد الدائم فقد أوقفت شرطة بون في ربيع 1961 كلا من عبد الحفيظ كرمان و مولود قاسم و حكمت المحكمة بسجنهما لمدة شهرين مع التوصية بطردهما بعد قضاء فترة السجن من الأراضي الألمانية.[2]

[1] د. اسماعيل دبش: السياسة العربية و المواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية (1954-1962) مرجع سابق، ص 174.
في إطار الدعم المالي و العسكري الذي وجدته فرنسا من حلفائها الحلف الأطلسي علقت جريدة المجاهد قائلة "إذا كان الشعب الجزائري لم يكن يقاوم جنودا أمريكان أو أنجليز فإنه كان يواجه رصاصا أمريكيا و طائرات أمريكية و أموال الحلف الأطلسي التي تغذي الحرب الاستعمارية الفرنسية في بلاده" ينظر : جريدة المجاهد عدد 14، 15 ديسمبر 1957،ص 08.

[2] د. يحي بوعزيز: مقابلة سابقة.

في سويسرا و البلدان الاسكندنافية:

بعد طرد مولود قاسم من ألمانيا كانت سويسرا هي القبلة و الملجأ بالنسبة إليه فهي الدولة الأوربية المحايدة التي قد يجد فيها الملاذ البعيد عن الضغوطات و المتابعات البوليسية التي طالما ضايقته في ألمانيا و من قبل في فرنسا و خاصة أن سويسرا في هذه الفترة 1961 كانت قد شدت إليها المناضلين الجزائريين خصوصا و أنها الأرض التي احتضنت وفد جبهة التحرير المفاوض في إيفيان السويسرية* و لما أظهرت هذه الدولة من مناصرة دبلوماسية للثورة.[1]

والجدير بالذكر أن هذه الدولة كانت قد ساهمت في إدخال القضية الجزائرية إلى الحياة الدولية من الباب الواسع عندما سجلت انضمام الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى اتفاقيات جنيف الأربع و ذلك في 20 جوان 1960.[2]

و لما كانت الحكومة المؤقتة تخوض المعركة الدبلوماسية الشاقة و المعقدة للمفاوضات الصعبة و الطويلة التي دامت أكثر من 20 شهرا (25 جوان 1960 إلى 18 مارس 1962) تعرضت خلالها إلى المناورات و المساومات من الطرف الفرنسي و إلى خلافات بين الأطراف الجزائرية الفاعلة (السياسيين و العسكريين) حول محتوى الاستقلال و شكله و حول القواعد العسكرية و التجارب النووية في الصحراء و حول قضية الصحراء نفسها و كلها قضايا تتطلب عناصر مثقفة و متخصصة و ملمة بالجوانب التاريخية و القانونية و العسكرية لذلك استعانت الحكومة المؤقتة بهذه العناصر من أمثال محمد الصديق بن يحي و محمد بجاوي و للغرض نفسه استدعي مترجمنا من ألمانيا إلى جنيف في أفريل 1961 من طرف المناضل كريم بلقاسم قصد تكليفه بإنجاز بحث تاريخي عن الصحراء الجزائرية عندما أثارت فرنسا شكوكا حول شرعية تبعيتها للوطن الأم الجزائر و ذلك للرد على ادعاءات لويس جوكس* و جورج بومبيد**.

---

* كان توسط سويسرا في المفاوضات الجزائرية الفرنسية يعود إلى أوليفي لون OLIVIER LONG الذي تربطه علاقات ودية مع الطبيب السويسري جـين برنـار JEAN BERNARD و أيضا بعلاقات وثيقة مع ممثل الجزائر في روما و جنيف المناضل الطيب بلحروف و بفضل هذه العلاقة تمكن السيد لون من الاتصال بالوزير الفرنسي لويس جوكس و ماركس بوتي بيير رئيس قسم الشؤون السياسية بوزارة الخارجية السويسرية. ينظر: د. عمار بوحوش: مرجع سابق، ص 526.

[1] عبد القادر خليفي: المؤتمرات الأفروأسياوية و القضية الجزائرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر العدد 08 مـاي 2003، ص 222.

[2] محمد بجاوي: النصر الدبلوماسي و السياسي للجزائر في 20 جوان 1960، مجلة الثقافة، عدد 83، سبتمبر أكتوبر، 1984، ص 127.

*لويس جوكس وزير فرنسي و جورج بومبيدو و رئيس بنك روتشيلد.

** قال بومبيدو عن الصحراء الجزائرية عندما طرح ملفها للنقاش في المفاوضات "... إنها بحر له سواحل تسكنها شعوب ساحلية و الجزائر واحدة من هذه الشعوب و على فرنسا أن تستشير الجميع" ينظر: بن يوسف بن خدة: شهادات و مواقف، ط1، دار النعمان للطباعة و النشر، الجزائر، 2001، ص 106.

و نتيجة للقدرات الفائقة التي أظهرها مولود قاسم في إنجاز هذه المهمة فقد رأى قادة الثورة الاستعانة به هذه المرة في السويد ليكون نائبا لرئيس الوفد الدائم للحكومة المؤقتة في استكهولم ثم مكلفا بالسويد و فنلندا و النرويج و الدانمارك لحمل القضية الجزائرية هذه المرة إلى البلاد الاسكندنافية البعيدة التي حط بها في ديسمبر 1961 و كانت متطلبات المهمة تقتضي امتلاك أدوات الخطابة و التبليغ فانكب على تعلم اللغة السويدية التي خاطب بها الجماهير[1].

و خلال إقامته بهذه البلاد نجح في إقامة صداقات مع الصحافيين و الكتاب تعاطفوا مع القضية الجزائرية و كان من أبرزهم الكاتب و الصحفي السويدي فكتور فندي الذي ألف كتابا ضمنه معاناة الجزائريين في كفاحهم التحريري إضافة إلى التعرض إلى أوضاع اللاجئين على الحدود، كما وجد مترجمنا في تعاطف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم فرصة للتعريف بالقضية الجزائرية في هذه البلاد و ذلك عبر أعمدة الجرائد أو الحصص التلفزيوينية[2].إن تقييم عمل و نشاط الوفد الدائم للدعاية و الإعلام لجبهة التحرير يمكن لنا رصده في العديد من النقاط.

1. إن العمل الدبلوماسي و تمثيل الثورة في أوربا هو في حد ذاته جبهة من جبهات مواجهة الاستعمار و حلفائه و لا يقل أهمية عن المعارك التي كان يخوضها جيش التحرير الوطني في الداخل و قد اعتمد قادة الثورة في هذا المجال و منذ البداية على العناصر التي انضمت إلى الثورة من المثقفين المخلصين أمثال مترجمنا[3].

2. وجود و تمثيل هذا الوفد للثورة التحريرية في اتلأرض الأوربية يعتبر في رأينا من أهم النجاحات فهي –الثورة- بهذا الوجود كسرت طوق الحصار الذي فرض على الجزائريين منذ عهود طويلة و ازداد \أثناء الثورة التحريرية.

3. لقد كالن النشاط الدؤوب للعناصر الجزائرية أمثال مولود قاسم، حفيظ كرمان و الدكتور الأمين دباغين و غيرهم الذي يقوم على الحجة و قوة الإقناع أن أربك المخابرات و الدبلوماسية الفرنسية فراحت تطالب هذه النخبة من مكان لآخر و قد زادت هذه المطاردة تصميم هذا الرعيل[4] و أعطته قوة للاستمرار في فضح جرائم الاستعمار في الريف كما في المدن.

4. لا شك أن العمل في الأوساط الجامعية و النقابية و الحزبية و المنظمات غير الحكومية قد ساهم في بلورة رأي عام أوربي منصف و مناصرا للقضية الجزائرية من يوم إلى آخر[1].

---

[1] مولود قاسم: إنية و أصالة، مصدر سابق، ص ص 467-468.

[2] أحمد بن نعمان: مرجع سابق، ص 187.

[3] صالح بلقبي: المقابلة السابقة .

[4] محمد الميلي: مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص ص 38-39

[1] الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول تطور الدبلوماسية، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و ثـــورة أول نوفمبر 1954، ص 94.

الفصل الثالث:

دور مولود قاسم في الدولة الوطنية(عهد الاستقلال)

1-دوره السياسي

2-دوره الثقافي

أ- ملتقيات الفكر الاسلامي

ب-التعليم الاصـــــــلي

ج-مجلة الاصالـــــــــــة

أفضى النضال الدعائي و الإعلامي في الخارج إلى افتكاك الوفد المفاوض من فرنسا و توقيف القتال في 19 مارس 1962 و الذي أعقبه فترة استكمال الترتيبات و الإجراءات التي ميزها الملصقات و اللافتات الداعية للإدلاء بنعم و وصل اليوم الحاسم يوم 01 جويلية 1962 حيث خرج الشعب الجزائري المتعطش للحرية و الانعتاق و العيش الكريم الذي حرم منه مدة قرن و نيف القرن و بكثافة للمشاركة في الاستفتاء* المصيري و ليقول نعم للاستقلال الذي أعلن عنه في الخامس من جويلية 1962** و بذلك دخلت الجزائر عهدا جديدا هو عهد استرداد السيادة و الاستقلال الوطني[1].

و إذا كنا و كان العالم يرجع هذا إلى التضحيات الجسام للجزائر المسلمة فإننا أيضا لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال الدور الدبلوماسي الذي قادته النخبة الثورية في المحافل الدولية و بين ظهراني الشعوب في شتى بقاع العالم العربي و الأوربي.

و بتحقيق النصر على المستعمر و الذي كان صداه كبيرا في إذاعات و صحف العالم العربي و الأوربي، عادت إطارات الثورة و اللاجئون و المبعدون لمشاركة الأمة في الفرحة العارمة التي عرفتها قرى و مداشر و مدن الجزائر و اقتضت ضرورات العمل الدبلوماسي بقاء مولود قاسم في الخارج لفترة قصيرة و بعد أربع أشهر أي في نوفمبر 1962 عاد مترجمنا منتصرا لإكمال الرسالة التي كان قد بدأها يوم تسلله عبر الحدود الجزائرية التونسية هاربا من بطش الاحتلال و العنصرية الفرنسية[2].

و مع هذه العودة أخذت الجالية الأوربية في الجزائر تحزم أمتعتها و تترك وظائفها في الدولة و المجتمع فكان رحيلا واسعا حقا شمل حتى المعلمين و العمال البسطاء[3]، فالأعمال الإجرامية لمنظمة الجيش السري (OAS) قد عمقت العداء و زادت في الكراهية بين الأوربيين و المسلمين الجزائريين و بذلك قضى على أي أمل في التعايش بين العنصرين فتضاعفت حركة الرحيل نحو الوطن الأم فرنسا رغم أن قادة جبهة التحرير الوطني كانوا يطمئنون هؤلاء الأوربيين و يطلبون منهم البقاء و التعاون لبناء الجزائر الجديدة، و هو ما جاء في تصريح رسمي للحكومة المؤقتة التي أكدت على ضرورة اعتبار اتفاقية إيفيان ميثاقا يضمن التعايش بين الأوربيين و المسلمين حيث تضمنت بعض بنودها المحافظة على امتيازات الأوربيين غير أنهم فقدوا الثقة في هذه التصريحات*** .

و لا شك أن هذا الرحيل المفاجئ و السريع تسبب في إحداث أضرار كبيرة مست بالخصوص القطاعين الصناعي و الإداري بالدرجة الأولى ثم القطاعين الاجتماعي و الثقافي في الدرجة الثانية – و قد كان بإمكانهم

---

* قدرت نسبة المشاركة ب 91.88% من مجموع المسجلين الذين قدر عددهم بأكثر من 6.5 مليون ناخب

** صرح علي هارون الذي كان أحد أعضاء اللجنة المركزية للانتخابات بأنهم تعمدوا تأجيل إعلان النتائج النهائية إلى يوم 05 جويلية 1965 و الذي يصادف تاريخ سقوط العاصمة في 05 جويلية 1830. ينظر: Ali HAROUNE, Nous avons étouffés les résultats jusqu'au 05 juillet, in la tribune du 03/07/2005, N° hors série, P.05.

[1] Ali HAROUNE : L'été de la discorde, casbah éditions, Alger 2000, P.104.

[2] -إسماعيل حمداني: محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الاول حول مولود قاسم نايت بلقاسم،فندق الاوراسي الجزائر يوم 29 مارس 2005.

[3] La dépêche de Constantine, N° 17310 du 22 juin 1962.

*** و قد أكد عبد الرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة هذه الضمانات عندما قال: "إن اليد الممدودة إليكم هي يد صادقة و أخوية، أنظروا إلى المستقبل بهدوء و ثقة لأن هذا المستقبل هو مستقبلنا جميعا، ينظر: la dépêche de Constantine, N° 17307, 09 juin 1962.

المساهمة في تطوير البلاد و تنميتها بما لديهم من أموال و خبرة* - و هكذا وجدت الجزائر المسلمة المستقلة نفسها أمام تحد حقيقي فهي –أي الدولة الوطنية- تعتقد بإمكانية استخلاف أوربيين سواء للكم أو الكيف، و هي أيضا كانت تعي الدعاية الفرنسية القائلة بعجز الجزائريين عن إدارة دفة الدولة[1].

و إذا كانت مثل هذه الطروحات هي في حقيقتها طروحات مغرضة الهدف منها النيل من قدرات الجزائريين الذين أرغموا فرنسا على الرحيل منم بلادهم و بالرغم من هذا فإن رجالات الدولة الجزائرية أخذوها في الحسبان و راحوا يظهرون لفرنسا و للعالم أن الفرد الجزائري الذي استطاع أن يهزم أقوى دولة عسكرية في تلك الفترة تساندها قوات الحلفاء- بإمكانه أن يكون في مستوى التحدي** و يدير شؤونه بنفسه[2].

و فعلا استطاعت الدولة الوطنية أن تدير دفة الدولة بمساندة بعض الدول الصديقة و الشقيقة و تبطل الادعاءات الفرنسية من أساسها، فاستطاعت المؤسسات الكبرى أن تضمن حدا أدنى في السير المقبول سواء كان في الناحية الاقتصادية أو السياسية[3].

و في خضم هذا التحدي واصل مترجمنا رسالته الدبلوماسية في ظل الدولة الوطنية المستقلة حيث شغل وظائف دبلوماسية راقية فانتدب أول مرة لدى الجهاز المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني و برفقة محمد خيضر و رابح بيطاط و يعين بعدها مديرا لديوان محمد خيضر من نوفمبر 1962 إلى أفريل 1963.[4]

و أثناء بناء أسس الدولة الوطنية إن على المستوى السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي بدأت تظهر خلافات بين رفقاء الأمس محمد خيضر و الرئيس الأسبق أحمد بن بلة، هذا الخلاف الذي أفضى بإبعاد خيضر و من ثم عودة مولود قاسم إلى عمله الأول في الخارجية و كان ذلك في شهر أفريل 1963 و قد أوكلت له مهمة الإشراف على قسم البلدان العربية في وزارة الخارجية.[5]

و يعود هذا في رأينا لكونه على إطلاع بمواطن القرارات و الفعاليات في البلدان العربية، و الجزائر في هذه الفترة و كما هو معلوم كانت في حاجة ماسة إلى ربط علاقات واسعة و وطيدة بهذه البلدان و الاستفادة منها في المجالات المختلفة السياسية و الاقتصادية و بدرجة أهم الجانب الثقافي و التعليمي، هذا الجانب الأخير شهد تدفقا للعشرات بل المئات من المعلمين و الأساتذة و المكونين الذين حلوا بالجزائر لملء الفراغ الذي تركه الفرنسيون عشية

* يرى البعض أن رحيل الأوربيين كان قد وضع نهاية للمشكلة يصعب على قادة الدولة الوطنية معالجتها فيما بعد و هي احتمال هيمنة هذه الأقلية على المجتمع كما كانت سابقا في ظل الاحتلال. ينظر: محمد عباس: أزمة صائفة 1962 جريدة الشعب، 1989/12/25.

[1] Djamel labidi : sciences et pouvoir en Algérie, O.P.U. Alger : 1992, P.02.

** كانت المرحلة الأولى في الجزائر المستقلة مرحلة الانطلاق اتسمت بالحماس العاطفي و الرومنسية الثورية و الارتجال و شيء من السذاجة و هي المظاهر التي يمكن أن نجد لها أعذارا في عدم توفر التجربة الكافية عند المسؤولين آنذاك. ينظر: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: المعضلة الجزائرية، الأزمة و الحل، 1989-1999، ط4، دار الأمة، مارس 1999، ص 17.

[2] زيغريد هونكة: الغزو الثقافي و آثاره على الفكر، محاضرات الملتقى الإسلامي التاسع عشر، وزارة الشؤون الدينية، جويلية 1985، ص 182.

[3] الزبير سيف الإسلام: الإعلام و التنمية في الوطن العربي، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 48.

[4] - إسماعيل حمداني المرجع السابق .

[5] Journal officiel 16 juin 1963, le décret N°63-86 du 18 mars 1963.

الاستقلال.[1] فكان بذلك عمل على قدر كبير من الأهمية للمجتمع الجزائري الذي ظل مرتبطا و متشوقا للفكر و الحضارة العربية الإسلامية[2].

إن هذا النجاح الذي حققه مولود قاسم في هذا المسعى دفع برؤسائه إلى تكليفه بإدارة كل أقسام الشؤون السياسية بوزارة الخارجية ثم وزيرا مفوضا في هذا المنحى من سبتمبر إلى غاية أفريل 1966[3].

بعد أكثر من ثلاث سنوات قضاها مولود قاسم في وزارة الخارجية أثبت خلالها قدرته على إدارة الأقسام التي أوكلت إليه و بعد التصحيح الثوري في 19 جوان 1965 و رحيل معارضيه عاد مولود قاسم إلى أجهزة الرئاسة للمرة الثانية فشغل منصب مستشار دبلوماسي لدى الرئاسة و ذلك من شهر أفريل 1966 إلى غاية 02 جوان 1970[4].

و خلال هذه الفترة قام مولود قاسم بالمهام التي أوكلت إليه على أحسن وجه و ذلك حسب رواية من عرفوه عن قرب و بشهادة من رافقوه في هذه المهمة و منهم اسماعيل حمداني –رئيس الحكومة السابق- الذي قال في شهادته عن مترجمنا[5]: "تعرفت عليه في النضال السياسي ثم في خدمة الدول حيث عملنا معا في وزارة الخارجية كان كان مولود قاسم مديرا للشؤون السياسية و كنت مديرا للشؤون القانونية، و كان على رأس وزارة الخارجية آنذاك الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة، كما عملنا مستشارين مع الرئيس هواري بومدين، و كان اهتمام مولود قاسم الأول القضايا العربية و قضايا العالم الثالث و القضية الفلسطينية و الاستعمار و فكرة عدم الانحياز و كانت مناقشاته نادرا ما تكون خارج هذه المواضيع".

و كان يرافق الوفد الرئاسي في تنقلاته في بعض البلدان العربية و الأوربية فكونه مستشارا ثقافيا في الرئاسة فقد جمعته مع الرئيس هواري بومدين علاقات الزمالة الدراسية أكثر من علاقة الرئيس و أحد وزرائه، فقد كانت فيها من النضال أكثر من علاقات السلطة[6]، و هذا ما يؤكده الدكتور عثمان السعدي في روايته حيث يقول[7]: "كنت أنا و مولود رفقة الرئيس هواري بومدين في زيارته ليوغوسلافيا التي كان رئيسها قد أعد حفلا في أوبرا سراييفو للموسيقار الإيطالي بوتشيني و كان الرئيس بومدين لا يريد الظهور بغير العارف بهذا الفن فاستدعى مولود قاسم لإعداد مذكرة عن هذه الأوبرا رغم أن الوفد الجزائري كان فيه الكثير من الناطقين بالفرنسية".

كما كان يستدعي بين الفينة للمشاركة في إعداد الخطابات الرئاسية المصيرية مثلما كان الحال في إعلان بومدين عن انتهاء العمل بالتشريع الموروث عن العهد الاستعماري، ففي رواية مفصلة جاءت على لسان وزير

[1] Paul BALTA : les algériens vingt ans après, les éditions ouvriers, paris, P.174.

[2] د. أحمد بن نعمان: صحيفة الحرية، عدد 79، يوم 08 جويلية 1996.

[3] سيرة مولود قاسم بقلمه كتبها بطلب من إدارة جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق.

[4] المرجع نفسه.

[5] إسماعيل حمداني: المرجع السابق.

[6] مولود قاسم: بومدين و ثوابت الأمة، مصدر سابق.

[7] عثمان سعدي: محاضرة في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم، مرجع سابق.

العدل في تلك الفترة بوعلام بن حمودة حيث يقول[1]: "حضرت بمعية الأخ مولود قاسم خطابا عرضناه على الرئيس الراحل هواري بومدين في منزله و لما وصلنا إلى الفقرة التي تنص على أن التشريع الجزائري يجب أن يستمد أساس في المستقبل من الإسلام فسألنا الرئيس: أيجب أن نشير إلى ذلك؟ فقلنا له نعم لأن تصريح نوفمبر 1954 ينص على ذلك فبقيت الفقرة كما هي في النص المقترح." ثم يضيف بارزا دور مولود قاسم في مناحي لا تقل أهمية عما سبق ذكره حيث ذكر[2] :"...إن مولود قاسم حاول بكل ما يملك من قوة و إرادة أن يوجه القيادة اتجاها إسلاميا عربيا وطنيا مستغلا العصرنة للسيطرة على التنمية و لمواجهة العدو الخارجي و تقدمه التكنولوجي".

كما كان مولود قاسم المساهم الأكبر في تحرير الخطب التي ألقاها الرئيس هواري بومدين في مناسبات عديدة كاستقبال الرؤساء الأجانب و الندوات الدولية في مستوى القمة و هي خطابات نفخ فيها مولود قاسم روح الثورة على الاستعمار الجديد و الصهيونية و قد ساهمت في إكساب الجزائر التقدير من قبل العالم الثالث و العالم العربي، المعسكر الاشتراكي و حتى من قبل الدول الرأسمالية[3].

و يبدو أن هذه الأدبيات التي تحمس لها مولود قاسم كانت قد وجدت لها مكانا في تشريعات و سياسة السلطة آنذاك التي كانت تعترف بالكفاءات الوطنية و تقدرها[4].

و بجانب هذه المهام شغل مولود قاسم مناصب سامية في الدول الوطنية فأدار باقتدار وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من شهر جوان 1970 إلى أفريل 1977[5]، و التي أعطاها لأول مرة بعدها الأوسع باعتبارها مركز إشعاع لتطوير التربية و التكوين في علوم الدنيا و الدين[6]. و وزير لدى الرئاسة مكلفا بالشؤون الدينية من 1977-1979، و اعتمد بعدها عضوا للجنة المركزية و مستشارا بالرئاسة بين 1979-1983، ثم عضوا في الأمانة الدائمة للمجلس الأعلى للغة العربية سنة 1984 و قد انتخب عضوا مراسلا في المجمع اللغوي بالقاهرة و عضوا بالمجمع اللغوي بالأردن سنة 1988 –و كان في تلك الفترة يعد العدة لإنشاء المجمع اللغوي بالجزائر- لكن الأوضاع لم تسعفه بتشييد ذلك الصرح-[7] أحيل إلى التقاعد في 1990 لكنه لم يركن إلى حياة الدعة و السكون مثل الكثير من المثقفين من أترابه بل واصل نشاطه و بنفس الحماس في أصعب المواقع و الجبهات و هي جبهة الدفاع عن اللغة العربية، فقد انتخب عضوا عاملا في المجمع اللغوي في دمشق سنة 1992 قبل أشهر قليلة عندما عاجلته المنية و اختطفته في يوم 27 أوت 1992[8].

و مهما تعددت الآراء و الأحكام على شخصية مولود قاسم و طريقته في التفسير و التعامل مع الشأن العام فإن هناك ما يقترب من الإجماع بين من عرفوه عن قرب و بين ما تناقله الثقاة من الرواة بأنه لم يكن مجرد

[1] د. بوعلام بن حمودة: محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم، فندق الأوراسي، الجزائر، 29 مارس 2005.
[2] بوعلام بن حمودة ،المرجع السابق.
[3] المرجع نفسه.
[4] مولود قاسم: المصدر نفسه .
[5] الجريدة الرسمية، أمر رقم 70-53 المؤرخ في 21 جويلية 1970.
[6] د. محمد العربي ولد خليفة: مولود قاسم رجل الدولة مناضل الدولة الوطنية و باعث المشروع الحضاري، مرجع سابق.
[7] د. عبد المالك مرتاض: مقابلة سابقة.
[8] Kader MEHDI, Elmodjahid, quotidien national d’information, vendredi 28 –samedi 29 aout 1992.

مسؤول سام في الدولة الجزائرية الفتية فلم تكن الحظوة و الأبهة من الأمور التي تشغله أو تستهويه و لم تكن الامتيازات و الألقاب الفخرية الرنانة مطلبه و غاية مسعاه، فقد جسد في مساره الشخصي و في مختلف المسؤوليات التي أنيطت به الوطنية الجزائرية بخصائصها المزاجية المعروفة بشيء من الحدة الانفعالية البريئة و الغضب السريع الذي لا يعقبه حقد و طلب للثأر و الاعتزاز بأمجاد الجزائر عبر العصور[1].

و إذا كان من الصعب علينا تتبع كل النشاطات و الأعمال التي قام بها مولود قاسم في الأجهزة المختلفة التي شغلها فإنه يمكن لنا القول أن نشاطه و مساهماته و أدبياته كانت متداولة إبان تلك الفترة كإشكاليات فكرية مثل القضية الدينية و خطر التنصير و القضية الاشتراكية و خطر الرجعية و المتربصين بالجزائر و قضية اللغة العربية و دعاة الاستغراب و مناصري المسخ و النسخ و الفسخ*. حسب تعبير مولود قاسم و مواجهة أعداء اللغة العربية من دعاة الفرنسة و التنصير الجدد، و كل هذه المواضيع ناقشها مترجمنا إما في الصحافة أو في الاجتماعات الرسمية و غير الرسمية في أجهزة الدولة و جهر بها في الملتقيات الفكرية و التجمعات الشعبية في المدن الكبرى و البلديات النائية هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مولود قاسم ظل محافظا على خطه الحماسي للدفاع عن مقومات هذه الأمة و تاريخها المجيد[2].

الدور الثقافي لمولود قاسم:

عرفت الجزائر عشية الاستقلال فراغا ثقافيا مهولا و قد ظهر هذا جليا كما أشرنا آنفا في رحيل أرمادة القائمين على الجانب الثقافي من مسيرين و أساتذة و معلمين أي القائمين على الميدان الثقافي* و وجدت الجزائر الإسلامية نفسها أيضا أمام تحد كبير من أجل المحافظة على استمرار المؤسسة الثقافية بمختلف أوجهها و تعدد ميادينها.[3]

و إذا كانت الدولة الوطنية الفتية قد استطاعت أن تضمن الحد الأدنى للدخول المدرسي كما تشير إلى ذلك الدراسات التي قدرت الهياكل المدرسية في أول موسم دراسي 1962-1963 كالآتي[4]:

الطور	الابتدائي	المتوسط	الثانوي	التقني	الجامعي
الهياكل	4065	418	34	06	01

[1] محمد العربي ولد خليفة: المرجع السابق.

* و هو ما يسميه مترجمنا الثالوث الجهنمي و مواجهته تطلبت ثلاثية سجعية هي الحزم و العزم و الجزم.

[2] - محمد العربي ولد خليفة المرجع نفسه.

* كان الموظفون و الإطارات الفرنسيون يشكلون 90 % من مجموع الموظفين في المؤسسات الرسمية، ففي الميدان التعليمي تشير الإحصائيات إلى رحيل عشرة آلاف معلم فرنسي ينظر: الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال مجلة الثقافة عدد 93 السنة السادسة عشر ماي جوان 1986، ص 147.

[3] د. أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ و التطبيق في الجزائر و العالم العربي، دار الطبع، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 495.

[4] Office national des statistiques , évolution du secteur éducation information 1962-1985, statistique N°07 Alger, P.07

فإن المؤسسة الثقافية، إعلام فن مسرح كان عليها في بداية الاستقلال أن تسير بخطوات بطيئة[1] فمن جهة حملت القيادة الوطنية الاستنجاد بالدول الشقيقة،بالأشقاء تونس، مصر، سوريا، العراق، أو الصديقة و في المقام الأول الدول الاشتراكية –الاتحاد السوفياتي – تشيكوسلوفاكيا، و من جهة أخرى وجدت الدولة الوطنية نفسها أمام مشكلة عويصة حقا تتمثل في أن البرامج التعليمية و الثقافية الموروثة من العهد الاستعماري[2] فالوضع التربوي المتخلف و سياسة التجهيل التي مورست على الشعب الجزائري جعلت الدولة الفتية تتخبط في معاناة حقيقية وسط ظلام الجهل، و من ثم مواجهة ذلك في وقت وجيز أمر مستحيل لا سيما أن المؤسسة التعليمية عشية الاستقلال لم تكن موحدة بل كانت مقسمة إلى ثلاثة أنواع:

1. تعليم نظامي موروث هيكلا و برنامجا من العهد الاستعماري السابق[3].
2. التعليم الحر* الذي كانت تمارسه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب الشعب الجزائري و جمعيات أخرى، و قد تم تنظيمه لاحقا و أصبح موحدا مع التعليم الأول[4].
3. التعليم الفرنسي الذي كان يشرف عليه المكتب الجامعي الفرنسي و رغم أنه أقل حجما من الأول فقد كان يشمل في السنة نفسها 1962 على ألفي حجرة دراسية و 60 مؤسسة إعدادية و 9 مؤسسات أيضا للتعليم التقني و 16 ثانوية عامة[5].

مما سبق عرضه فإن الدولة الوطنية وجدت صعوبة في تسيير نوعين من التعليم الحر و النظامي فأقدمت على توحيد التعليم (الحر و النظامي) أملا في تحقيق مرجعية ثقافية وطنية موحدة*.

و ظل التحدي القائم استمرار التعليم الفرنسي الذي كان تابعا مباشرة للسفارة الفرنسية و البعثات الدينية،إلى جانب هذا عرف القطاع الثقافي نقصا بل فراغا ماليا نتيجة تهريب رؤوس الأموال نحو الخارج و هو ما لم يساعد على تسيير دفة القطاع و أعماق إنشاء هياكل مدرسية و ثقافية بمختلف تخصصاتها، فما تركه الاستعمار من مرافق لا يكفي لاستيعاب العدد الكبير من التلاميذ في سائر المراحل التعليمية، يضاف إلى ذلك نقص الإمكانات

[1] الموسوعة الصحافية العالمية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1995، ص 109

[2] د. محمد العربي الزبيري: الغزو الثقافي في الجزائر بين 1962-1982، مجلة الرؤيا يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، عدد 02 السنة الأولى، صيف خريف 1982،ص 18.

[3] محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة و التغريب، منشورات دحلب، الجزائر، 1998، ص 192.

* ورثت الجزائر 170 مدرسة عربية حرة تنتشر في سائر أنحاء القطر تضم ما يقارب 40 ألف تلميذ و تلميذة، كما ورثت ثلاث معاهد ثانوية 2 في قسنطينة و واحد في واد ميزاب. ينظر: عثمان سعدي: التعريب في الجزائر، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكوفونية، دار الأمة 1993، ص 187.

[4] الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 148.

[5] محمد عابد الجابري: التعليم في المغرب العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989، ص 117.

* في يوم 27 سبتمبر 1962 أعلن الرئيس بن بلة عن أسماء أعضاء حكومته و كان من بينهم وزير التربية الوطنية عبد الرحمن بن حميدة الذي عقدت عليه الآمال الكبيرة للنهوض بقطاع التعليم لأنه –الوزير- قبل كل شيء من عائلة محافظة و خريج المدرسة الفرنسية الإسلامية و مناضل في ثورة التحرير. ينظر: محمد الطيب العلوي، مرجع سابق، ص 163.

المادية و البشرية المعرقلة للسير الحسن للتعليم و العجز في مجال إعداد البرامج حيث لم يكن في الإمكان صياغة برامج وطنية المحتوى و المضمون و هذا ما جعل البرامج الفرنسية تستمر لفترة في مختلف الأطوار[1].

إلى جانب هذا افتقار المدرسة الجديدة إلى النصوص التشريعية و التوجيهية والمراسيم التي تخـول للسـلطة الوطنية إدارة المؤسسة التعليمية و هو ما يعني في حقيقة الأمر استمرار العمل بالتشريع الفرنسي[2].

و بذلك انعدم التوجيه المدرسي في إرشاد التلاميذ و السير بهم نحو دراسة الثقافـات و إبـراز المواهـب و الإمكانيات و الميول الفردية وفق معايير علمية مدروسة و ظل هذا المشكل مطروحـا طيلـة السـنوات الأولى للاستقلال[3].

لقد أحدث الانقلاب الذي جاء بالقيادة الجديدة في 19 جوان 1965- إلى العمل من أجـل تصـحيح المسار حسب الانقلابيين و أعلن عن دخول الجزائر في عهد جديد، عهد النهضة الجديدة* بتشريع النهضات الثلاثة:

- الثورة الزراعية .
- الثورة الصناعية.
- الثورة الثقافية.

و كانت هذه الأخـيرة موضـوع حـديثنا و الـتي تقـوم علـى أسـاس إحـداث نهضـة ثقافيـة واسعة[4] تعمل على الر فع المعنوي للشعب الذي ظل طيلة الفترة الاستعمارية محروما من التعليم و التكوين[5].و تقـوم السياسة الثقافية الجديدة على مجموعة من الأسس هي:

1. الجزأرة: و نعني بها العمل على استرجاع مكونات الشخصية الجزائرية من خلال إزالة آثار العناصـر الدخيلة عليها من مجتمعات و ثقافات أجنبية، و يتكفل التعلم بجعله جزائريا في:

أ. الأهداف و القيم و التطلعات المسايرة للواقع الجزائري

ب. الإطار حتى يتم التخلص من الإطارات الأجنبية[6].

---

[1] محمد الطيب العلوي: المرجع نفسه، ص 195.

[2] محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص 18.

[3] الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، موفم للنشر 1994، ص ص 70-71.

* تبدأ هذه المرحلة باعتلاء الرئيس هواري بومدين الحكم في 19 جوان 1965 و كانت بداية لتصحيح مسار الثورة و إعادة الاعتبار للدولة الـتي حطمهـا الاستعمار و التخلص من رواسب الماضي لأن قائد هذه المرحلة –هواري بومدين- كانت توجهاته نابعة من تأثره بالعقيدة الإسلامية و العروبة و مشـاركته الفعلية في حركة التحرير الوطني. ينظر: د. بوعلام بن حمودة: التوجهات الرئيسية في فكر الراحل هواري بومدين، الملتقى الوطني الأول هواري بومدين، سطيف، 26 ديسمبر 1990.

[4] هواري بومدين، مجلة القبس، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، عدد 03 السنة الرابعة جويلية 1970، ص 08.

[5] مولود قاسم: الثورة الثقافية العمود الثالث لاشتراكيتنا الإسلامية، محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي قسنطينة أوت 1970، ص 461.

[6] - وزارة التربية والتعليم ،مجلة التربية عدد 03 السنة الأولى ماي جوان 1982، ص ص 100-101.

2. التعريب: و هو جعل اللغة العربية لغة التعليم في سائر مراحله في المناهج و الكتب[1].

3. ديمقراطية التعليم: أي إتاحة الفرص للجميع دون استثناء و بغض النظر على المستوى الاجتماعي إضافة إلى تعميم المدارس في كل أنحاء القطر[2].

4. التوجه العلمي و التكنولوجي: هو جعل الجزائر تواكب التطور من خلال التركيز على الأسلوب العلمي في التعليم[3].

ملتقيات الفكر الإسلامي:

من أجل تحريك الحياة الثقافية الوطنية جاءت فكرة تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي و التي ولدت أول مرة في الجزائر بتاريخ 24 ديسمبر 1968 و هي الفترة التي كان فيها العربي سعدوني* آنذاك وزيرا للأوقاف حيث أشرف على تأسيس هذه الملتقيات التي كانت بدايتها محتشمة و متواضعة حيث عقد الملتقى الأول بثانوية عمارة رشيد ابن عكنون في الفترة الممتدة من 26 ديسمبر 1968 إلى 01 جانفي 1969 و انحصر الحضور في فئة الطلبة و الأساتذة و نخبة من المفكرين الجزائريين و العرب (مصر)[4] و قد عالجت الموضوعات المدروسة في الملتقى واقع الفكر الإسلامي في الفترة المعاصرة و قضايا الساعة كالإسلام و الحضارة و مشاكل المجتمع المعاصر...[5]

أما الملتقى الثاني فقد انعقد بالمدرسة الوطنية للإطارات الدينية من 08 إلى 15 أوت 1969 و قد حضرته وجوه علمية و ثقافية معروفة في ميدان المعرفة مثل المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي قدم مداخلة حول مشكل الإنسان في العالم الثالث إضافة إلى أساتذة و مفكرين وفدوا من دول عربية شقيقة مثل مصر، ليبيا، سوريا، لبنان[6].

و ما يجدر ملاحظته أن هذا التجمع الثقافي الفكري أخذ يرسي قواعد ثابتة في الاستمرار و الوجود و بدأت تتسع دائرة الأنصار و المعجبين و المقتنعين بضرورة المحافظة على هذا المكسب مهما كلفهم من جهد و تضحية من قناعة أنها رباط وثيق للجزائر الجديدة بالعالم العربي و الإسلامي[7]. و هكذا و قبل أن تنقضي السنة

---

[1] - سفيان لوصيف :التحولات الثقافية في الجزائر 1962-1978 م التربية والتعليم نموذجا مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف جامعة منتوري 2005-2006 ص 66.

[2] المرجع نفسه، ص 66.

[3] د. أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص ص 79-80.

* ولد بسيدي إبراهيم دائرة البيبان يوم 07 ديسمبر 1923 تلقى تعليمه بمسقط رأسه و بزاوية سيدي عبد الرحمن الجلولي و بالزاوية الحملاوية ثم انتقل إلى الزيتونة، انخرط في حزب الشعب الجزائري، التحق بالثورة و انضم إلى طاقم إذاعة صوت الجزائر، شارك في تأسيس جريدة الشعب عين وزيرا للأوقاف من سنة 1965 إلى 1970 و توفي في 23 مارس 1992. ينظر: محمد حسن فضلاء من أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة دار هومة، ج2، ص 155، و أيضا Achour cherfi, la classe politique Algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique, Alger, casbah édition 2002, P 130.

[4] جريدة النصر، عدد 1470 بتاريخ 22 جويلية 1976.

[5] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي من الأول إلى العشرين، وزارة الشؤون الدينية (لم ينشر)، ص ص 2-3.

[6] المرجع نفسه، ص 05.

[7] مقابلة مع : محمد الأخضر السائحي، مقر اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر العاصمة يوم 21 جوان 2004.

نفسها 1969 حتى طل الإعلام الرسمي و الصحافة للإعلان عن الملتقى الثالث للفكر الإسلامي الذي احتضنته عاصمة البلاد في المعهد التكنولوجي لتكوين أساتذة التعليم المتوسط في الفترة ما بين 26 ديسمبر و 01 جانفي 1970 و كان آخر الملتقيات التي نظمت في عهد الوزير العربي سعدوني و تحت اسم وزارة الأوقاف[1].

لقد حضرت في الملتقى الثالث وجوه علمية و ثقافية عالمية أبرزهم المفكر مالك بن نبي الذي قدم مداخلتين الأولى حول: الصراع الإيديولوجي في الميدان الديني و الثقافي و السياسي و الاقتصادي، و الثانية حول (الحضارة) و العالم الفرنسي الشهير جاك أو ستروي الذي تناول موضوع الأخلاق و الاقتصاد الإسلامي، إلى جانب المثالين المذكورين حاضر الشيخ المهدي البوعبدلي حول دور الزوايا الثقافية في الجزائر[2].

من هذا العرض لنماذج المداخلات التي تناولتها الملتقيات يمكن للباحث أن يخلص إلى القول أن هذه الزخم الكبير من النقاش الفكري الذي تناول مكانة الفكر الإسلامي في العالم الحديث و المعاصر يؤكد بأن الأمة الإسلامية أمة لها إسهاماتها الواضحة في العمل الحضاري الإنساني[3]، و أن هذا التشبث بهذا الفكر يعد عامل إغناء لمستقبل الجزائر، كما كانت ردا صريحا و مفعما لأولئك الذين أخذو يبثون دعوى التشكيك في قدرة الفكر الإسلامي على مسايرة العالم المعاصر[4].

و الحق أن هذه الملتقيات الثلاثة الأولى حتى و إن نظمت في مدارس داخلية و في وسط ضيق لا يتجاوز عدد المشاركين فيها بضع عشرات من الطلبة و عدد قليل من الأساتذة و انحصارها في العاصمة فقط إلا أنها شكلت الباكورة لهذا الحدث الثقافي الهام[5].

و في 02 جوان 1970 و على إثر التعديل الحكومي الذي أجراه الرئيس هواري بومدين فقد استدعي مولود قاسم لاستلام وزارة الأوقاف و من ذلك التاريخ تحولت إلى الاسم الجديد[6] وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الشؤون الدينية*. و قد روى مولود قاسم بنفسه ما دار بينه و بين الرئيس هواري بومدين حول هذا الموضوع إذ يقول[7] "دعيت إلى الوزارة من قبل الرئيس هواري بومدين في سنة 1970 و كانت آنذاك تسمى وزارة الأوقاف و و حيث أن اسم الأوقاف يعني الاهتمام بالزوايا و الصدقات و الفقراء و نحن لم يعد لنا أوقاف إذ صادرها الاستدمار الفرنسي فاقترحت على بومدين إذا استلمت هذه الوزارة أن أسميها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون

---

[1] جريدة النصر مرجع سابق.

[2] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي مرجع سابق، ص 07.

[3] زكي عبد الله أحمد الميلاد: الفكر الإسلامي بين التأصيل و التجديد، ط1، دار الصفوة بيروت 1994، ص 32.

[4] المرجع نفسه، ص 33.

[5] محمد فارح: ملتقيات الفكر الإسلامي تجربة جزائرية أصيلة، مجلد الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلام منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 1980، ص 10

[6] الجريدة الرسمية مرجع سابق.

* يبرر مولود قاسم تغيير اسم الوزارة (الأوقاف) لأن الأوقاف تعني الزوايا و التكايا و العطايا و الهدايا و سذاجة التفكير و النوايا و جمع الصدقات التي لم تعد تلك المؤسسات التي قاموا بدورها الكبير في الإسلام لتتحول إلى ريع يوزع على الأحباب و الأقارب. ينظر: مولود قاسم: أصالية أم انفصالية، ج1، مرجع سابق، ص 247.

[7] مولود قاسم: بومدين و ثوابت الأمة مصدر سابق.

الدينية فوقع الرئيس مرسوم إنشائها بحماس كبير رغم مناورات عدد من المسؤولين في الدولة و اعتراضهم على ذلك".

و في أقل من شهرين على استلامه لمهمة الإشراف على الوزارة بادر إلى الإعلان على استئناف سلسلة الملتقيات الفكرية ليرحل بها هذه المرة خارج العاصمة إلى مدينة قسنطينة التي احتضنت الملتقى الرابع في الفترة الممتدة من 10 أوت إلى 19 أوت 1970[1] و اختيار مدينة قسنطينة يعود في رأينا إلى كونها المدينة العريقة التي كانت العاصمة الثقافية في الجزائر في حقب مختلفة في تاريخها الطويل و رمز الكفاح و المقاومة للجزائر كلها من عهد ماسينيسا و يوغرطة و عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة.

و الجدير بالذكر أن ملتقى قسنطينة اكتسى أهمية بالغة كونه تزامن مع الاحتفال بالذكرى الخامسة عشر لهجومات الشمال القسنطيني و الذكرى الرابعة عشر لانعقاد مؤتمر الصومام و قد شهدت المدينة كعادتها في مثل هاتين المناسبتين نقاشا و حوارا واسعا حول أمجاد و بطولات الجزائر و إبراز دور هذه المدينة في هذه الأحداث[2].

و يعد ملتقى قسنطينة الرابع البداية العملية لنشاط مولود قاسم في مسار الملتقيات التي سوف تمتد إلى الثالث عشر، حيث أشرف عليه و افتتحه بكلمة كان عنوانها "إنية و أصالة" التي تعد في رأينا شعارا سوف يحافظ على التمسك به طيلة مشواره الثقافي و الفكري.

و حضر الملتقى أكثر من 600 طالب و حاضر فيه أكثر من 28 عالما و مفكرا من مختلف أنحاء الوطن العربي و الإسلامي منهم من الجزائريين مالك بن نبي و أحمد عروة و أحمد طالب الإبراهيمي و آخرين من دول عربية كمصر منهم بعض الأساتذة الذين درس عليهم مولود قاسم في القاهرة أمثال عثمان أمين و عبد الواحد وافي إضافة إلى أساتذة و علماء جاءوا إلى جامعات الجزائر شبه متطوعين أمثال محمد عزيز الحبابي و محمود قاسم و أحمد بدوي و آخرين من المغرب و ليبيا و باكستان و فلسطين[3].

و بحضور و إسهام هذه النخبة من البلاد الإسلامية المترامية الأطراف انتقلت هذه الملتقيات من ملتقيات محلية إقليمية -مغاربية و عربية الى النطاق العالمي و أصبحت الجزائر بفضل هذه الملتقيات مركزا للإشعاع الإسلامي الروحي و العلمي و في هذا السياق يقول مولود قاسم[4]. "لقد دعونا أساتذة من الجامعات و باحثين من العالم أجمع معروفين بتأليفهم و بنشاطهم العلمي وفدوا من جميع أطراف العالم، و بمعنى آخر من مجموع العالم الإسلامي الذي يمتد من سور الصين العظيم إلى المحيط الأطلسي" و تناولت المحاضرات جملة من القضايا الثقافية و الدينية و التربوية و الاجتماعية و الفكرية و دارت مواضيع الملتقى على محاور تقريبية* منها المرأة و الأسرة في

[1] محمد فارح مرجع سابق، ص 11.
[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: كلمة افتتاح الملتقى الرابع للفكر الإسلامي بقسنطينة 1970.
[3] -عبد القادر السائحي مقابلة سابقة.
[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: جريدة الشعب، عدد 3947، بتاريخ 28 جويلية 1976.
* لم تحدد نقاط المحاور في جدول أعمال الذي اقتصر على ذكر المحاضرين و عناوين المحاضرات و تاريخها.

الإسلام**، الإسلام و شخصيتنا الحضارية و الثقافية، اللغة العربية، الشباب، أثـــر الإســـلام في الأدب و الفكـــر و الأخلاق[1].

و الملاحظ أن مولود قاسم حين تعرض في الملتقى لقضية المرأة و ظواهر الانحلال التي كان يراها تســـتفحل في المجتمع و تلقى التشجيع من قبل المستغربين كان لا يملك إلا أن يثور و يحتج و يصدر في خطابه عن مستوى مـــن الصراحة لأنه يرى في تلك القيم المستزرعة في بيئتنا انحرافا علنيا و فسادا مخططا له و أن الدافع إليها هـــو الغفلـــة و الجهل باسم القيم الليبرالية المستوردة.

أما موضع مدى توافق الاشتراكية و الإسلام فالأول النظام السياسي المعتمد في البلاد و الثاني عقيدة الأمة و من هنا راح مترجمنا يدافع عن الخيارات السياسية المعتمدة من قبل الدولة الوطنية عشية الاستقلال فهو يـــرى أن هذه الخيارات لا تتعارض بأي حال من الأحوال مع القيم الروحية الجزائرية للشعب الجزائري[2].

و يبدو أن مولود قاسم قد ركب موجة الدفاع عن الخيارات السياسية من باب أنه أصبح جزءا من النظام القائم و تحمسه و تعدد كتاباته في هذا السياق يعتبر جزءا من المهام السياسية التي شغلها.

إلى جانب هذه المواضيع كان واقع الشباب إبان هذه الفترة من المواضيع العزيزة على مولود قاسم الـــذي رأى أن من مهام الدولة الوطنية الاهتمام بفئة الشباب و تسليح الجيل و تزويده بالترشيدات لأن الأجيال التي تنبت بعيدا عن جذورها تمنى بالهزيمة و هنا راح يؤكد أن شر ما يتهدد المستقبل هو ترك الشباب جنـــود البنـــاء و عـــدة المستقبل دون ربطهم بالماضي و الأصالة و تحميلهم مسؤولية النهوض بالبلاد والتصدي للتحديات و المخاطر الـــتي تهدد وجود الأمة الجزائرية بين أمم الدنيا[3].

و يبدو من خلال هذه المواضيع التي تعددت فيه الآراء و الاجتهادات من قبل هذه النخبة كانت تعكـــس بحق التوجهات العامة للفكر و الثقافة في الجزائر مع بداية السبعينات[4].

و الحق أن نجاح الملتقى الرابع على مستوى التنظيم و الحضور الطلابي الكبير دفع الوزارة الوصية إلى:

أولا: الوقوف والسهر على طبع المحاضرات و المداخلات التي تقدم أثناء الملتقى على نفقتها، و قـــد كـــان لنجاح هذه الملتقيات أن أصبح حضور وسائل الإعلام المرئية المسموعة و المكتوبة الوطنية منها و الأجنبية* حضـــورا

** في هذا المحور حاضرت الأستاذة زهور ونيسي و كان عنوان المداخلة "الزواج بالأجنبيات و الأجانب و خطره على الأسرة" و قد أثار هذا الموضوع غضب بعض الوزراء و بعض الأعضاء من مجلس الثورة الذين احتجوا للرئيس هواري بومدين على طرح مثل هذه المواضيع فأجابهم الرئيس بومدين إنه حر –يقصـــد مترجمنا- في طرح أي موضوع و إذا كانت هناك عواقب فسيعاقب". ينظر: مولد قاسم: بومدين و ثوابت الأمة، مرجع سابق

[1] بوعلام جوهري: البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، رسالة ماجستير في شعبة الدعوة والإعلام تحت إشراف الدكتور فضيل سعادة جامعـــة الأمير عبد القادر قسنطينة 2000-2001 م ص 339.

[2] المرجع نفسه، ص 339.

[3] مولود قاسم: الثورة الثقافية العمود الثالث لاشتراكيتنا الإسلامية مصدر سابق، ص 457.

[4] محمد الأمين بلغيث: الصراع الفكري في الجزائر المستقلة من خلال مجلة الأصالة (من 1971-1981) مجلة كلية أصول الدين جامعة الجزائر عدد 01 السنة الأولى سبتمبر 1999 ص 111.

ملحوظا تعدى التغطية العالية للحدث بل راحت هذه الوسائل من صحف و مجلات و مقابلات صحفية تتناول المواضيع و الأحاديث و تصريحات القائمين و المشاركة من علماء و فلاسفة و مفكرين.

و هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذه الملتقيات بث فيها نفس جديد بل يمكن القول روح جديدة تتماشى و الوسائل الحديثة في إبراز العمل الثقافي و الفكري في الجزائري و بهدف توسيع دائرة الاستفادة من عصارة الفكر المطروح في هذه الندوات و قد لاقت هذه السنة استحسانا في الأوساط الخاصة و العامة.

ثانيا: استحدثت مديرية خاصة مهمتها تنظيم هذه التظاهرة الثقافية العالمية و تخصص ميزانية سنوية خاصة بها[1].

و هكذا و بفضل هذه الالتفاتات الذكية من قبل القائمين على الملتقيات أن أصبحت وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية في هذه الفترة منارة للفكر الحديث الوضعي منه و الديني.

أما الملتقى الخامس الذي نظم بحاضرة وهران و مدينة سيدي بومدين في الفترة الممتدة من 10 جويلية إلى 01 أوت 1971 بحضور 33 عاما و مفكر يمثلون 10 دولا عربية و إسلامية[2]. و قد انفرد عن سابقيه بجملة من الخصائص أهمها:

أولا: كون الملتقى الخامس أول ملتقى ضبطت محاضراته في ثلاث نقاط محددة[*] و هي:

اللغة العربية و الثورة الثقافية، الإسلام و مشاكل الأسرة و تربية الجيل في عالم اليوم، الإسلام و متطلبات التنمية في الاقتصاد الحديث[**].

ثانيا: حضور شخصيات وطنية و رسمية محاضرة هذه المرة منهم أحمد قايد مسؤول جهاز الحزب آنذاك أحمد طالب الإبراهيمي وزير الأخبار و الثقافة الدكتور بوعلام بن حمودة وزير العدل حامل الأختام و محمد الصديق بن يحي وزير التعليم و البحث العلمي و بلعيد عبد السلام وزير الصناعة و الطاقة، و مساهمات رجال الدولة كمحاضرين في الملتقى الإسلامي يظهر لنا أمرين أساسيين:

---

[*] أصبح عرض المحاضرات و الندوات و الملتقيات تقليدا سنويا في التلفزة الجزائرية أثناء شهر رمضان من كل سنة فضلا عن العروض التي تقدم في الصحافة الأجنبية: كتب عنها علال الفاسي في الصحف المغربية و كتب عنها فهمي هويدي في جريدة الأهرام إضافة إلى مجلة المعرفة السورية، و صحف عراقية و يمنية و مجلات أوربية و يابانية، ينظر: جريدة المجاهد عدد 3457 بتاريخ 03 أوت 1976.

[1] مقابلة مع محمد الصغير بلعلام بالمجلس الإسلامي الأعلى الجزائر العاصمة يوم 12 جانفي 2005.

[2] محمد فارح: مرجع سابق، ص 12.

[*] تتناول هذه النقاط مواضيع مختلفة قد يكون موضوعا جوهريا يوزع إلى عدة محاور على أن يكون المحور الأول متصلا دائما بالمنطقة أو المدينة التي تحتضن الملتقى إضافة إلى مواضيع مختلفة ذات الصلة بقضايا و ظروف العالم الإسلامي إضافة إلى مواضيع تربوية اجتماعية و فكرية.

[**] يقوم مولود قاسم بنفسه بتحديد جدول أعمال الذي يرسل إلى المدعوين قبل الملتقى بشهرين و يدفع المشاركون مبلغا رمزيا قدره 50 دج و يعفى منه الطلبة و تتحمل الوزارة مصاريف النقل و الإيواء و الإطعام. ينظر: بلاغ حول ملتقى الفكر الإسلامي السابع، الأصالة، عدد 12 السنة الثالثة، جانفي، فيفري، 1973، ص 02.

الجانب الأول: حضور رجالات الدولة كمشاركين و محاضرين ينم عن إعجاب و قناعة في ترجمة المستوى الذي ارتقت إليه هذه الملتقيات

الجانب الثاني: أن ظاهرة مشاركة رجالات الدولة ظاهرة مميزة و ملفتة للانتباه فقد تعود الجمهور الجزائري أن الرسميين يحضرون الافتتاح و اختتام الملتقيات لا غير، أما حضورهم كمحاضرين فاعلين هذا يؤكد مرة ثانية سمو هذه الملتقيات و جديتها في طرح الأفكار الجديدة في الجزائر المستقلة.

و عادت ملتقيات الفكر الإسلامي إلى عاصمة البلاد لتحتضن الملتقى السادس الذي امتدت أشغاله من 24 جويلية إلى 24 أوت 1970 بحضور تميز بمشاركة واسعة من حيث الطلبة*. ليس من داخل الوطن فحسب بل أيضا جاءوا من سائر العالم الإسلامي و بحضور 64 عالما و أستاذا منهم جزائريون كالدكتور أبو القاسم سعد الله محمد الميلي أحمد حماني و علماء و مؤرخين من دول عربية مثل عثمان الكعاك و عبد الله العروي كما تميز الملتقى بحضور علماء آخرين من غير المسلمين أنصفوا الحضارة العربية و الإسلامية و ساندوا القضايا العادلة لشعوبها و كان على رأس هؤلاء المستشرقة الألمانية زيغريت هونكة** التي كانت مداخلتها بعنوان "من الاستلاب إلى استرجاع الآنية" و الفرنسية إيفون تورين التي حاضرت حول "الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع عشر" إضافة إلى أساتذة كبار و رؤساء أقسام هامة في جامعات إسبانيا و يوغسلافيا، فنلندا و ألمانيا الشرقية يمثلون كل الطوائف المسيحية و لعل ما زاد في أهمية هذا الملتقى إضافة إلى حجم المشاركة الطلابية الواسعة كونه صادف الاحتفالات بالذكرى العاشرة للاستقلال و الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر العاصمة و المدية و مليانة[1].

و تركزت المحاضرات و التعقيبات على أربع نقاط هي:"العيد العاشر لاسترجاع استقلال الجزائر و دور الإسلام في الكفاح التحريري"، "الذكرى الألفية لتأسيس الجزائر العاصمة و مدينتي مليانة و المدية"، "نظرة المؤرخين غير المسلمين إلى الإسلام و الحضارة الإسلامية"، "يقظة العالم الإسلامي اليوم و نهضته غدا و دور الإسلام الفعال فيهما أمام تحديات العصر و مختلف أنواع الغزو و الاستيلاب"*[2].

و يظهر من خلال هذه العناوين أن هذا الملتقى تميز بتعددية الطرح لاختلاف الاتجاهات و التيارات و الإيديولوجيات فهي أكثر من مشرب (إسلامي، كاثوليكي، أرثوذكسي، بروتستانتي) هذا من جهة، و من جهة

---

* وصل عدد الطلبة المشاركين إلى 1336 طالبا و هي أعلى نسبة مشاركة طلابية في تاريخ ملتقيات الفكر الإسلامي.

** ولدت في مدينة كيل المشرفة على بحر البلطيق، درست بجامعة برلين و تخصصت في الفلسفة و علم النفس و تاريخ الأديان و الحضارات لها 12 مؤلفا في الفلسفة الدينية الألمانية و الأوربية و حول الحضارة و الآداب العربية و علماء العرب و اشهرها : شمس العرب تسطع على الغرب. ينظر: جريدة النصر عدد 1471، بتاريخ 23 جويلية 1976.

[1] محمد فارح: ملتقيات الفكر الإسلامي تجربة جزائرية أصيلة مرجع سابق ص 12.

* تحت هذه النقطة جاءت مداخلة مولود قاسم بعنوان:"جامع كتشاوة عاد إلى أصله و متى يعود الجمعة؟" و قد أراد من وراء ذلك تأكيد دعواته السابقة التي وردت في افتتاحيات مجلة الأصالة حول هذه النقطة و يبدوا أن هذه النداءات المتكررة قد وجدت القبول من طرف السلطة فتغير يوم العطلة الأسبوعية من الأحد إلى الجمعة ابتداء من 27 أوت 1977.

[2] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي، ص ص 17-19.

أخرى فإن مثل هذه الطروحات تعكس و لا شك النقلة النوعية لفريق الملتقيات التي أعلنها حربا صريحة ضد التزمت و الانغلاق الذي كانت تتمسك به بعض الجماعات و التيارات في الجزائر[1].

و يبدو لنا أن هذه المواقف كان القصد منها صد الأبواب أمام أولئك الذين يرددون باسم الأصالة و التمسك بالتراث الفكري الإسلامي البقاء في دائرة التقوقع و عدم الانفتاح عن الآخر، كما تعد هذه المبادرة الجديدة –دعوة المستشرقين- ردا صريحا على تلك الحملات الدعائية المغرضة التي تخلص في تحاليلها و استنباطاتها بالادعاء بعدم قابلية الإسلام لمواكبة متطلبات الحياة العصرية[2].

كما يبدو لنا أن القصد من هذه الدعاية هو زرع بذرة الشك في قدرة الشعوب الإسلامية على الاندماج و التعايش في عالم يشهد تطورا في كل مظاهر الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية[3] و لقد ذهب البعض إلى أبعد من هذا القول بأن هناك قصورا ذاتيا في الإسلام موروثا على مسايرة الحضارة و المجتمع لركب التطور و التقدم الذي أصبح ميزة العالم المعاصر في جوانبه المختلفة المعنوية منها و المادية[4] و خلصوا إلى القول أن للمجتمع الإسلامي إسهامات فكرية و حضارية شهدها لهم تاريخهم الطويل في شتى ميادين الحياة (العلوم، الطب، الفن... و ميادين أخرى) فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت حواضر و مدن المقاطعات الإسلامية تعد مراكز ثقافية تحج إليها البعثات العلمية القادمة من مختلف بقاع العالم[5].

و إذا كانت مثل هذه القضايا ذات الصلة بمواضيع عامة تتجاوز حدود الجزائر و تمس العالم الإسلامي بأكمله قد أخذت جانبا من المناقشة و الحوار فإن التدقيق في محاضرات الملتقى يبين أن ثلاثة أرباع منها خصصت لتاريخ الجزائر القديم منه أيام ازدهار الحضارة و الفكر الإسلاميين عندما كانت الجزائر مركزا حضاريا لا يقل مكانة عن مراكز الشرق الإسلامي[6] أو تاريخ الجزائر إبان الفترة الكولونيالية المليء بالدسائس و المزايدات و في هذا المنحى يقول مولود قاسم[7]: "رأت وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية أن تعنى بمراجعة الماضي و أعلنا باسمها في أواخر الملتقى الخامس على أن الملتقى السادس ينبغي أن يركز كل التركيز على التاريخ الوطني"*.

---

[1] د. عبد الله الركيبي: عروبة الفكر و الثقافة أولا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ص 44.

[2] عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، دراسة في تاريخ الاستشراق و أهدافه و أساليبه في الغزو الفكري للإسلام،ط1، مكتبة وهبة، 1995، ص 174.

[3] عبد المجيد مزيان: من التصور العمومي إلى فلسفة التاريخ، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، عدد 01، السنة الأولى، سبتمبر 1998، ص 16.

[4] زيغريد هونكة: الغزو الثقافي و آثاره على الفكر، مرجع سابق، ص 189.

[5] المرجع نفسه، ص 189.

[6] يحي بوعزيز: جهود الجزائر الفكرية في مواكبة الحضارة العربية، مجلة الأصالة، عدد 19، مارس-أفريل 1974، ص 287.

[7] مولود قاسم: مقدمة المجلد الرابع للملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، دار البعث، قسنطينة، جويلية 1973، ص 06.

* ابتداء من الملتقى السادس فإن الملتقيات الموالية احتوت في جدول أعمالها نقطة للدرس ذات طابع محلي تتعلق بالمدينة أو بالمنطقة التي تقام ينعقد فيها الملتقى و كذلك بعض القضايا الدينية و الثقافية و الاقتصادية المرتبطة بالدولة التي جعلت هذه المدينة أو تلك عاصمة لها: ينظر El modjahid, N° 3431, 09-07-1976.

و مما زاد من أهمية هذا الملتقى التاريخي بموضوعه و محاوره أن كلل بعرض شاعر الحركة الوطنية و الكفاح المسلح مفدي زكريا[1] لألفية الجزائر أو إلياذة الجزائر[2] التي أنشدها في الملتقى بحضور الرئيس هواري بومدين رفقة العديد من المسؤولين السياسيين منهم محمد الشريف مساعدية و أحمد طالب الإبراهيمي و محمد الصديق بن يحي ، فدوت قاعة الملتقى نبرات و صرخات شاعر الثورة و تجاوبت معها المشاعر و التاريخ و فن الشعر خصوصًا في هذا المقطع من الإلياذة:

جزائر يا مطلع المعجزات   و يا حجة الله في الكائنـــــات

و يا بسمة الرب في أرضه   و يا وجهه الضاحك القسمـــات

و يا لوحة في سجل الخلود   تموج بها الصور الحالمــــــات

و يا قصة بث فيها الوجود   معاني السمو بروع الحيـــــــاة**

و مع مرور الوقت أصبحت هذه الملتقيات تتسم بالتدّرج و العالمية و الموضوعية بل و بوضوح الرؤيـــة لفهـــم القضايا المستجدة على الصعيد الفكري و السياسي و الديني فقد لاحظنا أثناء دراستنا لنمـــاذج مـــن محاضـــرات الملتقيات أنّها تدرجت من القضايا العامة إلى القضايا الوطنية إلى المحلِّية و من القضايا الفلسفية إلى قضايا الساعة.... و غيرها ، وهذا إن دلَّ على شيئ إنما يدل على تبلور الأفكار و وضوح الطريق أمام القائمين على هـــذا الـــنمط الجديد للبحث العلمي في المجتمع العربي المعاصر.

ولا شك أن هذا الرصيد مَكنَ الجزائر من الإرتقاء في معالجة قضايا الإنسان العربي و الإسلامي بكل إقتدار ، و لا نبالغ إن قلنا أن الجزائر أصبحت بفضل هذه الملتقيات محجة للعلماء و المفكرين و طالبي العلم من شتى بقـــاع العالم العربي و الإسلامي[4] .

---

[1] إسمه الحقيقي زكريا بن سليمان بن الشيخ الحاج سليمان و لقبه الشيخ أو آل الشيخ أديب و شاعر و سياسي عرف بشاعر الثورة ولد بمدينة بني يزقن بغرداية في أفريل 1908 تعلم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن بمسقط رأسه قبل أن ينتقل مع والده إلى مدينة عنابة ثم تونس ليلتحق بالزيتونة و بعد عودته إلى الوطن إنغمس في الحياة السياسية فكان عضوًا قياديًا في حزب الشعب و كان أيضًا من المومنين الرواد بالوطنية و من الذين وظفوا قريحتهم لتمجيد حزب الشعب ثم الثورة التحريرية في أناشيده الحماسية توفي بتونس في 1977 و إستقبلت الجزائر جثمانه و دفن بمسقط رأسه في 17 أوت 1977 .ينظر- د محمد ناصر :شاعر الثورة في مراحل حياته ، مجلة الثقافة السنة السادسة عشر عدد 93 ماي ، جوان 1986 ص 97 .

[2] يؤكد مترجمنا بأنه هو الذي طلب من شاعر الثورة مفدي زكريا سنة 1971 أن يضع نشيدًا يجمع كل الأناشيد التي تشمل تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى ذلك التاريخ و هو ما توج بالعمل الذي أسماه مترجمنا إلياذة الجزائر : ينظر – مولود قاسم :إلياذة الجزائر ، مجلة الثقافة عدد 91 السنة السادسة عشر جـــانفي – فيفري 1986ص 14.

** بلغت الإليادة الألف بيت و بيت 1001 أنشد منها مفدي زكريا بصوته الستمائة و العشر أبيات سجلتها التلفزة و الإذاعة و طبعت كاملة في الجزء الأول من كتاب الملتقى السادس و ترجمت إلى الفرنسية في نفس الجزء من الطبعة من طرف الطاهر بوشوشي ، و يذهب الدكتور سعد الله على أن فكرة الإلياذة كانـــت = =فعلا لمولود قاسم و أن مادتها التاريخية ساهم فيها الكعاك و يقول مترجمنا على أن الرئيس بومدين إستدعى شاعر الثورة في مكتبه بالرئاسة و كان بذلك وسيطا بين الرجلين : ينظر – مولود قاسم المصدر نفسه ص ص 14- 15 .

[4] يحي بوعزيز: محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم بفندق الأوراسي الجزائر ، يوم 28 مارس 2005.

أما الملتقى السابع فقد إنعقد في بلاد القبائل بتيزي وزو في منتصف 1973 و إمتد على طول أيـــام 10 إلى 22 جويلية 1973[1] و لم يتم إختيار مدينة تيزي وزو صدفة بل جاء تحديدا في هذه المنطقة لأن القائمين علـــى هذا الملتقى أحسوا بأن بلاد القبائل أصبحت من جديد مستهدفة بالدعاية التمسيحية التبشيرية[2] و عقد هذا الملتقى بهذه الديار جاء إجابة صريحة على رفضها لمثل هذه التحركات و الدعوات كما كان في الوقـــت نفســـه صـــفعة للقائمين على التبشير و تحذيرًا لأصحاب النفوس الضعيفة التي قد يستهويها تغيير المِلة و هو أمر كما نعرف لـــيس بالهين فهذا الشعب إنكسرت أمامه محافل التنصير و التمسيح قبل هذا التاريخ ألم يقل الجزائريون ذات يـــوم علـــى لسان أحدهم و هو يكتب رسالة إلى الحاكم العام يعبر فيها عن الشعور الحقيقي لأغلبية الجزائريين [3]:"إننا نفضـــل أن نحرق نحن و أطفالنا على أن نغير جنسيتنا و نصير فرنسيين" هذا من جهة و من جهة أخرى فإن إدراج مثل هذا الموضوع في هذه المنطقة بالذات ينم عن وعي حاملي الفكرة الإسلامية بأن المعركة لم تتوقف بل هي مستمرة بـــين حاملي الصليب و حاملي الهلال[4].

و إذا ما إسْتقرَأنَا موضوعات الملتقى و المدعوين له فإننا نلاحظ أن هذا الملتقـــى كـــان بحـــق ملتقـــى المتحمسين للفكر الإسلامي من أمثال:محمد أبو زهرة و زينب الغزالي و عثمان أمين و الدكتور عبد الواحـــد وافي من مصر و عثمان الكعاك من تونس و صبحي الصالح من لبنان و علال الفاسي من المغرب و من الجزائر الشـــيخ أحمد حماني و أحمد سحنون و الشيخ إبراهيم بيوض و الأستاذ المهدي البوعبدلي و آخرين مـــن العـــالم العـــربي و الإسلامي[5].

و بالرجوع أيضًا إلى يوميات الملتقى فإننا نلاحظ أن المحاضرات و المداخلات تناولت هذا الموضوع بإسهاب و نذكر عينات من هذه المحاضرات في هذا الجدول [6]:

عنوان المداخلة	إسم المتدخل

[1] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي من الأول إلى العشرين مرجع سابق ص 24
[2] مجلة أول نوفمبر مجلة سياسية إجتماعية ثقافية تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين عدد خاص أوت 1973 ص 31
[3] Charles Robert Ageron: Les Algériens Musulmans et la France ,1871-1919.Op.cit.p117
[4] عبد المتعال محمد الجبري : المرجع نفسه ص 173
[5] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي : مرجع سابق ص ص 26- 27
[6] المرجع السابق ،ص 28

1- آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الإحتلال وبعده	المهدي البوعبدلي
2- التبشير و التخطيط التبشيري	عثمان الكعاك
3- حركة التبشير و السياسة الإستعمارية في المغرب العربي في القرن 19	الحبيب الجنحاني (تونس)
4- من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19في الجزائر	عبد الجليل التميمي (تونس)
5- نشاط التبشير و دوره الإستعماري التخريبي بالأمس و اليوم و ما يجب القيام به إزاء هذا الخطر	علال الفاسي
6- التبشير بين الإستعمار و الصهيونية	وصفي أبو مغلي (فلسطين)

يوضح الجدول التركيز على موضوع التبشير و التنصير و خطورته على العالم الإسلامي و البلاد الجزائرية التي هي جزء من هذا العالم الإسلامي كما يبين الجدول وزن و ثقل و قيمة المتدخلين و مكانتهم.

و لا نكون مبالغين إن قلنا أثر مولود قاسم في هذا الملتقى بارز و جلي من المقدمات التالية:

فعداؤه لعملية الفرنسة و التنصير يعود إلى مرحلة الحركة الوطنية و بالرجوع إلى أدبياته في هذه الفترة فإنه كان يضع هذه المرامي بنفس الخطورة للإستعمار العسكري و السياسي للجزائر و من جهة أخرى فإن مولود قاسم كان يعي وعيًا كاملا أن فرنسا بذلت الكثير من أجل ترك بذور إستمرار المشروع الصليبي[1] في الكثير من المناطق و في مقدمتها بلاد القبائل الكبرى و الصغرى [2].

ونعتقد بأن هذا الهاجس من الخوف من عودة التبشير دفع به و صحبه إلى عقد هذا الملتقى بتيزي وزو من باب أن المحافل الكاثوليكية في فرنسا لم تغمض عينيها عن جهد رجال التبشير في هذه المناطق فأراد مولود قاسم لهذا الموقف أن يقطع حبل العودة إلى هذه الديار [3].

و الحق إن كان مولد قاسم قد نجح في هذه الفترة في صد هذه الحملات التبشيرية فإن وسائل الإعلام تخبرنا اليوم أن عملية التبشير أحيت من جديد في هذه الديار و إن كانت محدودة فإن بعض العلماء حذروا من خطورتها في المستقبل.

و صفوة القول فإن ملتقى تيزي وزو كان بحق ملتقى خرج من دائرة الخطاب النظري إلى الخطاب العلمي الميداني المتمثل هذه المرة في السير نحو مواجهة الأخطار المحدِقة بالجزائر و بالمجتمع الإسلامي عمومًا، و يظهر هذا في

---

[1] مالك بن نبي : من أجل التغيير ط1 دار الفكر ، دمشق 1995 ص ص 56، 57

[2] - Fany Colonna :Les Instituteurs Algériens 1883- 1939 Alger (O. P . U) 1975,P, 16

[3] الحبيب الجنحاني:حركة التبشير و السياسة الإستعمارية الفرنسية في المغرب العربي،مجلة الأصالة عدد16 السنة الثالثة سبتمبر- أكتوبر 1973 ص ص 23، 24

الرأي العام الذي إستحسن هذه المرة العمل الريادي للنخبة المثقفة ثقافة إسلامية و تبنيها إنشغالات و هموم المجتمع[1]

و إذا كان هذا رأي السواد الأعظم من الجزائريين فإن هناك مستوى آخر لا يمكننا إغفاله و نقصد بهم تحديدًا بعض المثقفين ثقافة فرنسية الذين و إن لم يجهروا بمواقف صريحة إتجاه هذه الملتقيات و طريقة معالجتها لبعض القضايا من جهة أخرى فإنها ظلت هذه الفئة تتململ من خشية توسع دائرة المتحمسين للفكر الإسلامي و قد أظهرت الأيام أن هذا التململ راح يتسع إلى أن بلغ حد الإصطدام مع أصحاب مدرسة التوجه الإسلامي على منابر الملتقيات و مقاعد معاهد التعليم الأصلي ، فقد ذكر الباحث القدير الأستاذ سعد الله [2] : "... إذا كان الملتقى الإسلامي يخيف خصوم سي مولود فإن مشروع التعليم الأصلي قد نشر الرعب في الأوساط المعادية من شيوعيين و فرانكوفونيين الذين لا يقبلون بوجود جيل متضلع في اللغة و الدين و مرتبط بحضارته العربية و الإسلامية...".

أما بالنسبة لرأي بعض العلماء من البلاد الإسلامية فقد رَأوا في هذه الملتقيات إنها تجربة أصيلة جديرة بأن تجد صداها في المجتمع الإسلامي و يتبناها المسلمون حيثما كانوا ، و يمدوها بالإمكانيات المادية و المعنوية ، و نعتقد أنها أكاديمية صالحة لبحث أوضاعهم الفكرية و الثقافية و الإجتماعية و إصلاح عباداتهم حتى يكونوا مسلمين عمليين لا مسلمين لفظيين[3].

و إستمرت سلسلة الملتقيات و إختار الملتقى الثامن مدينة بجاية للإقامة و الدراسة و الحوار[4] و حضرته وجوه بارزة في الفكر و السياسة كالدكتور التيجاني هدام ، و عبد المجيد مزيان و آخرون جاءوا من دول عربية و إسلامية كالسودان و فلسطين إضافة إلى علماء من دول غربية كألمانيا الشرقية و بلجيكا و قد تناول الملتقى 34 موضوعًا تتصل بتاريخ منطقة بجاية و دور الدولة الحمادية كما تطرق الملتقى أيضًا إلى موضوع الهجرة الجزائرية في الخارج و موضوعات الجاليات و الأقليات الإسلامية في خارج العالم الإسلامي و دور الكاتب و المفكر في الأمة و العالم [5].

أما الملتقى التاسع فقد وجهه هذه المرة نحو الغرب ليقصد هذه المَرّة عاصمة الزيانيين تلمسان* و حضره جمع من الباحثين و المؤرخين منهم الأستاذ توفيق المدني و المهدي البوعبدلي و سلمان داود بن يوسف و حضر من المغرب عبد الهادي التازي و من سوريا الدكتورة ليلى الصباغ و من مصر الأستاذ زكي نجيب محمود ، و طرق الملتقى موضوع تاريخ الدولة الزيانية و الأندلس و عالج بعض أركان الإسلام كالزكاة و كذا دور الفنون كالموسيقى و المسرح و الشعر في تقوية الأمَّة أو إضعافها[1] .

---

[1] عبد الرحمان شيبان :" من أجل وعي إسلامي صحيح " ، مجلة الثقافة السنة الحادية عشر . العدد 65 ، سبتمبر – أكتوبر 1981 ص 07

[2] الدكتور أبو القاسم سعد الله المقابلة السابقة

[3] محمد الطاهر فضلاء : إنطباعات و ملاحظات حول الملتقى الفكر الإسلامي الرابع عشر ، مجلة الثقافة المرجع السابق ص ص 49 - 50

[4] جمع 855 طالب و 36 أستاذا من 25 مارس إلى 5 أفريل 1974

[5] محمد فارح : ملتقيات الفكر الإسلامي مرجع سابق ص 13

* تجاوز عدد الطلاب 1200 طالب و 32 أستاذ و مكث فيها من 10 إلى 19 جويلية 1975: ينظر – دليل ملتقيات الفكر الإسلامي - مرجع سابق ص 41

[1] محمد فارح المرجع السابق ص 14

و عكف الملتقى العاشر** على دراسة ثلاث نقاط في جدول أعماله هي :

إزدهار الحضارة و الفكر الإسلامي ، ضرورة التصنيع في العالم الإسلامي ، الأبعاد الروحية و السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية للعبادات و كان قد حاضر في هذه النقاط نخبة من المؤرخين و الأساتذة منهم يحي بوعزيز، سعيد شيبان، جيلالي صاري من الجزائر إضافة إلى الدكتور فؤاد زكريا من مصر و محمد سعيد رمضان البوطي من سوريا وأساتذة ضيوف قدموا من بولونيا و بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية[2] .

و تميز الملتقى بإصدار فتوى تتصل بالناحية الإقتصادية و تحديدًا الذين يعملون في المصانع و يزاولون الأنشطة الصعبة و الأعمال الشاقة و كذا الحصاد بالإفطار في شهر رمضان و قد أصدر الفتوى لجنة من الفقهاء و العلماء يمثلون مجموع علماء الإسلام [3] .و يمكن تفسير*** هذه الفتوَةِ في إطارها الزماني أي مسايرة عملية البناء للدولة للدولة الجزائرية من تشييد المصانع و بناء القرى الإشتراكية فالفتوى حسب إعتقادنا جاءت لضمان إستمرارية عملية البناء الإقتصادية للجزائر .

و مال الملتقى الحادي عشر إلى الجنوب و آثر مدينة ورقلة مقرًا لإقامته حيث كرس أربع نقاط سجلها في جدول أعماله منها: مساهمة الرستميين في حضارة الإسلام و فكره ، و المرأة بعد عام المرأة ، و كانت أهم نقاط الملتقى تلك التي جاءت عل صيغة السؤال التالي:هل بطون الأرض نعمة أم نقمة؟

و في هذا السياق جاءت محاضرة الدكتور الجيلالي صاري التي كانت تحت عنوان "لا تنمية بدون إستثمار موارد الثروة الباطنية و التحكم المباشر فيهما"[4]

و الحديث عن النفط و الغاز في ملتقى للفكر الإسلامي يدل على حرص السلطة التي إسترجعت هذه الثروة مع بداية السبعينيات من براثن الإستغلال و الإحتكار و أعادتها إلى صاحب الحق الأول في إستثمارها ألا و هو الشعب- أن تقول أن إسترجاع هذه الثروة لم يكن هدفا في حد ذاته بل أن السلطة السياسية آنذاك بدأت تخطط لإستثمار هذه الموارد بكيفية مدروسة لتحقيق التنمية و الإستقلال الاقتصادي [6].

و إنعقد المؤتمر الثاني عشر في عاصمة الأوراس باتنة * و تناول في نقطته المركزية تاريخ منطقة الأوراس ودورها في الكفاح التحريري عبر العصور و هي النقطة التي خاض فيها المؤرخ الفرنسي المشهور شارل روبير أجيرون الذي كانت مداخلته تحت عنوان "الإضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني (نوفمبر1916إلى جانفي

** شارك فيه 1107 طالب و 36 أستاذ و كانت المحاضرات أكثر من ثلاثين محاضرة طيلة الفترة الممتدة من 10 إلى 19 جويلية 1976 : ينظر – جريدة الشعب عدد 12 39 بتاريخ 10 جويلية 1976

[2] محمد فارح ،المرجع نفسه ص : 14.

[3] مقابلة مع الشيخ محمد الطاهر آيت علجت – فندق الأوراسي الجزائر 29 مارس 2005

*** جاءت الفتوى بعد زيارة قام بها المحاضرون و الطلبة إلى مركب الحجار يوم 16 جويلية 1976 ينظر نص الفتوة : مجلة الأصالة عدد 36،37 (عدد خاص) سبتمبر 1976ص 147

[4] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي مرجع سابق ص 64

[6] بوعلام بن حمودة : المرجع السابق.

* حضره 729 طالب و حوالي 50 أستاذا و إمتدت أشغاله من 7 إلى 14 سبتمبر 1978 : ينظر – محمد فارح ، المرجع نفسه ص 15

1917)" كما طرق نفس النقطة الأستاذ المهدي البوعبدلي و الباحث الشيخ سليمان داود بن يوسف ، بينما حاضر الأستاذ أحمد توفيق المدني و الأستاذ يحي بوعزيز و الشيخ عبد الرحمان الجيلالي حول تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية و علاقاتها مع دول و ممالك أوروبا و مع الولايات المتحدة الأمريكية [2] .

و هذه الملتقيات التسع (من الملتقى الرابع إلى الملتقى الثاني عشر) سهر عليها مولود قاسم وزيرًا للتعليم الأصلي و الشؤون الدينية ثم وزيرًا لدى الرئاسة مكلفا بالشؤون الدينية ** خلال إنعقادها و أشرف على تنظيمها و صاحبها في إرتحالها و إقامتها[3] .

أما الملتقى الثالث عشر الذي تم تنظيمه في تمنراست في الفترة الممتدة من 30 أوت إلى 8 سبتمبر 1979 فقد قام مترجمنا بالإعداد و التحضير له كما كان الأمر في الملتقيات السابقة لكن هذه المرة لم يشرف عليه كوزير و لكن كمستشار لدى لرئاسة*** .

و إذا حاولنا بعد هذا العرض أن نلخص عناصر التحول و الثبات في مسيرة الملتقيات لإستوقفتنا أكثر من تبدل في الشكل و تجديد في مضمون هذه الملتقيات رغم إستمرار التكامل بين محاوره و إرتباط الوقائع و القضايا التي عرضتها بحياة المسلمين في ماضيهم و حاضرهم و مستقبلهم و يمكن رصد هذه العناصر كالآتي:

1: من حيث الشكل

أ- بدأت مواضيعها مطلقة ثم قيدت و ربطت بنقاط محددة إبتداءًا من الملتقى الخامس بوهران

ب- خرجت إلى الوجود بإسم ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي ثم تحولت إلى ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي و بعد مرور وقت صار إسمها ملتقى الفكر الإسلامي و إستمرت على ذلك إلى غاية الملتقى الآخير بالعاصمة عام 1991

ت- ظهرت هذه الملتقيات إلى الوجود لا تحمل أي شعار إلا إسمها و منذ الملتقى السابع- تيزي وزو- وضع لها شعار دائم في شكل شعلة يعلوها قوله تعالى[5]" إن الله لا يغير ما بقوم حتَّى يغيروا ما بأنفسهم" .

2- من حيث المضمون:

إتسعت مواضيع الملتقيات و تعددت محاورها و إبتداءًا من الملتقى السادس بالعاصمة 1972 عززت بموضوع إفتتاحي أصبح ثابتا في كل الملتقيات يتناول هذا الموضوع مرحلة معينة من تاريخ المنطقة التي تستضيف الملتقى ففي

---

[1] دليل ملتقيات الفكر الإسلامي المرجع نفسه ص 73

* في شهر أفريل حصل تعديل حكومي حيث أصبح مترجمنا وزيرًا لدى رئاسة الجمهورية مكلفا بالشؤون الدينية

[3] حديث مع الدكتور أبو عمران الشيخ بمقر المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر العاصمة يوم 12 جانفي 2005

** في المؤتمر الرابع للحزب – جبهة التحرير الوطني – الذي تم في 1979 حصل تعديل حكومي أصبح بموجبه بوعلام باقي على رأس الوزارة – وزارة الشؤون الدينية – و عُين مترجمنا مستشارا بالرئاسة

[5]-سورة الرعد الاية 11.

الملتقى السادس بالعاصمة كان الموضوع حول دولة بني زيري و في الملتقى الثامن ببجاية حول دولة بني حمـــاد و في الملتقى التاسع بتلمسان حول دولة الزيانيين و حدث ذلك مع باقي الملتقيات.

و لم يقتصر هذا التحول على الملتقيات وحدها بل إمتد إلى الوزارة نفسها التي تشرف على تنظيمها فإنتقل إسمها من وزارة الأوقاف إلى وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية في 1970 و تقلص في 1977 التعليم الأصلي عن إسم الوزارة فأصبحت وزارة الشؤون الدينية فقط لإنفصال التعليم الأصلي عنها و إلحاقه بوزارة التعليم.

و الحق أن المتتبع لدور مترجمنا في هذه الملتقيات و بقوة فهو إضافة إلى إلقاء كلمة الإفتتاح و إختتام الملتقيـــات كان يتدخل في كل المواضيع تقريبًا بالتعليق و المناقشة مؤيدًا تارة و رافضًا تارة أخرى و قد يصل الأمر إلى أن يأمر أحد المحاضرين بالتوقف و أحد الواقفين بالجلوس[2] و قد يتطور الأمر إلى حد الغضب و الرد العنيـــف* كمـــا يحرص على نشر وقائع الملتقيات كاملة من محاضرات ....و مناقشات و يتولى بنفسه التصـــحيح الأخـــير لكتـــب الملتقيات قبل سحبها التي ترسل نسخ منها إلى السفارات الجزائرية في الخارج و إلى المكتبات العلميـــة و مراكـــز البحث في شتى أنحاء العالم إضافة إلى إعادة بعض المحاضرات في مجلة الأصالة[2] .

و قد لخص مترجمنا مغزى هذه الملتقيات بقوله [4] " أن يكون الإنسان إبن عصره مع البقاء علـــى أديم مصـــيره و دون أن يصبح نسخة غيره** " ويفهم من العبارة بعد تجريدها من السجع و الغموض إنما تعلق بالآنية و الأصالة الأصـــالة
و ضرورة التطور و التفتح على ما يجرى في عالم لا يرحم الضعفاء و الكسالى و بذلك يكـــون للأصـــالة مفهـــوم ديناميكي ف السّكون في رأيه موت و فناء و التفتح يجب أن يبدأ من الأصالة و يعود إليها فيثريها و الأمـــة الـــتي تنفصل عن ماضيها و تراثها – هي أمة تحتقر نفسها و تصبح حتمًا ذيلا لغيرها.

---

[1] أبو القاسم سعد الله مقابلة سابقة

* يوميات الملتقيات مليئة بمثل هذه المواقف لعَّل أبرزها ما رواه لنا السيد الأستاذ محمد الصالح الصدّيق في ملتقى تلمسان للفكر الإسلامي – 1975 – عندما زل اللبناني صبحي صالح في مداخلته حينما قال :بأن ليلى الصباغ السورية مسيحية و لما بلغ الخبر مولود قاسم ثار غاضبًا و أثار القضية أمام جمع كبير من العلماء يمثلون عدد كبير من الدول الإسلامية

[3]- يحي بوعزيز المقابلة السابقة.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: مغزى ملتقيات الفكر الإسلامي ، مجلة الأصالة العدد 45 السنة السابعة ص ص 3- 4

** هذه العبارة أتِخذت شعارًا للملتقى الوطني الأول لتكريم المناضل و المفكر مولود قاسم المنعقد بفندق الأوراسي أيام 27 ، 28 ، 29 مارس 2005 من تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى.

التعليم الأصلي :

مجال آخر كان لمولود قاسم نايت قاسم إسهام فيه إنه التعليم الأصلي* و قبل تناولنا لتاريخ تشريع التعليم الأصلي و الظروف التي وجد فيها خليق بنا العودة إلى الوراء قليلا للوقوف على واقع التعليم في الجزائر عشية الإستقلال و بعد إسترجاع السيادة الوطنية. و رثت الجزائر المستقلة منظومة تعليمية هجينة بين التعليم الفرنسي و التعليم العربي الحر و التعليم الطرقي فهذه الأنواع المذكورة كانت تسير في آن واحد[1] .

فالمدرسة الفرنسية كانت تلقن مرتديها تعليمًا فرنسيًا لا يختلف عن التعليم المطبق في الوطن الأم - فرنسا- من حيث التشريعات و المناهج و اللغة و المحتوى و لم يكن هذا التعليم بمكوناته المذكورة يتوافق مع مقومات الأمة الجزائرية من جهة و تطلعات الشعب الجزائري الذي ضحى بخيرة شبابه من أجل إسترجاع كرامته و ثقافته العربية الإسلامية و يعيد الوجه الحقيقي العربي الإسلامي للبلاد و يحدث في نفس الوقت وعيًا دينيًا و إجتماعيًا يتوافق و مقومات الأمة [2] .

أما النوع الثاني من التعليم فهو التعليم العربي الحر الموروث من عهد الحركة الوطنية ، فالمعروف لدينا أن جمعية العلماء كانت لها مدارس و معاهد منتشرة في المدن و الأرياف و ظلت أقسام هذه مفتوحة إلى ما بعد الإستقلال .

إلى جانب مدارس جمعية العلماء كان للحزب الوطني الإستقلالي - حزب الشعب - حركة منتشرة في الأوساط الشعبية تقدم دروسًا للناشئة عماد المستقبل إلى جانب هذين النوعين من المدارس فقد كان للتعليم الحر حظ من المدارس إنها مدارس الزوايا و الطرق و هذا النوع من التعليم كان منتشرًا في المقام الأول في الأرياف و بعض المدن و بدرجة واسعة نسبيًا في مناطق الجنوب البعيدة عن سلطة الإدارة الفرنسية[3] .و بالرغم من وجود هذه المؤسسات التعليمية فإن المنظومة التربوية في الجزائر بعد الإستقلال لم تكن لتترجم أمال و رغبات الشعب الجزائري[4] .

و أمام هذه التحديات كان على الدولة الوطنية أن تولي الجانب التعليمي الإهتمام و الرعاية و من هنا جاء التفكير في تأسيس تعليم يتوافق مع المتطلبات الفكرية و الحضارية للشعب الجزائري الذي ظل محرومًا من هذا التعليم طيلة الفترة الإستعمارية و إرتبط وجود التعليم الديني بإسم أحد أعلام الجزائر و منظريها إبان الإستعمار

---

* لفظ أصلي هنا لا تعني بالضرورة الأصالة التي ستأتي في المبحث الموالي كعنوان لمجلة مترجمنا أو التي ترددت في كتاباته بل هي أقرب إلى لفظ السلفي أو الأساسي و التسمية عرفت كأول مرة في المغرب الأقصى ثم إقتفتها مصر و الكويت ثم الجزائر : ينظر – علال الفاسي : نهضة التعليم الأصلي في الجزائر – مجلة الاصالة العدد 07 السنة الثانية مارس – أفريل 1972 ص .89

[1] عائشة بو الثريد : التعليم العربي الحر في الجزائر و مؤسساته من 1947 – 1962 قسنطينة نموذج مذكرة -، مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ المعاصر تحت إشراف الأستاذ عبد الكريم بو الصفصاف – جامعة منتوري قسنطيتة - 2004 ، 2005 ص 212

[2] مالك بن نبي : شروط النهضة – ترجمة عبد الصبور شاهين و عمر مسكاوي ط2 ،مكتبة دار العروبة بالقاهرة 1961 ص 39

[3] محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج3 مطبعة التعاون – دمشق 1965 – ص ص 49- 50

[4] عائشة بو الثريد المرجع نفسه ص 212.

الفرنسي إنه عميد المؤرخين الجزائريين الأستاذ أحمد توفيق المدني** القيادي في جمعية العلماء الجزائريين و المشرف على أول وزارة للأوقاف في الجزائر المستقلة بين سنتي 1962- 1964.

و إذا كان في الظاهر أن إنشاء مثل هذا النوع من التعليم الديني في الجزائر هو إستجابة لتطلعات الشعب الجزائري لإعادة إدماجه في الثقافة و الحضارة العربية الإسلامية فهو يعني تحقيق مشروع ظل حلم الجزائريين أيام الحركة الوطنية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و لهذا فلا غرابة أن يقترن وجود التعليم الديني بإسم توفيق المدني أحمد الذي كان يرى ضرورة إعادة الإعتبار للغة و الثقافة الإسلامية بكل مكوناها العقدية و الحضارية و اللغوية و هذا ما يمثل تطبيق الشعار العزيز على نخبة من العلماء و الذي رافقهم طيلة نضالهم للمحافظة على مقومات الأمة و المجتمع و المتمثل في (الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا) [2].

و الحق أن التعلم الديني في الجزائر بدأ بداية متواضعة بل بطيئة و قد يعود هذا إلى المرحلة التاريخية الصعبة من الناحية الإقتصادية و التأطيرية فبناء مؤسسات جديدة و إستقدام مؤطرين من الدول العربية يتطلب ميزانية مالية معتبرة و هذا ما لم يكن سهل المنال في هذه الفترة بالذات (1963) [3] .

و حسب رواية بعض المعاصرين ان هذا المشروع ما كان ليظهر إلى الوجود لولا تلك الإسهامات الهامة و المعتبرة من البر و الإحسان الذين كانت لمساهماهم المالية و تشجيعهم المعنوي الأثر الواضح في نجاح هذه التجربة الجديدة في الجزائر عشية الإستقلال فكانت الإنطلاقة سنة 1964 بأربع مؤسسات منتشرة على الولايات : العاصمة ، بني دوالا (تيزي وزو) قسنطينة ، باتنة [4] .

إنطلق التعليم الديني بصدور تعليمة رئاسية و تحت مسمى"التعليم الديني" فكانت البداية التربوية بطيئة و متواضعة حسب شهادات المعاصرين[5] غير أننا نلاحظ أن القائمين على هذا التعليم كانت تحدوهم إرادة قوية و صلبة في ووضع أسس راسخة لهذا النوع من التعليم في الجزائر و يظهر هذا جليًا فيما أن مرت سنة واحدة عن ميلاد التعليم الديني حتى صدر مرسوم في 11جانفي1964 ينظم و يوضح مغزى هذا التعليم فقد جاء في المادة الأولى له"[6] أن التعليم يقسم إلى نوع ثاني هو التعليم الديني الإسلامي الذي هو من إختصاص وزارة الأوقاف و يتضمن التعليم القرآني و التعليم الإكمالي و الثانوي و التعليم العالي الإسلامي" و قد كانت أهدافها تتمثل في تكوين جيل متضلع في الثقافة العربية الإسلامية إضافة إلى العلوم العصرية[7] عن طريق :

---

* مؤرخ و أديب سياسي جزائري ولد سنة 1899 بتونس من أبوين جزائريين لاجئين إلى تونس درس بجامعة الزيتونة ، شارك في الحياة السياسية التونسية و ساهم مع عبد العزيز الثعالبي في تأسيس الحزب الدستوري الحر ، نفاه الفرنسيون سنة 1925 إلى الجزائر ، إنظم للحركة الإصلاحية الجزائرية و كان من= =المؤرخين الجزائريين الأوائل ، تولى مناصب عديدة منها أمينا عامًا لجمعية العلماء المسلمين سنة 1952 ووزيرًا للثقافة في الحكومة المؤقتة الأولى ، و كان على رأس أول وزارة للشؤون الدينية و الأوقاف بعد الإستقلال توفي سنة 1983:ينظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين،مرجع سابق ص 303

[2] عبد الكريم بو الصفصاف : جمعية العلماء الجزائريين و علاقاها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931- 1945) مرجع سابق ص 207

[3] مقابلة مع محمد الصغير بلعلام – المجلس الإسلامي الأعلى بالعاصمة في 12 جانفي 2005

[4] حديث مع الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف يوم 18 أكتوبر 2006

[5] محمد الصغير بلعلام – المقابلة نفسها

[6] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية مرسوم 64 – 10 المؤرخ في 11 جانفي 1964

[7] أحمد درَّار : التعليم الأصلي في الجزائر خلال العشر سنوات من إسترجاع الإستقلال – مجلة الأصالة – عدد 08 السنة الثانية ، ماي – جوان 1972 ص 234

1- تقوية مكانة اللغة العربية و نشرها على أوسع نطاق.

2- إنقاذ الشباب الذين تجاوزوا السن المحددة للدخول إلى التعليم العام بإدماجهم في التعليم الديني.

3- تكوين إطارات دينية قادرة على تحمل مسؤولياتها و تبليغ رسالتها.

4- تحقيق التكوين العلمي بأوسع معانيه من التربية الإسلامية الحديثة.

5- المساهمة في تربية الفرد روحيًا و خلقيًا و عقليًا و جعله عضوًا نافعًا في مجتمعه [1].

و إنطلق التعليم الديني لتحقيق الأهداف المذكورة آنفا فراح يستقبل الشباب الذين تجاوز سنهم 14 سنة و الذين يلمون ببعض قواعد اللغة العربية و القرآن الكريم حيث يستفيدون من تكوين لمدة أربع سنوات معظمه دروس في اللغة العربية يتحصل الطلبة بعد هذا التكوين على شهادة الأهلية [2] و يبدوا أن نجاح التجربة الأولى التي إنطلقت بأربع معاهد شجعت و لا شك الجهة الوصية على فتح معاهد جديدة و ما يؤكد النتائج الطيِّبة التي تحققت مع بداية هذه المؤسسات هي الزيادة المطردة لعدد المعاهد كما هو موضح في الجدول التالي [3] :

الموسم الدراسي	65-64	66 -65	67-66	68 -67	69 -68	70 -69
عدد المعاهد	04	07	12	12	14	15

- يظهر من الجدول زيادة بارزة حيث كانت البداية بأربع معاهد و وصلت سنة 1970 إلى 15 معهدًا و هو ما يترجم نجاح و تقدم هذه المؤسسة في العمل التربوي.

- و من جهة أخرى كانت الزيادة في عدد الطلبة المسجلين في هذه المعاهد كما هو مبين في الجدول [4] :

السنوات	1963	1964	1965	1966	1967	1968	1969
عدد تلاميذ مؤسسات التعليم الديني	908	2196	2292	4735	5725	6939	7529

- يظهر الجدول إرتفاع عدد الطلبة حيث في سنة 1963 لم يتعد عدد الطلاب 908 طالبا وصلوا في سنة 1969 إلى 7529 طالبا.

[1] عبد المجيد الشريف : التعليم الأصلي في الجزائر – مجلة الأصالة – عدد 4 السنة الأولى أكتوبر 1971 ص ص 69 – 70

[2] أحمد درار – المرجع نفسه ص 231

[3] عبد المجيد الشريف – المرجع نفسه ص 71.

[4] إدارة التعليم الأصلي: محلة الاصالة عدد، 16-17 (عدد خاص بالتعريب) السنة الرابعة، نوفمبر ، ديسمبر 1973 ، ص 431.

- و قد حصل الطلبة على نتائج معتبرة من خلال إرتفاع عدد الناجحين في شهادة الأهليـــة مثلمـــا يوضـــحه الجدول التالي[1] :

الموسم الدراسي	65-64	66-65	67-66	68-67	69-68	70-69
عدد الناجحين	92	257	390	628	788	813

يلاحــــظ من خـــلال الجدول إيجابية المردود التعليمي لهذه المؤسسات إذ كانـــت أول دفعـــة للنـــاجحين و الناجحات في شهادة الأهلية بـــ:92 طالبـــا خلال الموسم الدراسي 1964 – 1965 ارتفع العدد إلى 813 طالبا في الموسم الدراسي 1969 – 1970 .

و بالرجـــــوع إلى شهادات بعض إطـــارات التعليم الأصلي الذين ما زالوا على قيد الحياة يجمعون علـــى أن القيمين على التعليم الديني في الجزائر رغم إيمانهم و حماسهم لهذه التعليم على أن هذه المؤسسة تعرضت لصـــعوبات جمة إن على مستوى الهياكل أو البرامج أو موقف الآباء و الأولياء تجاه هذا النوع من التعليم ناهيك عن الخصـــوم الحقيقيين للتعليم العربي عامة و التعليم الديني على وجه الخصوص ، فالتعليم الديني في بدايته و نظرا للصعوبات المالية التي كانت تعيشها الجزائر إبان الفترة اضطرت الجهة الوصية إلى فتح أقسام في المباني القديمة الموروثـــة مـــن العهـــد الاستعماري[2].

و الحق أن هذه الأقسام كانت تفتقد إلى حد كبير الشروط الأساسية من الهياكل و الوسائل الماديـــة يضـــاف إليها تباطؤ في إنجاز المشاريع التي تسمح بتكوين إطارات دينية كفأة و واعية بمسؤوليتها و تطبيق بـــرامج رديئـــة لا تتجاوب مع الأهداف السابقة التي سطرت لها، ولعل هذا ما جعل الطلاب و التلاميذ ينفرون منها و يعتبرنها غـــير مواكبة لروح العصر و علومه هذا على المستوى البيداغوجي يضاف إليها أن الآباء كثيرا ما ترددوا في إرسال أبنائهم إلى هذه المعاهد [3] بل ذهب بعضهم إلى النفور منها حيث أعتبر التعليم بها لا يتواكب مع روح العصر[4] لذلك ظـــل التعليم الديني في الجزائر يسير بتوئدة إلى غاية 1970 حيث شهد هذا التاريخ انقلابا حقيقيا في هذا النـــوع مـــن التعليم فأدخلت عليه إصلاحات جذرية لا من حيث البرامج و الهياكل بل من حيث التسمية أيضا فغـــدا يعـــرف بالتعليم الأصلي ، و من هذا التاريخ يدخل التعليم الديني في الجزائر مرحلة أخرى تميزت بوضوح الرؤيـــة و إيجـــاد تعليم يتوفر فيه شرطان أساسيان الأصالة و التفتح فقد روعي فيه أن يكون هذا التعليم يتماشى و المرحلة المعاصرة له من حيث الأهداف و البرامج [5].هذه الأخيـــرة ، التي استمدت من برامج المدارس الدينية في المشرق العربي و هكذا غدا التعليم الأصلي يجمع بين العلوم الدينية و الوضعية ، فكانت البرامج تتناول العلوم الحديثة مثـــل الرياضـــيات ، الفيزياء ، الجغرافيا ، التاريخ و المواد الأدبية و الشرعية تناولت التفسير و الفلسفة و تاريخ الأديان المقارن[6] .

---

[1] أحمد درَّار : المرجع نفسه ص 233.

[2] - محمد الصغير بلعلام : السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات ، واجبات و حقوق ، مجلة الأصالة عدد 08 ، جوان ، ماي 1972 ص 246

[3] - محمد الصغير بلعلام ، مقابلة سابقة .

[4] - يحي بوعزيز : أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين ، مجلة الثقافة عدد 63 الجزائر 1981 ص 234

[5] - عثمان شبوب : دور التعليم الأصلي في ثقافتنا الحديثة ، مجلة الأصالة عدد 11 السنة الثانية ، نوفمبر ، ديسمبر 1972 ص ص 02 ، 03

[6] - إدارة التعليم الأصلي : المرجع السابق ص 429 .

إن النظـــــرة المتفحصة لبرنامج التعليم الأصلي الجديد يتبين للباحث أن روحا جديدة نفخت في هذا التعليم و أصبح بإمكان المقبلين عليه التفتح على المستقبل و الخوض في الاختصاصات العلمية المختلفة على أساسين رئيسين :

الشخصيـــة الوطنية الجزائريـــة و الحضارة العربية الإسلاميـــة"

و نعتقـــــد أن إدخـــــال مثل هذه الإصلاحات الجذرية على برنامج التعليم الديني في الجزائر أصبح يعرف إقبـــالا أكثر من ذي قبل من طرف أبناء الشعب الجزائر كما هو موضح في الجدول التالي :[2]

السنـــوات	1970	1971	1972	1973	1975
تلاميذ مؤسسات التعليم الأصلي	8682	12655	15345	23807	30000

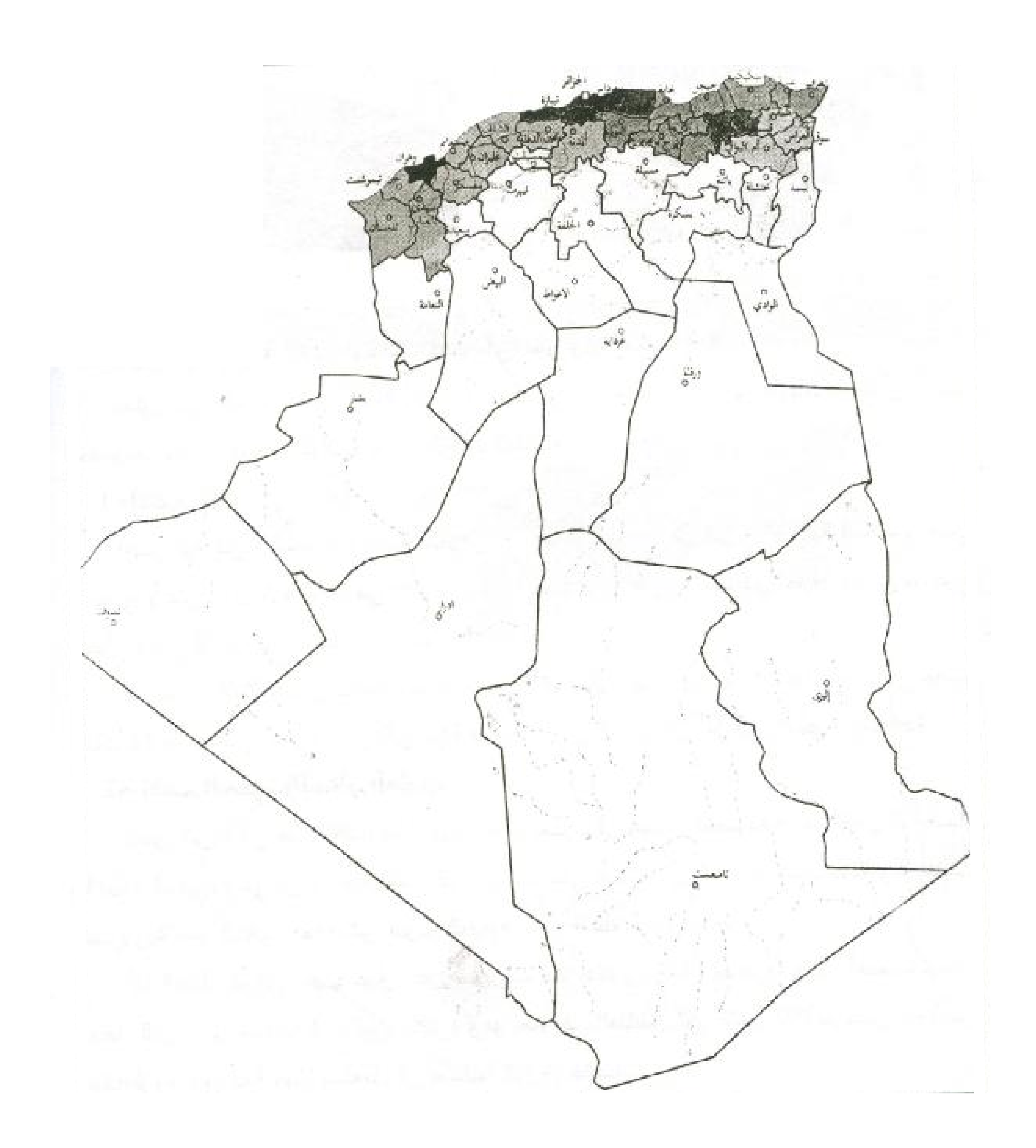
يظهـــــر الجدول تضاعفا مطردا في عدد التلاميذ فتضاعف العدد من سنة 1970 إلى 1975 إلى حوالي 4 مرات ليصل إلى 30 ألف تلميذا نظاميا و هذا يؤكد ما ذهبنا إليه و هو ما شجع و دفع الوزارة الوصية على فـــتح دور جديد للتعليم الأصلي في مختلف ولايات القطر"* امتدت من العاصمة إلى تمنراست و من عنابة إلى تلمســـــان كما هو مبين في الخريطـــــة :

" برنامج مؤسسات التعليم الأصلي يرتكز أساسا على التربية الوطنية و التعمق في اللغة العربية و اللغات الأجنية و بذلك فهو منهج دراسي متكامل مستمد من أحدث الطرق العلمية المعمول بها في الدول المتقدمة ، و البرنامج بهذه المواد يكون نفسه المعتمد في وزارة التعليم العام مع برنامج إضافي يتمثل في العلوم الشرعية من تفسير و حديث و فرائض و اصول و منطق و فلسفة اسلامية

[1] - ينظر : إدارة التعليم الأصلي ، المرجع نفسه ص 429 و كذلك: Luc-Willy Deheluvels , Islame et pensée contemporaine en Algérie , Edition du CNRS , Paris 1994 p : 21

[2] - إدارة التعليم الأصلي: الرجع نفسه ص 431.

"*تزامنا مع توسع نطاق التعليم الأصلي صدرت بشأنه المراسيم التي تعترف شهاداته حيث استحدثت شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي و شهادة الأهلية للتعليم الأصلي ينظر : الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية : مرسوم رقم 71- 128 المؤرخ في 13 ماي 1971



خريطة تبين مؤسسات التعليم الأصلي الموزعة عبر مختلف ولايات القطر

ففـــي سنـــــة 1971 "" بلغت مؤسسات التعليم الأصلي عشرين مؤسسة """ و ظلـــــــت في تزايد ليصل إلى 52 مؤسسة سنة حتى 1976 كما هو موضح في الجدول التالـــي:[1].

السنــــوات	1971	1972	1973	1976
عدد المؤسسات	21	27	31	52

و قد ظـــل الرئيس هواري بومدين " يؤكد في خطبه و أثناء زياراته الميدانية لهذه المؤسسات على أنهـــا :[2] " ليست من الدرجة الثانية ... و محتوياتها لا توصف بالتخلف و الرجعية " هذا من جهة و من جهة أخرى فقـــد وجدت الجماهير العريضة _ التي ظلت محرومة من التعليم ظالتها في استدراك ما فاتها من الاستفادة مـــن العلـــم و الاستزادة من المعرفة و الثقافة و هذه الرسالة اعتبرت من جميع المعاصرين محمدة للتعليم الأصلي حيث ساهم في إيجاد كم معتبر من المقاعد الدراسية لأبناء الأسر المتواضعة[3].

كما عمل هذا التعليم أيضا في الحد من اتساع دائرة الجهل و الأمية التي لازمت المجتمع الجزائري طيلة الوجـــود الكولونيالي[4] و ذلك عندما شرعت الوزارة الوصية في حملة محو الأمية في كل مساجد القطر ابتداء من يوم 15 اكتو بر 1970[5] و قد افتتح هذه الحملة الرئيس هواري بومدين و تفقد سيرها في عدة ولايات و وجدت الحملة صداها في أوساط الشعب الجزائري المتعطش للعلم و المعرفة[6]. و الجدول التالي يبين مراكز محو الأمية و عدد المســـجلين في السنة الثانية لانطلاق الحملة أي في 1972.

" يؤكد مترجمنا أن الرئيس بومدين شخصيا كان وراء جعل شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي ذات معادلة دولية ككل الشهادات ينظر: مولود قاسم بومدين وثوابت الامة المرجع السابق .

"" 1971 السنة التي اجريت فيها أول دورة لامتحان شهادة البكالوريا و كان عدد الناجحين 33 طالبا

""" صممت هذه المؤسسات وفق نمط معماري واحد ذو طابع إسلامي انظر الملحق رقم:

[1] - M.MADI : langue et identité de la marginalisation a la résistance réflexion N°01 Edition casbah , 1997 p . 118

[2] - أحمد درار ، المرجع السابق ص 230 .

[3] - عثمان شبوب ، المرجع السابق ص 06 .

[4] - رابح تركي : مشكلة الأمية في الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981 ص 25 .

[5] - محمد الصغير بلعلام : ، المرجع السابق ص 250.

[6] - المرجع نفسه ص 250

جدول يبين مراكز محو الامية وعدد المسجلين والناجحين في شهادتي الابتدائية و الأهلية سنة 1972.[1]

الولايات	عدد مراكز محو الامية	عدد المسجلين	الناجحون في شهادة الابتدائية والنهائية
الجزائر	123	4915	
المدية	88	1500	
الشلف	50	507	
مستغانم	52	1576	
وهران	112	2330	
تلمسان	40	2200	
تيارت	35	900	06
سعيدة	47	1666	
بشار	53	1240	
تيزي وزو	320	2500	
سطيف	231	4656	
قسنطينة	160	3200	25
عنابة	106	1400	
الاوراس	54	2299	30
ورقلة	144	2511	112
المجموع	**1615**	**35000**	**173**

و مـــن خلال عدد المسجلين و الناجحين في الشهادة الابتدائية و الأهلية نلمس الثمار الطيبة لهذه العملية الـــتي جعلت من هذه الفئة من يطالع الصحف اليومية و البعض الآخر يتقدم لامتحان الممرنين أو إلى امتحـــان شـــهادة الأهلية [2].و تعـــززت هذه العملية بتنظيم دورات تدريبية في المراكز التربوية التابعة للمركز الوطني لمكافحة الأميـــة و ذلك بالتنسيق مع منظمة اليونسكو [3].

إن النجاحـــــات الكبرى للتعليم الديني في الجزائر و تقدم الإصلاحات في هذا القطاع حمل القـــائمين علـــى التعليم الأصلي إلى توسيع دائرة اهتماماتهم فشجعوا الطلبة الأجانب للانخراط في هذا السلك من التعليم فشـــهدت فاتحة 1972 وصول أول دفعة من الطلبة الأفارقة * يتقدمهم طلبة السنغال ثم فولتا العليا ، غينيا ، ساحل العـــاج، الكونغو ، موريتانيا ، السودان ، غامبيا ، النيجر ، الصومال و تشاد كما وصلت دفعات الطلبة من البلاد الإسلامية البعيدة _ تايلاندا _ تحدوهم رغبة ملحة في الاستزادة من العلوم الشرعية و الثقافة العربية فقد وجدوا في مـــدارس التعليم الأصلي ضالتهم فالكثير منهم رجع إلى بلاده حاملا شهادة تؤهله لشغل منصب محترم[4].

و إذا كنـــا نصدق أن دافع الجزائر في هذه الفترة هو المجيء بمساعدة أبناء هذه البلدان الإفريقية أساسا و العـــالم الثالث عموما و شغل مكانة قيادية بين هذه الأمم المستقلة حديثا .

---

[1]- محمد الصغير بلعلام : ، المرجع السابق ص: 253.

[2] - محمد الصغير بلعلام: المرجع نفسه ص 250

[3] - المركز الوطني لمحو الأمية : تاريخ الأمية و حجمها و خطرها ،بمجلة الوحدة اللســـان المركـــزي للإتحـــاد الـــوطني للشـــبيبة الجزائريـــة : L'UNJA عدد 145 الجزائر 1983

* بلغ عددهم في 1973 200 تلميذا يدرسون إلى جانب الطلبة الجزائريين و يتمتعون بالنظام الداخلي مع منحة شهرية و تتكفل الوزارة الوصية بتكاليف السفر و العلاج و شراء الكتب ينظر :
إدارة التعليم الأصلي ، المرجع السابق ص ص 428 ، 429

[4] - L.W – Deheluvels . op-.cit.p.23

كما حرصت الوزارة الوصية _ وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية _ على تبليغ رسالتها إلى الجالية الجزائرية و الإسلامية في أوربا بإرسال وفود من الطلبة مزدوجي اللغة " Bilingues " للاتصال بالمهاجرين الجزائريين و المسلمين خصوصا الطلبة و العمال و إن كانت هذه المبادرة ليست جديدة فقبل الاستقلال أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها هذه المهمة و ذلك من خلال نشاطات العربي التبسي و الشيخ الفضيل الورتلاني و آخرون في المهجر [1].

إلى جانب التعليم النظامي اهتمت وزارة التعليم الأصلي بشرائح أخرى ظلت بعيدة عن التكوين و التعليم إنها الفئة المسنة أي من فاقم سن التمدرس فاستحدثت الجامعة الشعبية * التي فتحت على مستوى المؤسسات المذكورة سالفا لجميع المستويات الدراسية دون الالتزام بالشروط الضرورية للطلبة النظاميين [2].

و يبدوا من أول وهلة أن التفكير القائمين على هذا المشروع هو محاولة لمحو الأمية و الجهل من جهة و إزالة رواسب الاحتلال التي كانت قائمة على أبعاد هذه الفئة من نور العلم و المعرفة [3].

و الحق أن جهد الجامعة الشعبية قد وجد قبولا و استحسانا من قبل الجزائريين قاطبة فكان الإقبال على هذا الدور معتبرا* و الأرقام التي بين أيدينا تترجم هذه الروح ففي الموسم الدراسي 1972 – 1973 كان عدد المترددين على هذا الدور 5400 طالبا ، ارتفع هذا العدد عشية إلغاء التعليم الأصلي في 1976 إلى 10 آلاف طالبا و طالبة [4] و هذه ظاهرة ملفته الانتباه و تترجم بحق تلهف الجزائريين للعلم و التكوين و المعرفة و في الوقت نفسه إجابة صريحة على النظرية الاستعمارية العنصرية التي ظلت تتهم الجزائري بأنه عدو للمدرسة هذا من جهة و من جهة أخرى تترجم هذه الأرقام الروح المكافئة للقائمين على التعليم في هذه الفترة بالذات .

كل هذه الإنجازات دفعت الوزارة إلى التفكير في توسيع دائرة التعليم الأصلي ليتوج فالتعليم العالي عن طريق استحداث كلية الشريعة و كلية أصول الدين و كلية العربية و الآداب السامية المقارنة و ذلك في كل من قسنطينة و العاصمة و وهران و هي تجربة تشكل نواة أولى لإنشاء جامعة إسلامية كاملة تجمع كل التخصصات : التعليم الحديث مثل الطب و الصيدلة و الهندسة و الاقتصاد إضافة إلى المواد الدينية [5] .

و تشجيعا من دعاة المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ظهرت إلى الوجود جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة و بعدها ظهرت جامعة مماثلة للأولى أطلق عليها جامعة أول نوفمبر بباتنة تخليدا و تكريما للثورة التحريرية بينما ظلت مشاريع العاصمة و وهران تراوح مكانها .

---

[1] - محمد الصغير بلعلام ، مقابلة سابقة

* يوجد هذا النوع من الجامعات في ألمانيا الغربية ، النرويج و الدنمارك و باقي الدول الاسكندنافية و يبدوا أن مترجمنا قد تأثر بالنجاح الكبير الذي حققه هذا النوع في ألمانيا الغربية في الخمسينات و الذي يسمى " VOLEKS-.Shochs-.Shule "

[2] - علال الفاسي : نهضة التعليم الأصلي في الجزائر ، مرجع سابق ص 90.

[3] - خصوصا و أن هذه الجامعات تستقبل الراغبين في التعليم من جميع المستويات و تفتح أبوابها من الساعة السادسة إلى التاسعة مساءا و تدرس نفس البرنامج المعمول به لدى التلاميذ النظاميين ينظر : مجلة الأصالة عدد 17 ، 18 مرجع سابق ص 430.

[4] - المرجع السابق ص 430

[5] - جوهري بوعلام المرجع السابق ص 316.

بجانب الرسالة التعليمية و التربوية (التعليم الأصلي ، الجامعة الشعبية ، محو الأمية) اهتمت وزارة التعليم الأصلي و بتوجيه من مولود قاسم بتكوين و تحسين مستوى الأئمة و ما يندرج تحت خانة الإمامة التي تعتبر المهمة الأصلية التي وجد من أجلها هذا النوع من التعليم _ أي التعليم الأصلي فنجدها تخصص مداس لتكوين الأئمة * و القائمين على الجانب الديني من إفتاء و مرافقين للحج ** و مرشدين و غير ذلك و كانت دعوات مولود قاسم تصب في ضرورة تحسين هذا الفصيل من المرشدين و في كل مناسبة يوصي هذه الفئة – الأئمة _ بأن يتسلحوا بالعلم و أن يتخلوا على الأفكار القديمة التي أصبحت لا تقنع الناس خاصة الشباب فطريقة الوعظ و الإرشاد حسب قوله ينبغي أن يتغير جذريا لأن الدعوة الخصبة المثمرة هي التي ترتكز على الشباب و ذلك باستخدام طرق تربوية حديثة فالخطب التي كانت تقدم في المساجد رأى أنها أصبحت لا تتماشى و المرحلة التاريخية للبلاد إبان هذه الفترة و نصح بالابتعاد عن الأساليب العقيمة و التعصب و كل ما ينفر الشباب على الإقبال و التمسك بدينهم و حضارتهم العربية و الإسلامية.

و في المقابل استفاد هذا الفصيل من السلك الديني ابتداء من 1971 من فرصة الإدماج في الوظيف العمومي و ترتيبهم حسب درجاتهم العلمية على غرار العاملين في قطاع التربية و التعليم و أصبح القائمون على هذا النشاط يتمتعون بحقوق*** الموظفين في الدولة .[1]

إلى جانب الاهتمام برجال السلك الديني كانت لوزارة التعليم الأصلي مبادرات لا تقل أهمية عن سابقاتها و هي إعادة إحياء و تنظيم الزوايا التقليدية المنتشرة في مختلف جهات الوطن التي كان لها الفضل الكبير و الواسع في محافظة الجزائريين على ثقافتهم و دينهم و من هنا جاء الاهتمام و الرعاية بهذه الدور التي و حسب مترجمنا لن تبقى ذلك المعهد الذي يقتصر نشاطه على تحفيظ القرآن و العلوم اللغوية و الدينية بالطرق التقليدية بل سوف تنظم و تكيف ماديا و تربويا لتؤدي دورها في عملية التوعية و التعليم وفق البرامج المتبعة في مدارس و ثانويات التعليم الأصلي [2] و بنفس الحرص جاء اهتمام مولود قاسم فرسالة بالمسجد لا تنحصر في أداء الصلاة فقط بل أيضا كمدرسة و مجلس علم و ملتقى لإدارة المناقشات و إلقاء الخطب و المحاضرات [3].

و في خصم نجاح التجربة و النتائج الطيبة لمنظومة التعليم الأصلي بدأت تظهر بعض الصعوبات منها ما تعلق بنوعية التعليم كلغة التدريس و المواد المقررة و الصعوبة الثانية احتواء هذا التعليم على هامش من الايدولوجيا الوافدة على الوسط الجزائري و نقصد بالتحديد المؤطر ين و الأساتذة و المكونين القادمين من البلاد العربية المشرقية ساهموا

---

* تم إنشاء ثلاث مدارس كمرحلة أولى 1971 – 1973 و هي مدرسة سيدي عقبة و مدرسة تيزي وزو ، و تلاغمة فضلا عن المدرسة الوطنية لتكوين الإطارات الدينية بمفتاح و خططت الوزارة لانشاء مدارس أخرى لتكوين و تأهيل الأئمة و الخطباء و ذلك لاتساع مهامهم من الإمامة في الصلاة و الوعظ و الإرشاد و تحفيظ القرآن إلى إعطاء دروس في الفقه و التفسير و السيرة ينظر : محمد الصغير بلعلام : السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات ، مرجع سابق ص 251 .

** ابتداء من موسم الحج لسنة 1974 تم اصدار اقتراحات تنظيمية تبعا للتقاليد المتبعة في الدول الاسلامية و ذلك بارسال مرافقين مع الحجاج و توحيد الوفود في بعثة واحدة تمثل كل الجزائريين

*** المنح العائلية ، الضمان الاجتماعي ، الترقية ، العطل ، التقاعد ، الاستقرار في الوظيف

[1] - محمد الصغير بلعلام ، المرجع نفسه ص ص 248 ، 249

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم ، قرار 56 – 94 / 74 الصادر في 10 ماي 1974

[3] - محمد الحسن فضلاء : المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ط1 دار الأمة 1999 ص 241 .

في نشر إيديولوجيات مختلفة حملوها معهم من بلدانهم الأصلية كالبعثية و الناصرية و الأصولية الإسلامية و هو ما أثر على توجهات المتمدرسين و ظهر ذلك جليا في الاصطدامات الطلابية التي كانت تحدث من حين لآخر بين الطلبة في الجامعات و الأحياء الجامعية كان أخطرها التي وقعت في كلية الحقوق بين عكنون في ماي 1975 بين الطلبة.

و قد أثيرت هذه القضية أكثر ما أثيرت من طرف خصوم التعليم الأصلي و إذا كانت لهم هامش من الحقيقة من الاتهامات، فإن القصد هو محاولة عرقلة هذا النوع من التعليم الجديد في الجزائر خاصة بعد أن ظهرت نتائجه الطيبة تطفو على السطح بل يمكننا القول أصبح منافسا حقيقيا للتعلم العام الذي كان يغلب عليه اللغة و البرامج الفرنسية و هكذا وجد القائمون على هذا التعليم أنفسهم أمام معضلة حقيقية لما أثيرت قضية توحيد التعليم في الجزائر ، و هذا الأخيرة يمكن تشبيهها أو يمكن أن يصدق عليها القول كلمة حق أريد بها باطل ، فخصوم التعليم الأصلي* يرون فيه خطرا على التوجه الاشتراكي كونه تيار رجعي يستمد قوته من دعم الأخوان المسلمين و يتذرع هؤلاء في أن توحيد التعليم يشكل القاسم المشترك بين الجزائريين و بذلك يتحقق مبدأ ديمقراطية التعليم و ما يتبع ذلك من إتاحة مبدأ تكافؤ الفرص للجميع و التي لا يمكن تصورها خارج نطاق موحد للتربية [1]، كما أن الهدف الأساسي للتعريب و الجزأرة هو بالضبط توحيد الشباب.و ربطهم بما ينتمون إليه من المنابع الأصلية المشتركة و الفكرية منها و الاجتماعية و الايديولوجية و بالتالي تشبعهم بنفس المرجعيات ، إضافة إلى أن توحيد التعليم ضرورة ملحة هدفها إزالة الازدواجية على مستوى البينات و البرامج التربوية [2].

إلا أن القصد كان إلغاء التعليم الأصلي لقناعات فكرية و ايديولوجية مرتبطة بثقافة القائمين على التعليم العام
(الثقافة الغربية) و هكذا وجد القائمون على هذه المنظومة أنفسهم أمام خيار واحد هو التنازل على هذا النوع من التعليم و القبول بدمجه في التعليم العام[3] ، خاصة بعد أن أصبحت السلطة في البلاد ترى نفس رأي دعاة توحيد التعليم و كان تبريرها في ذلك هو ما جاء في الميثاق الوطني[4] "... و انطلاقا من المبدأ الثابت لوحدة التعلم و توحيد التوجه الايديولوجي للشباب و حتى يكفل لجميع الجزائريين في أقرب الآجال نفس التعليم فمن الضروري أن يدمج التعليم الأصلي و التعليم العام في تعليم واحد ، و أن يندمج النظامان التعليميان في تعليم واحد بنفس الروح و نفس المواد " .

و صفوة القول أن مؤسسة التعليم الأصلي التي انطلقت من دور مسترجعة(ثكنات ، مستشفيات قديمة) و بعدد ضئيل من الرجال و المؤطرين و بإرادة قوية و إيمان واسع استطاعت هذه الدور أن تشق طريقها في نشر

---

* يبدو أن فكرة توحيد التعليم كانت رائجة قبل 1976 و هذا ما دفع بإدارة التعليم الأصلي إلى دحض تلك الفكرة و كتابة مقال تحت عنوان : المفهوم المعكوس عن التعليم الأصلي و قد جاء ردا على بعض الكتابات التي وردت في بعض الصحف الوطنية ينظر : إدارة التعليم الأصلي المفهوم المعكوس عن توحيد التعليم لدى بعض المخربشين ، الأصالة عدد 9-10 جويلية – أكتوبر 1972 ص 189

[1] - جوهري بوعلام المرجع نفسه ص 315.

[2] - وزارة التربية و التعليم الأساسي : مجلة التربية ، العدد 03، السنة الأولى ماي ، جوان 1982 ص 101

[3] - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية مرسوم رقم 77 – 139 مؤرخ في 08 أكتوبر 1977 .

[4] - حزب جبهة التحرير : الميثاق الوطني 1976 ، المعهد التربوي الوطني الجزائر 1976 ص 97

العلم و الرسالة الحضارية حتى أصبحت محل إعجاب و تقدير ممن عرفوها من الجزائريين و العرب و المسلمين الذين زاروا الجزائر وقتها [1].

إن نجـــــاح التعليم الأصلي في فترة محدودة 70 – 76 يعود في رأينا إلى تعطـــش الجزائـــريين إلى الثقافـــة العربية الإسلامية و إيمان الدولة الوطنية و القائمين على هذا التعليم بالرسالة الحضارية للتعليم العربي الإسلامي مـــن جهة و من جهة أخرى فضل مولود قاسم كقيادي للتعليم الأصلي من موقع إشرافه المباشر فقـــد أراد أن يؤســـس لتعليم ديني يرشد الأمة الجزائرية في جانبها الروحي و يملأ الفراغ الذي أوجدتـــه السياســـة التعليميـــة لمـــا قبـــل الاستقلال [2].

و بالعــــــودة إلى اجتهادات المعاصرين له من أمثال الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي أفادنا بشهادة فحواهـــا [3]"لو نجح مولود قاسم في التعليم الأصلي و وجد المساندة و سارت الأمور بعقلنة و توازن مدروس لتفادينا تشـــرذم شبابنا الذين ذهبوا يبحثون عن غذائهم المفقود في بلادهم في السعودية و إيران و أفغانستان بل في كتب يصـــدرها مفتون في الشرق و الغرب ... لكن ماذا يفيد ذلك و قد رأى أماله تتحطم * و عاش حتى رأى بـــلاده تتمـــزق ثم تركها تبحث عن منظومة تربوية أخرى "

و إذا مـــا تفحصنا شهادة أبو القاسم سعد الله ندرك تمام الإدراك الدور الهام و الطلائقي الذي لعبه مولود قاسم في منظومة التعليم الأصلي الهادفة إلى إيجاد حلول دائمة للمعضلة التعليمية من جهة و القضية الدينية في الجزائر من جهة أخرى .

و لا ننهي الكـــــلام دون الإشارة إلى رواية أخرى أدلى بها العلامة الشيخ أحمد حماني** التي ورد فيهـــا مـــا يلي:[4] " ... قضي على التعليم الأصلي و ادمج في التعليم العام و كان بدء الفشل في هذه الخطوة إذ أفلت الزمام من التحكم في الاتجاه الديني الصحيح إلى حالة إهمال و تفكك و تسرب من حالة التعليم إلى المساجد و أدركنا زمـــن بلغ العبث فيه إلى المنبر و المحراب و أفلت الأمر أو كاد يفلت من الوزارة المختصة "

وجملـــــة القول أن مؤسسة التعليم الأصلي التي بدأت بدور متواضعة و رجالات معدودين غدت بحق تنافس بل و تضاهي المؤسسات القديمة و العريقة من حيث العدد و من حيث المنخرطين كما و كيفا هذا بالنسبة

---

[1] - عـــــلال الفاسي ، المرجع السابق ص 90
[2] - د / أبو القاسم سعد الله عن د / أحمد بن نعمان ، مولود قاسم نايت بلقاسم ، حياة و آثار شهادات و مواقف ، مرجع سابق ص 205
[3] -المرجع نفسه ص 206.

* ترك إلغاء التعليم الأصلي أثرا بالغا في نفسية مترجمنا ففي رواية أفادنا بها الأستاذ محمد فارح قال فيها أنه زار مولود قاسم في مستشفى مصطفى باشا الجامعي قبل ثلاثة من وفاته و أنه سمع من مترجمنا قوله أنه تمنى أن يعود يوما للتعليم الأصلي و يفتح فيه كلية للطب مقابلة مع محمد فارح ،المجلس الإسلامي الأعلـــى الجزائر العاصمة 12 جانفي 2005 .

** عالم و فقيه جزائري و مؤرخ ولد سنة 1915 بدائرة الميلية خريج جامعة الزيتونة 1936 إشتغل بالتعليم شارك بقلمه في الثورة بالمقالات و البيانات و هو ما عرضه للسجن ، بعد الاستقلال تقلد مناصب هامة إضافة إلى مهمة التدريس كان عضوا في المجلس الإسلامي الذي تأسس في 1966 ، وفي ســـنة 1972 استدعاه مولود قاسم من جامعة الجزائر لرئاسة المجلس الذي اخرجه فعلا من حالة الجمود التي لازمته في فترته الأولى (1966-1972) و كان من أبرز الوجوه التي شاركت بفعالية في ملتقيات الفكر الإسلامي توفي سنة 1999 ، ينظر: معجم إعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين مرجع سابق ص 65

[4] - الشيخ أحمد حماني : استشارات شرعية و مباحث فقهية ج1 منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1993 ص10

الجزائريين أما بالنسبة للأجانب فكانت هذه المدارس بمثابة الجامعات الكبرى حيث تذكر شهادات الإخوة الأفارقة و الآسيويين الذين درسوا في هذه المؤسسات أنهم كانوا ينظرون إليها نظرة الطالب الذي يلتحق بجامعة الأزهر أو الزيتونة أو القرويين و هذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن مؤسسة التعليم الأصلي كانت بمثابة منارة لجيل الاستقلال فتمسكت بمقومات هذه الأمة من لغة و دين و تاريخ و دافعت عن الوطن و حرمته أمام الغزو الثقافي الذي ظل متربصا بالجزائر المستقلة [1]

[1] - أحمد درار : التعليم الأصلي في الجزائر خلال العشر سنوات من استرجاع الاستقلال ـــ مرجع سابق ص 234

مجلة الأصـــالـــــة:

لقد كانت وزارة الأوقاف منذ الاستقلال و إلى غاية 1970 تعتني عناية خاصـــة بالمطبوعـــات و المجـــلات و كانت أول مطبوعة للوزارة بعد الاستقلال هي مجلة المعرفة التي كانت أول مجلة تصدر باللغة العربيـــة في الجزائـــر بعد استعادة الاستقلال [1] و حسب المعلومات التي تحيط باسمها فقد كانت مجلة شهرية للدراســـات الإســـلامية و الثقافية العامة *تصدرها وزارة الأوقاف بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية و صدر العدد الأول من هذه المجلة في محرم 1383هـــ الموافق لشهر ماي 1963 ** و ضمن بياناتها الإدارية نقرأ في غلافها الداخلي ما يلي :[2]

" المعرفة ترحب بإنتاج الكتاب العرب جميعا و تعني بكل ما يرد عليها و لكنها لا تنشر ما يناهض تعاليم الإسلام أو يناقض مقتضيات القومية العربية كما أنها تحتفظ بحق تعديل الصياغة و التعبير مراعاة للمستوى البيـــاني الذي تلتزم به غير أنها تتعهد بعدم التصرف في المعاني و الإرادة التي تعبر عنها الكتاب و الشعراء ".

أمـــا خـــط المجلة و اتجاهها فقد أعلنت عنه في افتتاحيتها التي كانت تصدر تحت عنوان حـــديث المعرفـــة و الذي لم يخرج عن سياسة النظام القائم و ذلك بتناول خطب الرئيس أحمد بن بلة و التي خصص لها ركـــن خـــاص تحت عنوان من خطب الأخ الرئيس ، أما هدفها فهو نشر المعرفة في مجالات متعددة مـــن خـــلال الدراســـات و البحوث الدينية و العلمية و الأدبية و التاريخية و الاقتصادية و ذلك ضمن إطار إسلامي واضح و هو ما عـــبر عنـــه وزير الأوقاف آنذاك الأستاذ أحمد توفيق المدني في مقالة تحت عنوان كلمة في الصميم :[3] " ... و هذه المجلـــة الـــتي يسعد وزارة الأوقاف أن تقدم عددها الأول إلى جمهور الشعب العربي المسلم في الجزائر ستكون بحول الله و قوتـــه رابطة روحية قوية تجمع بين مختلف الذين يؤمنون بأن هدى الله هو الهدى ... و تنشر الصالح مـــن التوجيهـــات و العميق من الدراسات و البحوث المختلفة ... و كل ذلك في نسق إسلامي محكم و فكرة إرشادية توجيهية صادقة "

و يجـــــدر الإشـــارة إلى أن المعرفة كان يتولى تسييرها الأستاذ محمد الصغير بلعلام مـــدير الشـــؤون الدينية آنذاك و لم يكن لها هيئة تحرير مختصة تشرف على تحرير موضوعاتها فكانت تعتمد في ذلك على مـــا يكتبـــه الأساتذة و الباحثون و بعض موظفي وزارة الأوقاف و على الاقتباس و النقل من كتب أو مجلات .

---

[1] - محمد الأمين بلغيث : الصراع الفكري في الجزائر المستقلة من خلال مجلة الأصالة 1971 – 1981 ، المرجع السابق ص 121

*كان حجمها (17 × 23,5) سم و عدد صفحاتها تتراوح بين (79 و 135) صفحة ، أما مقرها فكان في ساحة عبد الحميد بن باديس بالعاصمة حيث كان مقر وزارة الأوقاف .

** طبع العدد الأول من المعرفة في مطابع دار الكتاب بالدار البيضاء بالمملكة المغربية ثم أصبحت الأعداد الموالية تطبع بمطابع الإدارة العامة لجبهة لتحرير الوطني

[2] - مجلة المعرفة ، وزارة الأوقاف عدد 01 ، السنة الأولى ، ماي 1963 ص 02

[3] - أحمد توفيق المدني : كلمة في الصميم ، مجلة المعرفة ، المرجع نفسه ص ص 3 ، 4

و على المحاضرات التي كان يلقيها أصحابها بالجزائر أما توزيعها فتقوم به الوزارة الوصية [1] و بقيت تصدر شهريا إلى العدد الأخير منها الصادر في جمادى الأولى و جمادى الثاني 1385 هـ الموافق لـ : آوت و سبتمبر 1965 و بلغ بذلك مجموع ما صدر منها 20 عـــددا [2]

و في نهايــــة 1965 رأت وزارة الأوقاف تعويض مجلة المعرفة بمجلة القبس على أن تكون مجلة جزائريـــة تعبر عن أهداف الثورة الجزائرية تعبيرا صادقا و تعالج مختلف قضايا الفكر بروح ثورية كســائر ظــروف الـــبلاد و تترجم آلام و آمال هذا الشعب الذي أعطى كل ما لديه في سبيل عزتـــه و كرامتـــه [3].

و حسب مساعد رئيس تحرير المجلة الأستاذ محمد الصغير بلعلام فقد تم تحويل المعرفة * إلى القـــبس بهـــدف التغيير في الشكل و أيضا المضمون و هو ما يعني إيجاد كتاب جزائريين ملتزمين حتى يمكن للمجلة أن تضمن لنفسها إطارا جزائريا قارا تستغني به عن أسلوب سد الفراغ و نقل المواضيع من مختلف المجلات[4].

و قـــــد صدر العدد الأول من القبس ** في شهر ذي القعدة 1385 هـ الموافق لـ : مـــارس 1966 و أوضح أنها مجلة شهرية ثقافية تصدرها وزارة الأوقاف كما نجد في افتتاحية هذا العدد أيضا أهداف المجلة حيث نقرأ [5] " ... و إيمانا من وزارة الأوقاف بأهمية دور الإعلام و حشد الجهود لإعطاء الثورة الجزائرية وجهها الحقيقـــي في إعادة الثقافة القومية إلى وضعها الحقيقي و العودة إلى منبع الروح العربية الإسلامية أصدرت مجلة القـــبس لتحتـــل مكانها بين أجهزة الإعلام و تقوم بالدور الذي يفرضه عليها الواجب الوطني في التوعية الاجتماعية توعيـــة تســـتمد كل خصائصها و مقوماتها من تراثنا و ثقافتنا العربية الإسلامية ".

و تجـــــدر الإشارة إلى أن المجلة تعرضت في الكثير من المرات إلى التأخر ليس بسبب نقص الموضـــوعات و إنمـــا بسبب مشكلة الطبع ، ففي ثلاث سنوات كادت المجلة أن تطوف على مطابع الجائر كلها [6] و رغـــم ذلـــك فقـــد تمكنت المجلة من اختراق حدود الوطن و الوصول إلى بعض البلدان العربية مثل ليبيا و العراق و العربية الســـعودية و الكويت و امتد صدور القبس إلى سنة 1970 إذ كان عددها الأخير في شهر ربيع الثاني 1390 هـ الموافق لـ : جويلية 1970 و هو العدد الثالث من السنة الرابعة و بلغ مجموع ما صدر منها 26 عددا [7] .

---

[1] - سليمة بوعسيلة : مجلات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف بالجزائر من ماي 1963 إلى أكتوبر 1999 دراسة وصفية تاريخية ، رسالة ماجيستير في الإعلام و الإتصال ، جامعة الجزائر السنة الجامعية 2000 .2001 ص 104.

[2] - المرجع نفسه ص 105

[3] - مقابلة مع محمد الصغير بلعلام بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر العاصمة يوم 12-01-2005.

* أعطى طاقم القبس تبريرا لتغيير التسمية باعتبار أنه في دمشق بسوريا كانت تصدر حينها مجلة بإسم المعرفة و بإعتبار القبس تسمية إسلامية فقد إتفقت عليها جماعة من الوزارة و ضمنها الوزير نفسه العربي سعدوني و بحيث تكون المجلة موجهة إلى أكبر عدد ممكن من القراء بالعربية .

[4] - سليمة بوعسيلة ، المرجع نفسه ص 125

** حجمها (15 × 21) سم أما صفحاتها فتراوحت بين (95 ، 204) صفحة ثمنها 1,5 د ج و كان عنوانها الأول حيدرة بالعاصمة ثم انتقل إلى ساحة بن باديس

[5] - وزارة الأوقاف ، مجلة القبس العدد الأول مارس 1966 ص 01

[6] - سليمة بوعسيلة ، المرجع نفسه ص 125.

[7] - المرجع نفسه ص 129.

و بعــــد اختفاء القبس فكر نخبة من الجزائريين المثقفين ثقافة شرقية في بعث مجلة تكمـــل الرســـالة الـــتي وجدت من أجلها المعرفة و القبس أنها مجلة الأصالة التي ظهرت إلى الوجود في شهر محرم 1391 هـــ الموافق لـــ : مارس 1971 بمبادرة من القيادي النشيط مولود قاسم نايت بلقاسم و اسندت رئاسة التحرير إلى الســـيد عثمـــان شبوب *

و مجلـــــة الأصالـــة من الحجم المتوسط ** كتب عنوانها بخط عربي جميل و بارز ، و قد طبع العدد الأول منها على أوراق متواضعة جدا و وضعت المجلة شعارا لها يتمثل في التعريف بأنها مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، أما الوجه الآخر للغلاف فكتب باللغة الفرنسية" ALACALA"

على مستــــوى الشكل تدرجت المجلة من العدد الأول على أن تصدر مرة كل شهرين

و استمرت على نفس المنوال لمدة خمس سنوات ثم ما بين سبعة و تسعة أعداد في السنة خلال الأربع سنوات الـــتي جاءت بعد 1975 إلى أن استقرت على خمس أعداد في السنة العاشرة بينما لم يصدر في العام الحادي عشـــر إلا عددا واحدا و يعود هذا التذبذب و عدم الانتظام في شكل وحجم المجلة _ الذي يتراوح ما بين (111– 480) صفحة _ إلى الظروف التي كانت تعرفها الحياة الثقافية مع توازي المقالات العلمية المنتظمة مع ما كانـــت تدفعـــه ملتقيات الفكر الإسلامي من أبحاث و مداخلات ،إلى جانـــــب الأعداد النظامية أصدرت مجلة أعدادا خاصة بلـــغ مجموعها 16 عددا تناولت مواضيع فرضتها أحداث الساعة

و الجديــــر بالذكـــر أن القائمين على المجلة أدرجوا صورا على غلاف المجلة لزعامات تاريخيـــة وطنيـــة (يوغرطة * و المقراني).

و تضمينها أيضا صورا لزعماء و مفكرين من الشرق (ابن خلدون و الأفغاني) و من الغرب أيضا (ديكارت و فيخته) إضافة إلى صور لمعالم الحضارة العربية الإسلامية كجامع كتشاوة أمـــــا المطبعة التي احتضنت المجلة فهي مطبعة البعث بقسنطينة .

و الحق أن الأصالة تتميز بميزات تنفرد بها عن نظيراتها و هي الابتعاد عن الإشهار ، فكانت المساحة الكلية للمجلة تخصص للدراسات و المناقشات و قد يعود هذا في رأينا لسببين أساسيين :

* تم تغييره بعد ذلك ليختفي اسمه كما يختفي لقب رئيس التحرير من المجلة انطلاقا من العدد 68 ، 69 الصادر في جمادى الأولى و جمادى الثانيـــة 1399 الموافق لشهري آفريل و ماي 1979 و قد أصبح المسؤول عن تحريرها دون ان يذكر اسمه محمد نسيب ينظر: محمد الامين بلغيث الصراع الفكري في الجزائـــر المستقلة من خلال مجلة الاصالة 1971-1981 مرجع سابق ص 111.

** كان حجمها في العدد الأول (19,5 × 20) سم ثم أصبح في عددها الثاني (21 × 27) سم و مع الأعداد التالية (19,5 × 26) سم ابتداء من العدد الرابع و العشرين الصادر في مارس ، أفريل 1975 و إلى العدد الصادر في ديسمبر 1978

*حمل غلاف العدد الأول صورة القائد يوغرطة و هو ما جعل البعض يعطي تفسيرات غير التي أعلن عنها مؤسس المجلة في افتتاحيتها و قد صرح لنا الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه من القلائل الذين فهموا آنذاك مغزى الصورة ، و عندما كثرت التأويلات خرج مولود قاسم عن صمته قائلا : " إني مضطر أن أقول الحقائق هنا للتاريخ عندما نشرنا العدد الأول من الأصالة و نشرنا فيه صورة يوغرطة قال بعض المساكين هذا رجوع إلى الكفر و الالحاد ... عندما يعتز العراق ببابل و يعتز المصريون برمسيس لا يتهمون بالجاهلية لكن عندما نذكر نحن يوغرطة نرى جهلة حمقى تغمز و تلمز . ينظر : مولود قاسم نايت بلقاسم : إنية و أصالة ، مصدر سابق ص ص 332 ، 333

الأول : أن أصحاب هذه المجلة كانوا يؤمنون بأن مجلتهم فكرية علمية تدافع عن الأفكار السامية للمجتمع و هي بهذا تجد نفسها تبتعد عن المكاسب المالية و التجارية.

الثاني : جعل منبر الأصالة منبرا علميا و إسلاميا و وطنيا.

أمـا قراء مجلة الأصالة فهـم ثلاثـة أنمـاط:[1]

النمط الأول : طلبة التعليم الأصلي الذين قدروا حسب إحصائيات رسمية بأربعين ألف تلميذ و طالب إضـافة إلى المعلمين و أساتذة الثانويات .

النمط الثاني : هم أساتذة الجامعات و المهتمين بالبحث و التنقيب في الحضارة العربية الإسلامية .

النمط الثالث :و هم عامة الناس من رواد المساجد[2] .

و إدراكـا منها _ أي المجلة _ لأهمية الرسالة الحضارية خصصت المجلة حيزا من أوراقها للدراسات باللغـة الفرنسية و تراوحت صفحاته بين (03 و 143) صفحة و لم تصدر في كل أعـداد المجلـة و كانـت غالبيـة موضوعات هذا القسم ترجمة للأصل العربي لهذه الموضوعات التي لم تكن أحيانا تتجاوز ترجمة موضوع واحد.

و يبدو أن هذه المبادرة الذكية جاءت لربط أولئك الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية بماضيهم و حضـارتهم العربية الإسلامية كما أنها تعد مبادرة حميدة لتلقيح الفكر العربي بالفكر الأجنبي و بهذه الطريقة يستطيع قراء مجلـة الأصالة أن يجدوا ضالتهم في هذه الأوراق الأصلية[3] .

أمـا عن برنامج المجلة و توجهاتها الثقافية و الحضارية فقد شرحها مولود قاسم في العدد الأول و تحت عنوان هذه المجلة فيقول :[4] " سوف تحاول هذه المجلة أن تعبر عن هذا القطاع من النشاط القومي كما ينبغي أن يكون ... و سوف تصدع لما تظن أنها مأمورة به من وحي ضهيرها و منطق كيانها هذا ... خاصة و البلاد مقبلة على ثـورة ثقافية روحية ... ".

و أضـاف في نفس السياق قائلا : [5] " لقد كافح شعبنا أكثر ما كافح لا من أجل مستوى من المعيشـة يضاهي مستوى السويد أو كندا و لا من أجل ترف أو بذخ و لا مظاهر و شكليات و سطحيات و إنمـا كانـت أقوى الدوافع له في كفاحه هي بطاقة تعريفه في هويته هي استرجاع شخصيته و ذاتيته هي إنيته وأصـالته " ثـم

---

[1] - محمد الأمين بلغيث : ، المرجع نفسه ، ص 113 .
[2] - المرجع نفسه ص 113
[3] - سليمة بوعسيلة : ، المرجع السابق ص 106
[4] - مولود قاسم نايت بلقاسم : هذه المجلة ، مجلة الأصالة العدد الأول مارس 1971 ص 02
[5] - المرجع نفسه ص 02

يــوضـــــح مولود قاسم أهداف المجلة * عندما يصرح بأنها لا ترحم _ أي المجلة __ هؤلاء المستمرين في عنادهم و جهلهم لثقافتهم و مقومات شخصيتهم و لا أولئك الذين يستغلون معرفتهم بلغتهم القومية ليجعلوا من معركـــة التعريب موضوعا للأحاديث و فرصة لتحقيق المكاسب و لا حتى أولئك المشعوذين الذين جعلوا من أنفسهم مالكـــا و أبا حنيفة و لا أولئك المبشرين السائرين على خطى دوفوكو و لافيجري ليختتم هذه الافتتاحية بتأكيده علـــى أن المجلة تؤمن بحقيقة معروفة لا جدال فيها في نظر كل مسلم حق و هي أن الإسلام عبادات و معـــاملات و ديـــن و دولة دين و علم و حضارة و ثقافة [1].

والمتصفـــــح لأعداد مجلة الأصالة يمكن أن يصنف القضايا التي تناولتها المجلة في:

- القضــــايا الفكريـــة .
- القضــــايا التاريخيـــة .
- القضــــايا العقائديـــة .

بالنسبـــة للقضايا الفكرية فهي تتوزع على محورين أساسين القضايا الفكرية المحلية و نقصد بها وضـــع الجزائـــر الثقافية و الفكرية أمـــا الجانب الثاني فيتناول القضايا الفكرية العربية الإسلامية المطروحة للنقـــاش و المتداولـــة في الأوساط المثقفة في العالم العربي و الإسلامي .

بالنسبـــة لحالة الجزائر الثقافية فقد وضعت المجلة نصب أعينها حالة الغبن الذي تعيشه الجزائر بعد الاســـتقلال من تفشي الجهل و الأمية و الركود الثقافي فقامت المجلة أو ما قامت به تشخيص هذه الحالة التي رأت فيهـــا أنهـــا مرتكزات الفترة الاستعمارية المظلمة و أن الاستعمار الفرنسي له مسؤولية معنوية كبيرة في إيجاد هذه الحالـــة الغـــير مقبولة لا إقليميا و لا تاريخيا __ الفتـــرة المعاصـــرة[2].

أما الجانب الثاني لرؤية الأصالة لحالة الانحطاط الذي آلت إليه الجزائر فرفعت صوتها عاليا من أجل معالجة هذه النقائص و ذلك بالدعوات المتكررة و النداءات المختلفة لأصحاب الحل و العقد في البلاد و كذا الطبقـــة المثقفـــة و عامة الشعب إلى الاهتمام بالعلم و التكوين لأنهما الوسيلة الوحيدة لإخراج الجزائر من التخلف و الانحطاط [3].

و الجديــــــر بالذكـــر أن هذه القضية كانت محل انشغال فريق الأصالة و على رأسهم مولود قاسم نايت بلقاسم الذي لا يتردد في الدعوة الصريحة في التجمعات و الملتقيات و على صفحات هذه المجلة إلى الاهتمام بالعلم و

---

* نشير إلى أن مجلة الأصالة جاءت متزامنة مع نظيرتها مجلة الثقافة التي أصدرتها وزارة الثقافة و ذلك لدعم الثورة الثقافية ينظر : وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية : مشروع منهاج عمل مديرية الثقافة الإسلامية أفريل 1973 ص 110

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم : المصدر نفسه ص 03.

[2] -يحي بوعزيز المقابلة السابقة.

[3] - عبد اللطيف عبادة: انطباعات ،الفهرس الجامع لمجلة الاصالة 1971-1982 بحث معتمد بجامعة قسنطينة معهد علم المكتبيات والتوثيق 1993 من إعداد الطالب دحدوح السعيد ، ص 09.

العلماء و المراكز الثقافية *لتكون قبلة الجيل الصاعد الذي أظهر استعدادا لخوض ثورة جديدة هذه المرة هي الثورة الثقافية ليكون هذا الجيل خير خلف لخير سلف و تكون له مكانة ثقافية في الوسط المثقف في العالم العربي و الدولي هذا من جهة و من جهة أخرى فإن القضايا الفكرية التي تناولتها مجلة الأصالة تؤكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الأخيرة كانت تتتبع بحق واقع الجزائر الثقافي في المستويات المختلفة في مراكز التعليم و الملتقيات و الندوات و كل منابر الإصدار بالفكر النير في جزائر الاستقلال

و من أجل إنجاح هذا المشروع الثقافي للأصالة نجد أنها كانت في متناول بل استطاع طاقمها أن يوصلها إلى كل المناطق الجزائرية سواء المدن الداخلية أو المناطق البعيدة عن الحواضر و هذا في رأينا يعد إيمانا بأهمية نشر الثقافة في الأوساط الجماهيرية العريضة .

أما بالنسبة للقضايا الفكرية العربية و الإسلامية و العالمية فإن مجلة الأصالة اهتمت بمناقشة بعض الطروحات المعاصرة لوجودها مثل قضية النهضة و يمكن القول أن الأصالة كانت لها قراءة جديدة للواقع العربي الإسلامي من أجل خلق فكر نهضوي سليم و وصلت المجلة في دراساتها إلى أن النهضة العربية الإسلامية في القرن التاسع عشر بجناحيها السفلي الممثل في حركة جمال الدين الأفغاني و محمد عبده أو بجناحها الليبرالي المتمثل في محاولات أحمد أمين و طه حسين ، و رغم النتائج التي حققتها فقد اكتفت عموما بالعودة إلى الأصول الأولى للإسلام [1] و نقصد بذلك المذاهب السنية المعروفة و ليس إلى جميع التيارات الفكرية * التي ازدهرت في العصور الوسطى عصر التفتح على الثقافات الإنسانية و خاصة الثقافة اليونانية عن طريق الترجمة [2]

و نشرت المجلة دراسات لتفسير هذا التصور أهمها أن المجتمعات العربية الإسلامية في القرن التاسع عشر كانت خاضعة للاستعمار و لذلك كانت في حاجة ماسة لما يسمى بإيديولوجيا النضال ، فالمناضلون المثقفون من قادة الحركة الوطنية كانوا قد عبأوا كل الطاقات و الإمكانيات لمواجهة الاستعمار و في مقدمتها الدين الإسلامي و كان البعض منهم يدعون إلى لبس الحجاب كتعبير عن التميز و التمسك بالخصوصية الوطنية و بعد الاستقلال كانوا أول من رفع شعار حرية المرأة و دعوتها إلى إزالة الحجاب _ مثلما فعل بورقيبة في تونس _ و بالتالي كانت المواقف الثقافية لتلك المجتمعات تتطور تحت تأثير الوضع السياسي [3].

---

* أنشأت وزارة التعليم الأصلي او الشؤون الدينية المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة في 1972 ثم شرعت في إنشاء فروع لهذا المركز في جميع جهات الوطن و ذلك بهدف تبعث و توسيع النشاط الثقافي الإسلامي و كذلك إيجاد نوع من التوازن مع المراكز الثقافية الأجنبية المنتشرة في العاصمة و في بعض ولايات الوطن .

[1] - مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر 1981 ص 64

* يصنف مالك بن نبي الفكر العربي الحديث إلى تيارين كبيرين : تيار إصلاحي أصيل و تيار حداثي مقلد للأول و تيار ثالث تجديدي يمثل المتأثرين بالمدرسة الغربية و يرى أن قصور التيار الأول كونه لم يتجه إلى أصول الفكر الإسلامي كما التيار الثاني لم يتجه هو الآخر إلى أصول الفكر العربي . ينظر : مالك بن نبي : المرجع نفسه ص ص 42 ، 43 ، أيضا : محمد أركون : الفكر العربي ، ترجمة الدكتور عادل العوا ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992 ص 156

[2] - محمد أركون ، المرجع نفسه ص 156

[3] - مولود قاسم : إنية و أصالة ، مصدر سابق ص ص 350 ، 351 .

إلى جانــــب القضايا السالفة الذكر فقد اهتمت الأصالة بموضوع الاستشراق و المستشــرقين _ الــذي كثيرا ما نظر إليه نظرة ريبة و شك فتناولت الأصالة ماهية الاستشراق و ما هي مقاصده و هل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام و المسلمين يصب في اتجاه المذهبية الاستعمارية أم كان له دور إيجابي و منصف للحضارة الإسلامية ؟[1]

كـــــان موقف المجلة يتسم بالتحليل التاريخي لهذه الظاهرة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بعيدا عـــن إطلاق التهم و تجاهل معطيات البحث العلمي النزيه و الكتابات الاستشراقية ملل و نحل [2] لـــذلك كـــان الموقـــف يتطلب القول بأن بعض المستشرقين التزموا بالايديولوجيا الاستعمارية إما عن قصد أو غير قصد [3] لـــذلك دعـــت الأصالة في أعداد كثيرة إلى القيام ببحوث حول هذه الظاهرة و عن تطورها و آثارها الايجابية و السلبية [4] و يعترف المستشرق الفرنسي لوي قاردي بأن هناك دراسات للاستشراق وقعت تحت تأثير التوسع الاســتعماري الغــربي و يضيف أيضا أن مدارس الاستشراق مثل المدرسة الفرنسية و الألمانية كانت تابعة لوزارات الخارجية في البلـــدين و خدمت أحيانا نزعات دينية معينة [5] و اقتصر دور البعض منهم على إيقاد نار التعصب على العـــرب و المســـلمين و تشويه الحقائق التاريخية و الاجتماعية و الثقافية و اجتهد البعض الآخر في أن يدفع المجتمع الغربي إلى أن يكون صورة سيئة غير حقيقية و غير عادلة على العرب و المسلمين و الإسلام بصفة عامة و لعل أحسن مثال يحضـــرنا و نحـــن نتكلم عن هذا الفصيل من المستشرقين غير النزهاء المستشرق الفرنسي أرنست رينان * الذي كانت كتاباته تصنف في خانة التبشير و التمكين للاستعمار و قد سار على دربه الكثير من المستشرقين من أمثال الايطالي **ليفي ديلافيدا** " ***Levi Dellavida*** " و الألماني **كارل بروكلمان** " ***Karl Brockelmann*** " [6] .

لكـــــن البعض الآخر من هؤلاء كان منصفا و ينظر بعدل و انصاف للثقافة العربية الإســـلامية و ينـــاهض الإمبريالية الثقافية و منهم مفكرون كبار و علماء شهدوا بل و أشادوا بالتسامح الإسلامي مع الأديـــان [7] و مـــن هؤلاء الأستاذ متز * الذي أشاد بالتعايش الذي وجده النصارى و اليهود في بلاد المسلمين ففي عزة قوة المسلمين و سيطرتهم على أرجاء واسعة من المعمورة لم يتعرضوا بالظلم و لا الاضطهاد للنصرانيين و لا الكنائس و لا الأديرة بل كانوا يوقرون القسيسين و القديسين [8] و هذا التيار هو الذي نادت مجلة الأصالة التعاون معه و الانفتـــاح علـــى أفكاره و التحاور مع أطروحاته [9] بالابتعاد قدر الإمكان عن الأحكام الايديولوجية السائدة حتى الآن التي تصور لنا

---

[1] - إدوارد سعيد : الاستشراق ، المعرفة ، السلطة ترجمة كمال أبو ديب ط1 مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1981 ص 273

[2] - عبد الرزاق قسوم : نزيف قلم جزائري ، طبع دار الأمة ، الجزائر ، ديسمبر 1996 ص 129

[3] - إدوارد سعيد : المرجع نفسه ص 73

[4] - عبد الرحمان الجيلالي : من بواعث الاستشراق و أهداف المستشرقين ، مجلة الأصالة عدد 14 ، 15 ماي ، آوت 1973 ص ص 155 . 156

[5] - إدوارد سعيد ، المرجع السابق ص 273

* Ernest Renan مستشرق فرنسي (1823 – 1892) كتب عن العرق السامي و كانت كتاباته خدمة للتوسع الاستعماري الغربي لأنه لم يكن ضد السامية بقدر ما كان ضد العرب و المسلمين . ينظر: الدكتور عبد المالك مرتاض : مظاهر التعصب في الكتابات الغربية عن الإسلام ، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى ، مجلة دورية في الثقافة الإسلامية الجزائر ، السنة الأولى ، العدد الأول ،سبتمبر 1998 ص 65

[6] - عبد المالك مرتاض ، المرجع نفسه ص ص 69 ، 70

[7] - عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الإسلامي ، ط 9 ، دار العلم للملايين 1972 ص 272.

* مستشرق ألماني كان استاذ اللغات الشرقية في جامعة بال Basel يسويسرا له كتاب بالألمانية من جزئين عنوانه : الحضارة الإسلامية في القرن الرابه الهجري : مقابلة مع الدكتور عبد المالك مرتاض بفندق الأوراسي يوم 29 مارس 2005 .

[8] - عفيف عبد الفتاح طبارة : المرجع نفسه ص 278.

[9] - عثمان شبوب : الأصالة و الانفتاح و الحوار ، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى ، السنة الأولى العدد الأول سبتمبر 1998 ص 101

لنا أن المستشرقين هم المسؤولون عن جميع ما حدث لنا . و هنا تساءلت الأصالة في دراساتها : لماذا لم ندرس نحـــن أدبنا و فكرنا و تاريخنا ؟ و لماذا لم نعتن بتحقيق النصوص القديمة التي حققها المستشرقون قبلنا ؟ هـــذه النصـــوص الكـــــــــــــــــــــــــــــثيرة

و المتعددة التي لولاهم لما عرفناها و لما أطلعنا عليها و خلصت المجلة إلى أن عدم إدراكنا لمزايا الإنتاج الاستشـــراقي و لضرورة مراجعته و نقده ، للتقدم في المعرفة العلمية أدى و يؤدي بنا إلى نتائج سيئة لا تساهم في تقدمنا الثقافي [1]

و قـــــد أبرزت المجلة _ الأصالة _ في دراساتها و حواراتها أن المنزلقات الكـــبرى في التـــاريخ المـــذهبي و الإسلامي يعود معظمها إلى الفتن و الاضطرابات الناجمة عن منطلقات سياسية آنية سببها قطع سبل الحوار فأصبح كل تيار ينمو و يتطور منغلقا على ذاته و بذلك ساهمت في تحليل هذه الظواهر الثقافية و الفكرية بالحوار مع كـــل التيارات و أبرزت علاقتها بالفضاء السياسي و الديني بمنهجية موضوعية [2]

و لكــــــي ينتصر العرب و المسلمون في معركة الأصالة المعاصرة المتجددة لابد من تضافر جميع الجهود من دولة و مثقفين و مواطنين كل في مجاله من أجل إثراء مفاهيم التسامح و الانفتاح و الحوار و نبـــذ روح الحقـــد و التعصب في مجتمعنا [3].

إلى جـــانـــب القضايا النهضوية التي عالجتها المجلة فإن قضية الأصالة نفسها طرحت كشعار

و كهدف و كنمط حضاري و نهضوي فكللت هذه القضية بالطرح الآتي :

هنـــاك من يحاول تجاوز المفهوم التقليدي للأصالة عن طريق رفض الرؤية التقديسية للماضي فليست الأصـــالة مرجعا مركزيا مطلقا بقدر ما هي واجهة للثورة الثقافية و في علاقة وطيدة مع مفهوم التجديد إلى درجـــة يصـــعب الفصل بينهما و في ذلك تكون الثورة الثقافية تقدمية نحو الهدف الأسمى و هو التطور و النمو [4].

و هنـــــــاك من يرى أن الأصالة هي الرجوع إلى الماضي إلى درجة التقديس فارتبط مفهوم الأصالة بالهويـــة و الشخصية الجزائرية التي عبر عنها الدكتور عبد المالك مرتاض بخمس عناصر : العادات ، الحضـــارات ، التـــاريخ ، اللغة و الثقافة العربيتين ، الدين الإسلامي[5].

و صفوة القول فإن مجلة الأصالة بهذا الطرح الفكري خلصت إلى رؤية جزائرية أصيلة جاءت على لســـان مولـــود قاســـم نايـــت بالقاســـم الـــذي حـــاول الجمـــع بـــين الطـــرحين و عـــبر عـــن ذلـــك بقولـــه:[6] "لسنا مع الذين يدعوننا باسم التقاليد و القيم و المحافظة إلى غلق الأبواب بل حتى النوافذ و يريـــدون أن نقبـــع في الظلمات و نختنق ... و لا مع أولئك الذين يدعوننا باسم الثورية و التقدمية و الانفتاحية و الانبطاحيـــة إلى عـــدم

---

[1] - المرجع نفسه ص 102

[2] - عثمان شيبوب : المرجع السابق ص 103

[3] - عثمان شبوب ، المرجع السابق ص 103

[4] - Luc-Willy Dehelurls : Islame et pensée contemporaine en Agérie p .81

[5] -Ibid , p, 83.

[6] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالة أم انفصالية ج 2 ، مصدر سابق ص 322

الاكتفاء بفتح النوافذ و الأبواب بل و يطالبون بترع السقوف و الرفوف .... نريد أن نجمع الفصليين نريد أن نفتح النوافذ و حتى الأبواب عند اللزوم و لكن نريد أن نحتفظ بالسقوف و الرفوف " .

و هـــــذا الموقـــف كان الهدف منه جمع التيارين التيار المحافظ و التيار التطوري في تيار الأصالة و التجديـــد لبناء الدولة الوطنية [1] .

و إلى جـــانـــب القضايا الفكرية اهتمت الأصالة بالجانب التاريخي للجزائر المحروسة فتناولت تـــاريخ الجزائـــر بفتراته المختلفة ، الفترة العتيقة و الوسطى و الحديثة و المعاصرة.

و المتصفـــح لإعداد الأصالة يلاحظ بدون عناء أنها ركزت على فترتين أساسيتين في تاريخ الجزائر :

1 – فترة الحكم الإسلامي ".

2 – فترة الاحتلال و مقاومة الجزائريين للوجود الفرنسي (1830–1962) ""

دون أن تهمل الفترات التاريخية الأخرى : تاريخ المماليك البربرية و الجزائر إبان الحكم العثماني و سوف نخصص هذا المبحث للحديث بالدرجة الأولى على الفترتين الأوليتين (الفترة الإسلامية و فترة المقاومة).

فبالنسبة للأولى يلاحظ الدارس أن مجلة الأصالة قصدت بتعرضها للفترات الزاهية إبان الحكم الإســـلامي كجواب على تلك الادعاءات التي تقدمت بها فرنسا بأن تاريخ الجزائر محصور في الفترة الرومانية و الفترة الفرنسية فمثلا كانت تدخلات مولود قاسم تصب في هذا المنحى حيث لا يخلو عدد من المجلة تقريبـــا إلى إشـــارة أو إدراج لتاريخ الجزائر في الفترة الإسلامية و الفترة العثمانية و إظهاره بمظهر القوة على الساحة الداخلية و العالميـــة و هـــذا الخطاب في رأينا جواب عن تلك الادعاءات التي أشرنا إليها سابقا [2].

كمـــــا أن كتابات الأصالة تركزت على الفترة الإسلامية و استعرضت الانجازات الحضارية لهذه الفترة ســـواء كانت هذه الانجازات عسكرية أم فكرية ، وخير دليل على ذلك هو أن ملتقيات الفكر الإسلامي كانـــت تختـــار بطريقة ذكية و مقصودة عقد أيامها و ندواتها في الحواضر الجزائرية الإسلامية الشهيرة قسنطينة و بجاية و حاضـــرة تلمسان و حواضر أخرى .

---

[1] - L-W.Deheluvels , op.cit , p .87

" جاء التركيز على هذه المرحلة بالذات لأن المؤرخين الفرنسيين كانوا يصورن في كتاباتهم أن هذه الفترة هي بداية الإضطراب و الفوضى و اضمحلال الحضارة و الدخول في العصور المظلمة فانقطعوا بذلك حسب زعمهم عن المدينة بعد أن فرضوا الإسلام كرها بحد السيف و اعتبروا أيضا الفتح الإسلامي أيضا غزوا و احتلالا و الهجرات الهلالية إلى المغرب الإسلامي بالاعصار الذي أتى على ما تبقى من الحضارة الرومانية المسيحية. ينظر : مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1976 ص 12

"" يدعي المؤرخون الفرنسييون أن المقاومات الشعبية و الحركات الوطنية هي نزعات قومية عصبية غرضها رمي الفرنسين في البحر و أحيانا أخرى بدعوى أنها لا تستند إلى قوة شعبية و أنها مرتبطة بالخارج و ما هي إلا أبواق للدعاية الأجنبية كالجامعة الإسلامية ينظر : أحمد صاري : شخصيات و قضايا من تـــاريخ الجزائر المعاصر ، مرجع سابق ص ص 95 ، 96 .

[2] - الزواوي بفورة : الخطاب الفكري في الجزائر بين النفد و التأسيس دار القصبة 2003 ، ص 157 .

و القصـــــد من ذلك إبراز تاريخ هذه الحواضر و إنجازاتها الفكرية و الحضارية التي مازالت شاهدة علــى شموخ و عزة أهلها و علمائها[1] .

كمـــــا تناولــــت الأصالة جوانب عديدة من الحياة الفكرية و الاجتماعية و الاقتصادية للجزائر إبـــان الفترة الإسلامية هذه الجوانب التي تميزت ببلوغ أهلها درجة راقية من السمو في المردود العلمـــي و الاقتصــــادي و الاجتماعي .

و الــــذي يؤكـــد ما ذهبنا إليه من دراسات الأستاذ موسى لقبال " من قضايا التاريخ الرستمي [2] و مولاي بلحميسي " مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية و الأجنبية [3] " وعمار طالبي " مولد الـــنبي ... مولـــد العـــام الجديد "[4] و الدكتور يحي بوعزيز " جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية "[5].

إلى جــــانـــب نخبة من الكتاب و المؤرخين الأوربيين مثل سغريد هونكه"من الاستلاب إلى استرجاع الآنية" [6] و وليم شالير " نبذة تاريخية عن الدولة الجزائرية"[7]

و الحـــــق أن اهتمام الأصالة بابراز العهود الزاهية للتاريخ الإسلامي في الجزائر كان القصد منه إبـــراز دور العنصر الجزائري في المسار الحضاري للأمة الإسلامية هذا من جهة و من جهة أخرى ردا على أولئك المشـــككين و المترددين في أن الجزائر المستقلة هي جزء من هذه الأمة العريقة في وجودها و في مسارها و مشـــاركتها في العمـــل الحضاري الإنساني [8] .

و لهـــــذا الاهتمـــام فإن الأصالة قطعت الشك باليقين من أن الدولة الجزائرية و الأمة الجزائرية هي جـــزء لا يتجزأ من الأمة العربية الإسلامية الكبرى ، و لأجل تكريس هذه النتيجة التي توصلت إليها مجلة الأصـــالة راحـــت تدعو من خلال أوراقها إلى الاهتمام بالتاريخ الوطني الذي يعد ركيزة أو مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية [9].

فكــــان عليها إبراز بطولات الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي و كيف تصدت الجزائر الإسلامية للاحـــتلال بتنظيم مقاومات شعبية و دينية عبر كامل التراب الوطني الشاسع ، فركزت الدراسات على إبراز دور الأمير عبـــد القادر رائد المقاومة الوطنية و باقي الدول الجزائرية الحديثة كما اهتمت الدراسات بمقاومة شيوخ و أعيان الجزائـــر لرد الهجمة الاستعمارية على بلاد القبائل و الأوراس و الجنوب الجزائري.

---

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالية أم انفصالية ،ج2، المصدر السابق ص 207.
[2] - العدد 41 السنة السابعة جانفي 1977 ص ص 51 ، 59
[3] - العدد 08 السنة الثانية ماي جوان 1972 ص ص 59 ، 76
[4] - العدد 02 السنة الأولى ماي 1971 ص ص 2 ، 9
[5] - العدد 19 السنة الرابعة مارس ، أفريل 1974 ص ص 273 ، 286
[6] - العدد 9 ، 10 ـــ السنة الثانية جويلية ، آوت 1972 ص ص 133 ، 141
[7] - العدد 14 ، 15 ، السنة الثالثة ، ماي ، آوت 1973 ص ص 257 ، 264
[8] - زهير إحدادن : محاضرة ألقيت بالملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم ، فندق الأوراسي في 27 مارس 2005
[9] - المرجع نفسه .

و الحـــــق أن تاريخ الجزائر حافل بالبطولات و الأمجاد و الأصالة عندما تعمدت الحديث عن هذه البطــولات كان الهدف منها في اعتقادنا إبطال النظرية القائلة بأن احتلال فرنسا للجزائر كان مجرد نزهة و أن الجزائر انتـــهت بفشل و تراجع المقاومة في القرن التاسع عشر[1]. فجـــاءت الأصالـــة و بطريقة منهجيـــة و علميـــة لتـــربط هـــذه المقاومات بثورة نوفمبر المجيدة و تضعها في سياق استمرار مقاومة الجزائريين للوجود الفرنسي و بهذا الطرح أمكـــن للمجلة و بفضل مساهمات النخبة الجزائرية المختصة في الدراسات التاريخية أن تبرز الدور الوطني الحقيقي للشـــعب الجزائري في مواجهة الاستعمار العنصري الفرنسي و نورد هنا في هذا السياق نماذج من الكتابات التي تعرضـــت إلى ما ذهبنا إليه فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب الأستاذ أحمد توفيق المدني العديد من المقالات أبرزها التي جاءت تحت عنوان : " من سجل الجهاد الجزائري في الخارج"[2]و مقالة أخرى بعنوان :"عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم"[3].
العظيم"[3].

و مقالات الباحث القدير أبو القاسم سعد الله التي كان أهمها التي جاءت تحت عنوان : " بين الشاذلي القسنطيني و الأمير عبد القادر " [4] و الأخرى بعنوان : " وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب " [5].

لـــم يتوقـــــف نشاط رسالة الأصالـــة عند محطة إبراز الجانب التاريخي بل اهتمت بموضوع اعتبر في تلـــك الفترة _ فترة السبعينيات و الثمانينات _ من تحديات الدول الوطنية إلا و هو عملية تصفية التاريخ الجزائري مـــن الشوائب الاستعمارية أي بمعنى تصفية التاريخ الجزائري لما ألحقت به الكتابات الفرنسية مـــن تشـــويه و تزويـــر و تلفيق [6].

و بالرجـــــوع إلى هذه الكتابات و المشار إليها و التي مثلا كانت تقدم الجزائر على أنها كانت أرض بـــور و أن سكانها كانوا يعيشون في فوضى فجاءت فرنسا لتعمر هذا البلاد و تمدن هذا الشعب حسب إدعائهم [7] فكان رد رد بعض الأقلام الجزائرية و في مقدمتهم الأستاذ سعد الله الذي دحض هذا الادعاء كون الجزائر و في الفترة كانت من حيث تنظيم الشوارع و الساحات أرقى بكثير مما كانت عليه المدن الفرنسية نفسها كما ذكر الأستاذ ســـعد الله أن الجزائريين كانوا يقرأون و يكتبون و الدليل على ذلك أنهم كانوا يمضون العقود المختلفة فمثل هـــذه المظـــاهر لا تنطبق إلى ما ذهبت إليه الأقلام الفرنسية العنصرية [8].

[1] - زهير إحدادن ، المرجع نفسه
[2] - العدد 22 السنة الرابعة ، أمتوبر ، ديسمبر 1974 ص ص 24 - 37
[3] - العدد 44 السنة السابعة آفريل 1977 ص ص 58 - 76
[4] - العدد 12 ، 13 السنة الثانية ، جانفي ، فيفري 1973 ص ص 109 - 112
[5] - العدد 33 ، السنة السادسة ، ماي 1976 ص ص 30 - 47
[6] - عبد المجيد مزيان : النظريات التاريخية بين التفسير و التحريف ، مجلة الأصالة عدد 14 ، 15 ، ماي ، جوان ، جويلية ، آوت 1973 ص 34
[7] - أبو القاسم سعد الله : منهج الفرنسيين في كتابه تاريخ الجزائر ، مجلة الأصالة ، المرجع نفسه ص 10
[8] - المرجع نفسه ص ص 19 – 20

و الإدعـــــاءات و التزويـــر في الحقائق التاريخي بالنسبة لتاريخ الجزائر من قبل هؤلاء الكتاب كثيرة و عديدة يطول الحديث فيها و قد قدمنا هذا المثال حتى نبين بالحجة و الدليل أن مجهود تصفية التاريخ الجزائري من الشوائب الاستعمارية مجال رحب دعت إليه و شجعت الخوض فيه مجلة الأصالة في العديد من أعدادها و ملحقاتها *

فقـــد أورد ذات مرة شهادة الباحث القدير الفرنسي شارل روبير أجيرون الذي قال:[1]

"للجزائريين الحق كل الحق في التشكي من بعض المؤرخين الأجانب الذين لم يكونوا منصفين في دراستهم لتاريخ الجزائر " و صفـــــوة القـــول أن مجلة الأصالة كانت بحق مجلة رأي و مقال فقد التزمت في خطها الثقافي و الفكري الدفاع عن قضايا الأمة و تاريخها و حاضرها كما أننا يمكن أن نعترف أيضا أن مجلة الأصالة ارتقت في أسلوبها و في تناولها للقضايا بروح علمية و منهجية و موضوعية بارزة في خطها الفكري سواء في افتتاحيات أعدادها المختلفة أو في طبيعة المواضيع التي أمضاها كتاب و بحاثة يشهد لهم بالعلم و الاقتدار في الساحة الثقافية الجزائرية كما أنها فتحت المجال واسعا أمام الكتاب الأجانب حتى تصبح هذه المجلة مجلة عالمية روحا و نصا[2].

* يقول الدكتور محمد بشير شنيتي أن إعادة كتابة تاريخ الجزائر مهمة يجب على المؤرخين الجزائريين النهوض بها دون تريث و بدلا مـــن أن يكيلـــوا التـــهم للمؤرخين الاستعماريين عليهم أن يبادروا بإعادة صياغة تاريخنا الوطني و في ذلك رد قوي على الكتاب الفرنسيين المغرضيين و علاج شاف للألم الذي نشتكي منه في هذا الجانب الحساس و من مكونات أمتنا . ينظر : د . محمد بشيرشنيتي : تاريخ الجزائر القديم من خلال المؤرخين الفرنسيين ، مجلة التربية مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية السنة الأولى العدد الثالث ماي ، جوان 1982 ص 30

[1] - شارل روبير أجيرون : كلمة مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية ، مجلة الأصالة ، السنة الثالثة العدد 14 ، 15 ، ماي – جـــوان – جويلية –أوت 1973 ص 81

[2]-إيفون توران: حول جنسية التاريخ ، مجلة الاصالة ، المرجع نفسه ص 88.

الفصل الرابع
الهوية الجزائرية في نظر مولود قاسم

أولا : مفهوم الهوية لغـــة واصطلاحا

ثانيا: عناصر الهوية

أ - الدين الإسلامــي

ب - اللغة العربيـــة

ج- التاريخ المشتــرك

د-الوطن الجزائـــري

الهوية لغة واصطلاحا:

كانت قضية الهوية أو الشخصية الوطنية الجزائرية من القضايا التي أسالت الحبر ودار حولها سجال فكري إبان الاحتلال الفرنسي وفي عهد الدولة الوطنية ، وقبل استعراضنا لإشكالية الهوية عند مولود قاسم وعن مقوماتها نرى من الأهمية بمكان استعراض التعريفات المختلفة لمفهوم الهوية.

أولا : لغة

إن كلمة الهوية يقابلها في اللغة الفرنسية " IDENTITE " وهي مشتقة من كلمة "INDENTIQUE "وتعني مشابه أو مماثل [1] وهي من أصل لاتيني وتعني الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما عليه ، أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر [2] ومن ثمة فإن كلمة الهوية ليست عربية في أصلها وإنما اضطر إليها بعض المترجمين فاشتقت من حرف الرباط الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف " هو " [3].

أما البحث عن الدلالة اللغوية للهوية في العربية فنجدها كلمة مركبة من ضمير الغائب " هو " مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها وهي بهذا المعنى اسم الكيان أو الوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناءاً على مقومات ومواصفات وخصائص تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله [4].

وفي التراث الفكري العربي الإسلامي نجد تعريفات كثيرة للهوية إذ عرفها الجرجاني بأنها الآمر المتعقل من حيث امتيازه على الأغيار وعند ابن رشد تقال الهوية بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود وعند الفرابي[5] هوية الشيء عينيته وتشخيصه وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه اشتراك " ومن هنا يمكن القول أن الهوية هي صفة تعطى لكائن أو لشيء ليعرف بها وعندما يكون هذا الشيء متشابها مع الآخر في كل الصفات يكون لهما نفس الهوية مثال ذلك تشابه الأسماء والتوائم .[6]

ثانيا: اصطلاحا:

لقد تعددت الآراء حول مفهوم الهوية نتيجة تعدد أبعاد هذا المفهوم اجتماعيا وثقافياً ونفسياً مما يصعب إيجاد مدلول موحد يشكل التقاء الأبعاد السابقة [1] فكل اتجاه يقدم مفهوما خاصا به سواء كان يستند إلى التصور الاجتماعي أو التصور النفسي أو الثقافي وعليه فان مفهوم الهوية واسع يتداخل في تحديه

---

[1]- ANDRE ,LALANDE : Vocabulaire Technique et critique de la philosophie (P .U .F) , paris ,1968 , p.456

[2] - مجموعة مؤلفين : دراسات في القومية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 بيروت 1984 ص 18 .

[3] - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب ج2 ، د.ط، 1994 ص 529.

[4] - أحمد بن نعمان : الهوية الوطنية ، الحقائق والمغالطات ، دار الأمة ، الجزائر 1996 ص 21 .

[5] - مجموعة مؤلفين : المرجع السابق ص 19 .

[6] - كميل الحاج : الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي مكتبه لبنان ط2 ، 2000، ص 642 .

كل من علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وحتى الفلسفة[1] وبناءاً على ذلك يمكننا القول أن الهوية هي مجموع الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والنفسية والوجدانية التي يتصف بها الإنسان على المستوى الفردي .

أما على المستوى الاجتماعي فهي مجموع الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم ، هذه السمات تجعلهم يعرفون ويتميزون عن سواهم من أفراد الأمم الأخرى [2]

وتتمثل في اللغة والتاريخ المشترك لأن وحدة اللغة تكون وحدة الفكر ، والتاريخ المشترك يكون وحدة الضمير وذلك ما تستند عليه الشعوب في بروز قومياتها [3].

ويقول الدكتور نقولا زيادة [4] في تحديد شخصية الأمة العربية " نحن أمة لأننا وحدة روحية لنا بلاد نقطنها وتاريخ وتاريخ نرجع إليه ولغة حية نتكلمها وأدب نستعذب به وذكريات نتغنى بها وآمال مشتركة نصبو إلي تحقيقها ومثل عليا متفقة نسعى إليها وقوة نبذلها في سبيل آمالنا ومثلنا وإرادة تحملها إلى سبيل الوصول إلى ما نأمل".

وبالرجوع إلي كتابات وأدبيات مولود قاسم فإننا نجده يفضل استعمال مصطلح الأنية [*] بدلاً من الهوية [**] وحجته في ذلك أن مصطلح الهوية مستورد وغير أصيل لذلك عوضه بلفظ الأنيه الأصيل الذي وجد في كتاب الفلاسفة المسلمين وحتى بعض الصوفيين وتجلى بوضوح عند الفيلسوف المسلم أبي علي ابن سينا في " كتابات الإشارات والتنبيهات "[5] والذي حلل في ثنائية الجسم والنفس فأثبت بأدلة فلسفية استقلالية النفس عن البدن حيث يقول [6] "

إنك عندما تشعر بإنيتك تقول إني وإنيتك تلك المتميزة هي وجودك الحقيقي " ويضيف أيضا [7] "

لو توهمت ذاتك قد خلقت أول خلقها صحيحة العقل والهيئة بحيث لاتبصر أجزاؤها ولاتتلامس أعضاؤها بل هي متفرجة ومعلقة لحظة ما في هواء مطلق وجدتها قد غفلت عن كل شيئ إلا عن ثبوت إنيتها " وتعرف هذه

---

1 - زواوي بغورة : الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس ، دار القصبة للنشر، ،2003 ص 122 .

2 - ساطع الحصري : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ط4 دار العلم، بيروت، 1959،ص 25 و 26 .

3 - المرجع نفسه ص 26.

4 - تركي رابح : أصول التربية والتعليم ط2 المؤسسة للكتاب الجزائر 1990 ص 335.

* - مشتقة من إني أي تأكيد الذات وتثبيت الشخصية أو هي الوعي الحاد بالذاتية ، الدكتور عبد المالك مرتاض مقابلة سابقة.

** -يتحاشي مترجمنا مصطلح الهوية التي يستعملها الكتاب والفلاسفة نقلا عن المشارقة الذين نقلوها بدورهم عن الغرب بعد ترجمتها وقد يعود ذلك الي إيمان مولود قاسم بقدرة اللغة العربية على التعبير عن متطلبات العصر أو أن ذلك لا يعدو نفوراً من المشارقة الذين ما فتئ يلومهم عـــن جهل حالة الجزائر أثناء الاحتلال ، الدكتور أحمد بن نعمان مقابلة سابقة

5 - الدكتور عبد الرزاق قسوم : السمفونية العذبة ، العازفة دوما على النغم الوطني ، محاضرة ألقيت بإتحاد الكتاب الجزائريين بالعاصمة بمناسبة أربعينيات المرحوم مولود قاسم يوم 05 أكتوبر .93

6 - المرجع نفسه

7 - مراد وهبة : المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية) دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، 1998 ص 118

الحجة بالرجل المعلق في الفضاء وهي نفس الفكرة التي طورها الفيلسون ديكارت " الكوجيتو الديكارتي " فيما بعد وتبناها في مقولته الشهيرة أنا أفكر إذن أنا موجود " [1]

ومن هنا سوف نعتمد مصطلـــح الإنية في هذا الفصل لنكون قريبين من روح النص عند مولود قاسم .

وقد حاول مترجمنا إسقاط مفهوم ابن سينا للإنية ونظرية الرجل المعلق في الفضاء على الواقع الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي ـــ الاستدمار على حد تعبيره ـــ حيث يقول " لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين متروعة عنا جنسيتنا الجزائرية وغير ومعترف ولا معاملين كفرنسيين ومع ذلك كنا كأكثر ما نكون اعتزازا بذاتنا وتعلقا بمقومات شخصيتنا من دين ولغة وتقاليد وبعداً عن كل ما يمس منها أو ينال من قدسيتها ولقد كنا نقاوم جميع الأمراض الاجتماعية والآفات المستوردة إلينا الغريبة عنا وكان ذلك بدافع من الذود عن هذه الإنية وتلك الأصالة "[2] .

وفي محاضرة ألقاها مولود قاسم بقاعة المحاضرات الجامعية في 24 ماي 1968 تحت عنوان " اللغة والشخصية في حياة الأمم " وظهر من خلالها تأثره الكبير بالفكر الألماني ومنظوره القومي للأمة وللوطن خاصة فيخته fichte الذي اعتبره مترجمنا أيضا صاحب فلسفة الإنية أو الذاتية التي هي أساس وجود الأمة وأساس شخصيتها ، هذه الشخصية التي ترتكز على التمسك بالدين والأخلاق وعلى اللغة التي تمثل رمز وجود الأمة إضافة إلى الاعتزاز بالوطن [3] .

ومن خلال هذه المقدمات نلاحظ التأثير المزدوج على فكر مترجمنا فمن جهة تأثره بأعلام الفكر الإسلامي وأقطابه ابن سينا والغزالي وابن رشد ومن جهة أخرى بالفكر الغربي خصوصا الألماني الذي وجد في أعلامه البارزين من أصالة الروح وصميم القيم ما يبتغيه من أمثال كانط وهيغل وفيخته ومن هذه الثنائية استمد مولود قاسم مفهومه للإنية [4]

ويعد مولود قاسم من بين أولئك الذين أدلوا بدلوهم في هذه القضية الفكرية الشائكة انطلاقا من كونه أحد أعلام الحركة الوطنية وعضو قيادي في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وعضو قيادي للجانب الأيديولوجي للدولة الوطنية (مستشار سياسي ودبلوماسي في الرئاسة) .

ومن هذين الموقعين ترك لنا مولود قاسم كما هائلا من الأدبيات والأفكار التي تناولت قضية الهوية الوطنية أو كما عرفت في كتاباته بالإنية والأصالة .

---

[1] - أحمد بن نعمان : المقابلة نفسها.
[2] - مولود قاسم : إنيه وأصالة،، ، ص 104
[3] -المصدر نفسه ، ص 53
[4] -أبو القاسم سعد الله : مقابلة سابقة

ولأجل تسليط الضوء على هذه القضية خليق بنا العودة إلى الوراء قليلاً لفهم المنطلقات الفكرية والإيديولوجية لمولود قاسم ونعني بها الكتابات المبكرة التي تناولت الدفاع عن قضية عروبة وإسلام الجزائر في الإطار الكولونيالي .

فالمعروف لدينا أن الاحتلال الفرنسي عند احتلاله للجزائر بقوة السلاح كان قد شن حرب إبادة حقيقية لم يكتف بتحطيم هياكلها المادية بل تجاوز ذلك إلى تحطيمها معنويا ليضرب وبقوة مقومات هذه الأمة المتمثلة في الدين واللغة والتاريخ[1] لأن الاستعمال كان يدرك تمام الإدراك أن استمرار هذه المقومات في وعائها الطبيعي لن يضمن الانتصارات العسكرية[2] وهذا ما جاء على لسان أساطين الاحتلال الفرنسي حيث يقول الجنرال بيجو BEGEOT [3] " بعد أن أخضعنا العرب يجب علينا أن ننشر حضارتنا وقوانيننا في الأوساط الأهلية البربرية " وهي عبارة تلمح إلى إمكانية دمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي .

هكذا راحت الإرادة الفرنسية ومشروعو الاستعمار يبحثون عن أنجع الطرق لإفراغ الجزائر من ماضيها ولغتها ودينها وربطها إلى الأبد بالدولة الاستعمارية [4]

فظهرت أصوات تنادي مرة الإلحاق ومرة أخرى بالإدماج والذي يهمنا في بحثنا هذا المشروع الثاني مشروع الإدماج الذي نادت به الجمهورية الفرنسية الثالثة وتقوم هذه السياسة على محاولة دمج الجزائر الإسلامية بالأمة الفرنسية في كل نواحي الحياة ، ولأجل إنجاح التطلعات الاستعمارية وحكم الجزائر بقبضة من حديد شرعت فرنسا قوانين تمكنها من الاستمرار والبقاء في المستعمرة ومن هذه القوانين قانون التجنيس[*] الذي جاء في القانون المشيخي (Sénatus Consulte) 1865 الذي يشترط على طالبي

الجنسية الفرنسية التخلي على أحوالهم الشخصية الإسلامية وذلك ما يحول أمام الوصول إلى المواطنة الفرنسية وهو ما جعله حجر الزاوية في السياسة الفرنسية حيث عاش الأهالي في ظله إلى غاية 1947 [5]

وقد تأكد ذلك في دستور 1888 الذي أعلن أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الفرنسية ووعد بأنها ستوضع تحت نظام قوانين البلد الأم فرنسا [6] بهدف محو الكيان الجزائري الذي يتمثل في الدولة ومختلف مؤسساتها مؤسساتها وسائر مظاهر السيادة الوطنية وذلك عن طريق فرض حكم مباشر على الجزائر واعتبارها مستعمرة لا

---

1 - yvone Turin : Affrontements culturels Dans L'Algerie coloniale , Maspéro , paris,1971 ,P,164

2- Ibid ,P,164

3 - حمري الجمعي : حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900-1930 ،المرجع السابق، ص 151

4 - محمد العربي ولد خليفة : الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم ط1 دار الأمة ، الجزائر، 1998.ص 252

* - صدر هذا القانون في عهد نابليون الثالث و مما جاء فيه:"أن الأهلي يمكن له أن يرقى إلى مواطن كامل الحقوق و أن يصبح فرنسيا و في مقابل ذلك عليه أن يتنازل عن قانون الأحوال الشخصية و أن يعامل بمقتضى القانون الفرنسي في الزواج و الطلاق و الإرث و يحرم عليه تعدد الزوجات ...ينظر: Guy perville,Les étudiants Algériens de l'université Française 1880-1962…p.75.

5 - جوان غليسي : الجزائر الثائرة ، ترجمة خيري حمادة، ط،1 دار الطليعة، بيروت،بلا تا، ص 37

6 - صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م ـ1962) ،دار العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر،2002، ص، 229

كيان ولا شخصية لها من الناحية الدولية[1] ويتحول الجزائريون بعد ذلك إلى مجرد رعايا تحت اسم " المسلمين الفرنسيين "تمييزاً لهم عن الفرنسيين المسيحيين[2] فيفقد الجزائريون مقومات شخصيتهم ويذوبون في بوتقة الأمة الفرنسية وبذلك ينهار كيان الأسرة الاجتماعي والسياسي الذي هو المقدمة بطبيعة الحال لانهيار الكيان الجزائري العام [3] .

إلى جانب التجنيس قامت السلطات الاستعمارية بتغذية الروح الصليبية التي كانت تتأجج في قلوب الفرنسيين[4] بعد أ أدركت أن الإسلام هو الروح التي تقوى فيها الشخصية والعامل الحاسم في المقاومة وحفظ الوحدة لذلك عمدت تلك السياسة إلى محاربة المؤسسات الدينية ورجال الدين بمختلف الوسائل والأساليب[5] .

وقد تركزت جهود الفرنسيين في هذا المنحى على تشويه المعالم التاريخية والحضارية والرموز الوطنية والمقدسات الدينية حيث حولوا مسجد كتشاوة بالعاصمة إلى كاتدرائية وفي قسنطينة حول مسجد حسين باي إلى كنيسة والأمثلة كثيرة يصعب حصرها في هذا السياق ، ولقد تركزت الحملة على المساجد باعتبارها أماكن إلقاء الخطب والدروس والوعظ والإرشاد[6] كما حورب الأئمة وشيوخ الزوايا لوضع حد لنشاطهم الثقافي والديني وفرضت عليهم مراقبة شديدة[7] وقد تزامنت هذه السياسة مع بداية نشاط الجاليات التبشيرية التي وأن ركزت على على منطقة القبائل إلا أنها حاولت زرع سمومها في جميع جهات الوطن [8] وكان قد تولى الكاردينال لافيجري cardinal Lavegerie [9*].

مسؤولية تنفيذ سياسة التبشير التي تستهدف إدخال الجزائريين في بوتقة الفرنسيين روحياً وعقلياً قائلا [10]:"ينبغي علينا أن نرقي هذا الشعب ولنضرب صفحاً عن غلطات الماضي فأول ما يجب علينا عمله هو الحيلولة بينهم وبين القرآن".

---

[1] - تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975 ،ص 98

[2] - المرجع نفسه ،ص 98

[3] - العربي الزبيري : المثقفون الجزائريون والثورة ... ص، 08

[4] - صالح فركوس ، المرجع السابق، ص ص ، 220 ،221

[5] - يحي بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، د ط ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 140

[6] - تركي رابح :الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974 ، ص 43 43

[7] - يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 140

[8] - صالح فركوس : المرجع السابق، ص ص ، 219 ، 220

[9] - (1825 -1892) رجل دين مسحي فرنسي ولد في بايون ، كان أسقف لمدينة نانسي 1863 رئيس أساقفة الجزائر العاصمة 1866 وكاردينالاً سنة 1882 ورئيس أساقفه قرطاجة 1884 أسس في سنة 1868 مراكز البشير في إفريقيا تسمى بمراكز البيض ، كان يكره العبودية وفي 1890 حقق أمنية البابا ليون الثالث عشر الإيطالي الذي نادى بوحدة الكاثوليك في في فرنسا ينظر : الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945، مرجع سابق ص ،118 ، أيضا : الدكتور صالح فركوس ، المرجع السابق، ص ص 219 ، 220

[10] - المهدي بوعبدلي : الاحتلال الفرنسي ومقاومة الشعب الجزائري في الميدان الروحي ، مجلة الأصالة، السنة الثانية، عدد 08 ماي ، جوان 1972 ،ص 312

لقد أرادت الإدارة الفرنسية فرنسة الجزائر على حد تعبير المؤرخ الفرنسي غوته لذلك جعلت هذه الإدارة من سياسة التجهيل إحدى وسائلها فعملت على محاربة اللغة العربية وإهمال التعليم العربي التقليدي الذي كان سائداً في الجزائر في تلك الفترة و لم تسمح بتطويره وأوجدت إلى جانبه التعليم الفرنسي [1]

وجند الاحتلال في حربه ضد اللغة العربية كل الوسائل والسبل وشارك في هذه الحرب كل من المعلم الفرنسي والكاتب والإداري والضابط ورجال الدين والمدرسة والإدارة وذلك من أجل تحطيم حصون اللغة العربية وتراثها الشعبي والديني والقضائي من أجل القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية [2].

إلى جانب وسائل التجنيس والتنصير والتجهيل راحت الإدارة الفرنسية تشرع جملة من القوانين التعسفية [3*] وفرضها على الجزائريين .

دون غيرهم مثل قانون الحجز "Le sequester " الذي سن في 15 أكتوبر 1845 ووسع استعماله بقرار 1871 عقب ثورة الإخوان الرحمانيين وهو الذي يمس كل القبائل التي تعلن العصيان على السلطات الفرنسية وكانت نتيجة تطبيق هذا القانون حجز أكثر من 725 ألف/هكتار من الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها للأهالي وكانت بذلك ضربة قاسية للملكية الأهلية لم تسلم منها حتى العائلات الكبيرة [4] .

وعلاوة على القانون السالف الذكر فقد سنت الإدارة الاستعمارية قوانين أخرى لنزع الملكية العقارية الإسلامية من أيدي الجزائريين[5]فأصدرت قانون نزع الملكية وقانون الاحتواء " l''expropriation Contonnement " فالقانون الأول صدر بحجة إقامة قرى استعمارية والتي وصل عددها في 1882 . 197 قرية استعمارية [6] .

أما القانون الثاني فيقوم على مصادرة كل الأراضي المشاعة التي تحتاجها الإدارة الفرنسية لإقامة المنشآت العامة كالمستشفيات والمدارس والثكنات وهكذا فقد الأهالي من جراء تطبيق هذا القانون الكثير من أراضيهم حيث بلغت نسبة الأراضي المصادرة 85% من مجموع أراضي بعض القبائل وخلال نحو ثلاثين عاماً 1880 - 1908 وضعت السلطات الفرنسية يدها على ما يزيد عن مليون هكتار من أراضي القبائل و الأعراش والأوقاف الإسلامية والأملاك الفردية [7] .

---

1 - أحمد بن نعمان: الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية ، مجلة الأصالة ، عدد 85 ، 86 أكتوبر 1980 ، ص76

2 - عبد الله شريط : المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص 52

3 - النظام الاستعماري الفرنسي جعل من المسلمين الجزائريين يخضعون لقوانين خاصة لاوجود لها حتى في التشريعات الفرنسية نفسها ، ينظر : حمري الجمعي ، المرجع السابق ، ص 89

4- Ihaddaden Zahir : Histoire de le presse indegéne en Algerie (des origines jusqu'an 1930) 1930) Alger ,ENAL ,1993,P108

5- CH.A.Julien , OP,cit ,PP405.406

6- Ihaddaden Zahir , OP,cit ,P ,109

7- Ibid ,P, 109

وقد تسببت هذه القوانين في إفقار معظم الجزائريين وخروج مصادر الثروة من أيديهم وهو ما جعلهم يعيشون في حالة من البؤس والشقاء بجوار الثراء الفاحش الذي ينعم به الأجانب [1]

ولم يكتف الاستعمار بحرمان الأهالي من أراضيهم ومن حقوقهم ولا بفرض الغرامات و الضرائب ولكنه أضاف إلى كل ذلك استغلال الإنسان الجزائري وإذلاله اليومي وعبر الدكتور عبد الله شريط عن ذلك بصدق قائلا[2] " لقد كان هدف الاستعمار من أساليبه التخريبية أن تجعل الإنسان الجزائري لا يصلح لأي شيء سوى للعبودية"

بعد هذا العرض الموجز لطبيعة السياسة الكولونيالية في الجزائر كان على فرنسا بعد القضاء على المؤسسات التقليدية أن تعوضها بمؤسسات جديدة تكمل مهمة ومشروع الاستعمار فأوجدت منظومة تعليمية

حديثة شبيهة بتلك الموجودة في الوطن الأم [3] والحق أن ظهور المدرسة الفرنسية في هذه الفترة يعتبر نقطة تحول هامة بحكم ارتباطها بشبكة من المؤسسات والهياكل ذات الصبغة الوظيفية مثل الإدارة والقضاء . ولهذا كانت هذه المدرسة ومنظومتها التعليمية مصدر انشطار وانقسام في صلب المجتمع الجزائري بفعل الهجوم المنظم على المؤسسات الدينية والثقافية التقليدية وتفكيك بنى النظام الاجتماعي والثقافي في الجزائر [4]

وقد سعت هذه المنظومة التعليمية إلى إحداث تغيير عميق في البنية الثقافية وحتى الاجتماعية للمجتمع الجزائري وذلك بفضل التوجيهات الكبرى للتحديث الاستعماري الذي سعى من ورائه منظروه إلى تحقيق المهام التالية :

1 – إقصاء النخب و الانتلجانسيا التقليدية عن المشاركة السياسية والاجتماعية وتشجيع نمط جديد من البورجوازية المتقبلة لسياسة التحديث ولنمط التعليم وبعبارة أوضح لثقافة المستعمر [5] .

2 – العمل بدون هوادة على إرساء النظام الاستعماري من خلال نشر لغة وثقافة وفكر الغزاة الجدد عن طريق المدرسة والثكنة والإدارة [6] .

3 – البحث والتنقيب عن المخلفات المادية والأدبية للجزائر من خلال تلك الأبحاث الغزيرة التي قدمتها النخبة الفرنسية في الجزائر والتي كان منها طمس المراحل التاريخية الزاهية للجزائر والتركيز على فترات الصراعات القبلية والمذهبية هذا من جهة ومن جهة أخرى تسليط الأضواء على الفترة الرومانية المسيحية وبداية الاحتلال [7] .

---

[1]-CH .A.Julien ,OP,cit ,PP 439-440.

[2]- عبد الله شريط : المرجع السابق، ص 51

[3] - أبو القاسم سعد الله : تيارات اليقظة والإصلاح في المغرب العربي (1830-1956) مجلة المصادر ،عدد08، ماي 2000 ،ص 94

[4] - الوناس منصف : المسألة الثقافية والدولة الجزائرية، المطبعة العربية ، تونس، 1991، ص 23

[5] - المرجع نفسه ،ص 21

[6] - أحمد طالب الإبراهيمي : التعليم والثقافة في الجزائر ، جريدة المجاهد الأسبوعية، عدد 506 ، 3 ماي 1970 ص 11

[7] - فليب لوكا : المرجع السابق ، ص 36

والمتصفح لهذه الجهود يجد أن فرنسا نجحت في جوانب من هذا المشروع وأخفقت في جوانب أخـــرى ، فبالنسبة للمدرسة أو نقل بالنسبة للجانب الثقافي اعتبرت فرنسا اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وتعاملت معهـــا على هذا الأساس ، ولعل الحرب التي أعلنتها فرنسا على العربية تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال عنـــدما بـــدأ المستعمر في فرض لسانه وتفكيره وأسلوبه الجديد في الحياة وموجهاً ضربته الأولى للغة العربية علـــى أســـاس أنهـــا الوعاء الحامل لثقافة المجتمع الجزائري [1] وأيضاً الحصن المنيع الذي تصدى لعمليات المسخ والفرنسة التي قـــام بهـــا الاستعمار الفرنسي من جهة ثانية وهو ما جعلها ضمان الوحدة الوطنية منذ أثني عشر قرناً مثلما عبر عـــن ذلـــك الإمام محمد البشير الإبراهيمي بقوله [2] " العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور في الماضي...سلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية كـــل ذلـــك باختيار لا أثر فيه للجبر " .

وباعتبار العربية لغة القرآن ولغة الحضارة الإسلامية التي صهرت العرب والبربر لذلك كان من المنطق الاستعماري سحق هذه اللغة ومحاصرتها بتشريعات وقوانين جعلت منها ليست فقط لغة أجنبية بل لغة عدوة يجب محاربتها فجاء قانون 1904 الذي يمنع المعلم العربي من ممارسة نشاطه التعليمي إلا وفق شروط منها ، اقتصار تعليم العربية على تحفيظ القرآن دون التعرض إلى شرح ما جاء فيه من دعاوى التحرر من الظلم والاستبداد إضافة إلى استبعاد تدريس الأدب العربي بجميع فنونه [3] إلا أن أخطر هذه القرارات كان القرار الوزاري المسمى شوطان [*] الذي أكد على على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم الحكومية الفرنسية وحتى في معاهد التعليم العربي " الحر" إلا على هذا الأساس وبترخيص من إدارة الاحتلال [4] وعليه فإن أي محاولة لتعليم اللغة العربية لأبناء الجزائر أو نشرها هي محاولة عدائية تستوجب العقاب لكونها في نظر الفرنسيين إفشال لسياسة الفرنسة وصبغ الجزائر بالصبغة العربية ، لكن هذا لم يمنع الفرنسيين من إنشاء أو الإبقاء على بعض المدارس القليلة التي تهدف إلى تكوين مجموعة من الموظفين الفرنسيين قصد تقلد مناصب دينية في شؤون الإمامة والفتاوى والقضاء والترجمة وغيرها من الشؤون الدينية والأهلية الخاصة بالجزائريين [5] حتى يتمكن هؤلاء الموظفون من معرفة ما يدور يدور بين الأهالي وما يكتبه مثقفوهم في الأدب والفقه والسياسة[6]

---

[1] - فلادمير ماكسمينكو ، المرجع السابق ، ص 77

[2] - محمد البشير الابراهيمي : آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج3 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بـــيروت ،1997، ص 206

[3] - مولود قاسم نايت بلقاسم: دور اللغة في الحفاظ على الشخصية الوطنية عبر التاريخ ، ،، ص،72

[*] - نسبة إلى وزير داخلية فرنسا آنذاك وصدر القرار في 8 مارس 1938 وهو امتداد للقانون الصادر بفرنسا في 18 أكتوبر 1892 الخـــاص بالتعليم الحرف في فرنسا ، ينظر : جريدة البصائر عدد177 أوت 1939 ص 02

[4] - تركي رابح : المرجع السابق ،ص، 128

[5] - المرجع نفسه، ص 124

[6] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 ، ط1، دار العرب الإسلامي ، بيروت، 1998 ، ص 312

ومن هنا يتبين للباحث أن سياسة فرنسا العدائية تجاه العربية بنيت منذ البداية على أساس القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ونشر نوع من التعليم قد يحول المجتمع الجزائري في المدى البعيد من مجتمع عربي مناهض للاستعمار إلى مجتمع لديه القابلية للفرنسة والإدماج[1] وهو الهدف الذي جهر به أحد الساسة الفرنسيين عندما قال[2] :" إن الجزائر لن تصبح حقاً مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قوية والعمل الذي يترتب إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية بينهم " .

والمتتبع للسياسة الفرنسية في محاربة اللغة العربية يمكن له ملاحظة الخطوات التالية :

1–فرنسة التعليم في المرحلة الابتدائية في البرامج والكتب والنظم واللغة وجعل اللغة العربية لغة أجنبية [3]

2 – تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات :

أ : لغة عامية يستعملها الشعب وهي غير صالح للتعليم في المدارس

ب : لغة عربية فصحى وهي لغة القرآن وقد اعتبرها الاستعمار كاللغة اليونانية واللاتينية لغة ميتة [4]

ج : لغة عربية حديثة وهي أداة للقومية العربية لذلك يجب إبعادها من برامج التعليم

3 – فرنسة الإدارة ، المحيط ، الثقافة ووسائل الإعلام قصد إعطاء الصبغة الفرنسية [*] الخالصة لكل المجالات [5] [5] وشملت عملية الفرنسة والمسخ جميع المجالات الأخرى كالمظاهر الثقافية والاجتماعية

من أدناها الملابس والثياب إلى أعلاها الذوق والقيم الأخلاقية [6] .

4 – تعطيل النوادي العربية الحرة التي تقوم بنشر اللغة العربية واضطهاد المعلمين الأحرار في سلك التعليم العربي الحر مع تعرضهم للسجن والغرامات المالية [7] .

---

[1] - صالح فركوس ، المرجع السابق ،ص 209

[2] - أحمد توفيق المدني : جغرافية القطر الجزائري ، ط2،دار المعارف، القاهرة،1963، ص 138،

[3] - ساطع الحصري : ماهي القومية ، دار العلم للملايين ، بيروت، دون تاريخ، ص 73،

[4] - أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الإجماعية ، مكتبة لبنان، 1997، ص، 210

[*] - بلغت الفرنسة إلى درجة تغير أسماء الشوارع وأحياء عربية وحتى المدن التي أصبحت تحمل أسماء قادة عسكريين ورجال دين وأنشئت الطرق المحفوفة بالأشجار والساحات التي تشبه تماماً مثيلاتها في فرنسا وأصبح في قسنطينة شارع فرنسا Rue de France وفي العاصمة نهج Randon وتحولت العلمة إلى Saint Arnaud وسكيكدة philipevill وفي عنابة ووهران أوشكت الثقافة العربية الإسلامية على الاندثار في نمط العمارة وطريقة الحياة اليومية من أدناها الملابس والثياب إلى أعلاها الذوق والقيم الأخلاقية . ينظر إلى : الدكتور حمري الجمعي : المرجع السابق ، ص ص ،21 ، 22

أيضا أحمد طالب الإبراهيمي :التجربة الجزائرية في الثورة الثقافية ،مجلة الثقافة، عدد 8 ، 9 ماي ، جوان 1972 ص18.

[5] - تركي رابح : المرجع السابق، ص 129

[6] - أحمد طالب الإبراهيمي : المرجع السابق ، ص 18

[7] - تركي رابح : المرجع السابق ،ص 190

ولم تتوقف سياسة فرنسا تجاه العربية عند هذا الحد بل عمدت إلى اعتبار اللهجات البربرية في الجزائر لغات وطنية على قدم المساواة مع اللغة العربية ولجأت إلى التفرقة بين الأهالي في المناطق المختلفة بين المتحدثين بالعربية والمتحدثين باللهجة البربرية وفق النهج الاستعماري المعروف بسياسة فرق تسد [1].

والحق أن إدراك المستعمر لأهمية التكامل والاندماج بين عنصري العروبة والإسلام وأثرهما في تماسك النسيج الإجماعي والوطني للجزائر والمغرب العربي دفعة إلى ابتكار هذه السياسة العنصرية(*) بقصد خلق نزعة بربرية بربرية إنفصالية معادية للعروبة والإسلام (2).

وبفعل هذه السياسة ظهر الوعي البربري الذي أصبح يطالب بالحق في الاختلاف الثقافي ومن ثمة الحق في هوية معترف بها على أساس أن البربر جماعة أثنيه تختلف ثقافياً عن العرقية العربية وهذا نتيجة للتقسيم الاستعماري القائل بسمو البربر عن الجماعات العربية رغم ما قدمه مؤرخون(**) بخصوص عروبة البربر (3).

ولم تكتف الإدارة الفرنسية بهذه الإجراءات الداخلية في محاربة اللغة العربية بل راحت تسد كل مناف الجزائر على محيطها العربي الإسلامي لأبعدها عن منابع العربية والإسلام في المشرق فمنعت دخول الكتب والصحف والمجلات كي لا يتأثر الأهالي باليقظة الفكرية والنهضة الإصلاحية التي بدأت تنتشر والداعية إلى الثورة على التخلف و الجمود (4)

أما بالنسبة لماضي وتاريخ الجزائر فإن الكتابات الفرنسية تعمدت أن تظهر الجزائر بالمظهر اللاتيني المسيحي فكان أغلب المؤرخين الفرنسيين يدافعون عن فكرة التفوق الفرنسي وتبرير الاستعمار ولم يستطيعوا تجاوز الإطار الذي رسم لهم والمتمثل في العراقة والكمال لتاريخ فرنسا وتعمد التشويه والجهل لتاريخ الجزائر (5).

وقد ركز علماء التاريخ والآثار الفرنسيون أبحاثهم وأطروحاتهم حول تاريخ الجزائر في العهدين الروماني قبل الإسلام والفرنسي أبان الاحتلال ونعتقد أن مثل هذه الأطروحات كانت تصب في أن الجزائر فرنسية في حاضرها ومستقبلها ورومانية مسيحية في ماضيها (6).

---

[1] -عبد الكريم بوالصفصاف : المرجع السابق، ص، 127

* - تسمى هذه السياسة الظهير البربري وتقوم على فصل البربر عن العرب والاعتراف للبربر بأحكام قضائية موازية للهيئة القضائية الرسمية وتشجيع اللغة البربرية. ينظر : عبد الكريم بوالصفصاف المرجع السابق ص ص 127 ، 130 ، أيضاً . عمر عسوس: بربر الجزائر والتعريب ، دراسات عربية ، العدد 1، 2 دار الطليعة بيروت نوفمبر ، ديسمبر 1995 ص 14

[2] - محمد الصالح الهرماسي:مقاربة في اشكالية الهوية،المغرب العربي المعاصر ،دار الفكر ، دمشق ،2001 ،ص 71،

** - أمثال : ابن خلدون ، عبد الله العروي ، عثمان الكعاك

[3] - عمر عسوس : المرجع نفسه ، ص 15

[4] - عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر ،الجزائر، 1999، ص،181

[5] -أحمد صاري : شارل اندري جوليان والجزائر 1919-1962 ، مجلة الحوار الفكري ، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، جامعة منتوري قسنطينة ،عدد1، جويلية 2001 ص 92

[6] - تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ،،،ص، 132،

ففي العهد الأول ــ العهد الروماني ــ حسب زعمهم كان الاستقرار وكانت الحضارة وكان التطور في الزراعة والعمران وفي العهد الثاني ــ عهد الاحتلال ــ كانت الثقافة والمدنية وما دونهما أي الفترة الإسلامية والفترة العثمانية فقد كانت في نظر هؤلاء المؤرخين فترة الفوضى والاضطرابات أو ما يمثل عصور مظلمة غابت فيها الدولة والمدنية معاً فجاءت فرنسا لتستعيد أمجاد روما وترجع الجزائر وشمال إفريقيا إلى أصله اللاتيني وليس ذلك في زعمهم احتلالا إنما استرجاع لحق مسلوب ضاع من روما وفي هذا المقام يقول أحدهم [1]" عندما أضع أذني على الأرض أستمع إلى رنين خطوات أجدادنا الرومان " .

وقد ذهب المؤرخون الفرنسيون [*] في إنكارهم لوجود الجزائر غير مترددين أمام تزييف التاريخ إلى حد الإدعاء أن المغرب العربي ومنه الجزائر وهي القلب والمقصود بالذات لم يستطع تكوين دولة يضمن لها الدوام [2] وأن هذه البلاد ــ أي الجزائر[**] ــ ليس لها إسم معروف مما أضطر إعطاؤها اسما لها [3] .

ونعتقد أن الإدعاء بأنه لا وجود لدولة جزائرية غرض واضح مرتبط بالمشروع الاستيطاني وهو مشروع تطلب من فرنسا الاستناد إلى معطيات تبرر الاستعمار أولاً ثم الاستيطان ثانياً وللمؤرخين السالف ذكرهم ضلع كبير في ترسيخ هذا الإدعاء والبهتان حتى أصبح وكأنه الحقيقة .

أما بالنسبة للوطن الجزائري فقد وقفت الأقلام الفرنسية منه موقفاً معادياً شأنه شأن المقومات الأخرى الدين واللغة والتاريخ فالكتاب والمؤرخون الفرنسيون زعموا أنه لم يكن هناك وطن اسمه الجزائر

بل كان مجرد عشائر وقبائل متناحرة لا يحكمها قانون ولا تصب في حضارة [4] وكانت أرضها مستنقعات واقتصادها في حالــة إفلاس ولم تكن البلاد آخذة بأسباب التقدم والعمران [5] وظلت الجزائر بعيدة عن الأخـــــذ بأسباب الحضارة والاستقرار إلى أن جاءها الاحتلال برسالة التمدن وأخرجها من عهود الجهالة والفوضى [6] .والحق أن هذه السياسة الاستعمارية التي حاولت بإيديولوجيتها إنكار الهوية الوطنية ومحو الكيان الجزائري بالتحطيم المادي والمعنوي أن أوجدت في البداية تساؤلات في الوسط الجزائري المثقف وفي المقام الأول أصحاب الثقافة العربية الإسلامية فحاولوا التصدي لهذه الدعاية الاستعمارية المغرضة وكان في مقدمة هؤلاء العلامة

---

[1] - عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ج1، ط5 ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب 1996 ، ص 58

[*] - لم يقتصر الأمر على جوليان وغوتيه بل هناك مجموعة أخرى من المؤرخين أمثال ويليام مارسي ، وغزيل قدموا صورة عن الجزائر تتنافى كثيرا مع الحقائق التاريخية وتبتعد عن الموضوعية التاريخية . ينظر : الدكتور محمد البشير شنيتي : تاريخ الجزائر القديم من خلال المؤرخين الفرنسيين ، مجلة التربية ، السنة الأولى، عدد 03 ،ماي جوان 1982، ص ص 30 ، 34

[2] - Ernest Feleix ; Gautier : le passé de l'afrique du rord , les siecles obscures , paris , payot , 1937, p10

[**] - غير أن اسم الجزائر جزائري بحت أطلقه عليها بلكين بن زيري مؤسس الجزائر العاصمة و المدية و مليانة منذ ألف سنة ينظر: عبد الرحمان بن خلدون،كتاب العبر ،المجلد 07 ،ط 1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ،ص.119.

[3] -Ibid p 7

[4] - عبد الله شريط ، محمد الميلي : الجزائر في مرآة التاريخ ،ط1 ، مكتبة البعث ، قسنطينة، 1965 ، ص، 156 .

[5] - أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 ، ص، 09.

[6] - محمد الطيب العلوي : التربية بين الأصالة والتغريب ، مرجع سابق ، ص 21.

إبن سماية و المجاوي وابن موهوب [*] غير أن أصواتهم كانت خافتة و لم ترق في اعتقادنا إلى مواجهة منظري الإدارة الاستعمارية من كتاب وصحفيين ومفكرين غير أننا نشيد بها ورغم تواضع هذه الأصوات إلا أنها كانت بداية لإظهار تمسك الجزائريين بمقوماتهم العربية الإسلامية.

وبمجيء العلماء في 1931 دخلت الجزائر الإسلامية في إعلان المواجهة أمام هذه الادعاءات خصوصاً بعد أن ظنت فرنسا أنها نجحت في تغريب الجزائر واحتفالها بمرور المائة سنة من الاحتلال وتحقيقها لهذا الإنجاز الحضاري الكبير في الجزائر الذي باركته الكنيسة حيث ضمت صوتها للجوق الذي يعزف نغمة المستقبل الزاهر الذي ينتظر المسيحية في شمال إفريقيا [1] .

وقد قيد الله لهذه الأمة رجالات تركوا لنا تراثاً غنياً في محاججه أصحاب هذا الطرح ونعني بهم في المقام الأول العلامة إبن باديس الذي جاءت صرخته رداً وتكذيباً للإدعاء الفرنسي ونفيه عندما قال [2] :

شعب الجزائر مسلـــم　　　　وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله　　　　أو قال مات فقد كذب

وبهذه الروح جاءت دعوة إبن باديس التي تلخصت في الإيمان بوجود الشخصية الجزائرية المتميزة التي كانت تاريخاً سابقة عن الاستعمار مما يحول دون تحقيق الإدماج مع إبراز المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية المتمثلة في الشعار المعروف : الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا [3] و لم يقتصر هذا الدور على إبن باديس فقط فقد كان الإبراهيمي وطنياً مصلحاً مدافعاً عن الدين واللغة .وكانت مقالاته ومحاضراته دعوة لليقظة و إحياء الإسلام وعروبة الجزائر [4] وعلى هذا الدرب سار أصحابه المصلحون الزاهري والعقبي والورتيلاني وغيرهم من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وإنصافاً للحقيقة التاريخية فإن مهمة الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية لم تنحصر في الأسماء المذكورة سالفا ، فالاعتداء الكولونيالي حمل أصحاب القلم والكلمة من تيارات أخرى مشقة التصدي لهذا الغزو الواسع للجزائر الإسلامية هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الغزو جعل الجزائري يفكر في هويته وفي بناء مقومات كيانه ، وكان خطاب فرحات عباس من أولى الخطابات التي طرحت مسألة الهوية الوطنية حينما قال [5] : " إن إكتشفت ما يسمى بالأمة الجزائرية سأكون وطنياً ... لكنني لن أموت من أجل أرض الأجداد لأنها لا توجد ، لقد

---

[*] - 1866 ــ 1939 من رواد النهضة الفكرية ومن أبرز من مهد لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر بداية من العشرينات ، ويعده الدكتور أبو القاسم سعد الله ثاني مصلح في الجزائر ظهر بعد حمدان خوجة . ينظر: أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930) ج2 ،ط1 ،دار الآداب ،بيروت ،1969 ، ص 180

[1] - أحمد صاري : المرجع السابق ،ص 128

[2] - عبد القادر فضيل ، محمد الصالح رمضان : إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، دار الأمة، الجزائر ،1998 ، ص 259

[3] - محمد الميلي : نماذج من فكر ابن باديس السياسي ، مجلة الثقافة ، العدد 14 ، أفريل ، ماي 1973 ، ص 22

[4] - بو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ،، ، ص70

[5] - Farhat Abbas « La France C'est moi » Lentente ,23 Février 1936

سألت التاريخ وكذلك الأحياء والأموات لكن لا أحد أجابني عنها ... يجب التخلص والابتعاد عن كل الأفكار الغامضة والتخيلات الجامدة لنتمكن من ربط مستقبلنا نهائياً بمجهودات فرنسا في هذا البلد " .

وتبع الخطاب بردود فعل واسعة وسجال مازال قائماً إلى اليوم في الجزائر المستقلة من طرف المؤرخين والباحثين والمثقفين فقد أعتبره البعض نفياً للأمة الجزائرية وسقوطا في الإيديولوجية الاستعمارية الناكرة في مجملها للهوية الوطنية [1] عده البعض الآخر مناورة إستراتيجية الغرض منها تحقيق مكاسب مادية وأدبية للشعب الجزائري الذي كان يعيش في وضعية مأساوية [2] ونتيجة لذلك السجال فقد تفتقت أقلام رجالات الفكر الجزائري الذين تصدوا لذلك فكتب إبن باديس بعد شهرين تقريباً من صدور مقال فرحات عباس رداً [*] في جريدة الشهاب بعنوان " كلمة صريحة جاء فيه [3] " لا يا سادتي ... نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها ... ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت "

و يبدو أن الخلاف بين الخطابين لم يكن خلافاً في اللغة والثقافة فحسب بل أنه كان يتمثل في مفاهيم أساسية تتعلق بالشخصية الجزائرية وتاريخها العريق [4] ورغم أن الاتجاه الاستقلالي ــ الذي ينتمي إليه مترجمنا ــ المتمثل في حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لم يجعل من موضوع الهوية مسألة مركزية في اهتماماته السياسية والإيديولوجية كونها ــ أي الهوية ــ مشكلة نظرية فكرية تخص النخب إضافة إلى أن هذا التيار ينطلق من قناعة أن الجزائر أمة قائمة بذاتها [5] فإنه كان لمترجمنا على أعمدة الجرائد في المشرق العربي وفي جريدة المغرب العربي والمنار مقالات تدافع في مجملها عن مقومات الأمة الجزائرية أمام سياسة المسخ والفسخ الاستعمارية والمؤيدين لها من الجزائريين ومن نحا نحوهم [6] .

وبالرغم من أن هذه الكتابات كانت باكورة الفكر التنظيري لمولود قاسم غير أنها تترجم بحق وعي وإحساس الرجل بخطورة مرامي السياسة الاستعمارية الهادفة إلى فصل الجزائر عن العالم العربي من جهة وإزالة الشخصية الجزائرية من لغة ودين وتاريخ .

[1] - عبد المجيد عمراني : النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية (1954-1962)، دار الشهاب، باتنة، 1995 ، ص 63

[2] - بو الصفصاف عبد الكريم : قراءة نقدية في كتاب الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس لمؤلفه د. الزواوي بغورة ، مجلة الحـــوار الفكري العدد 05 جمادى الثانية أوت 2003 ، ص، 187

[*] - من الشائع أن المؤرخين والكتاب المعاصرين للحركة الوطنية قد نسبوا رد العلماء على عباس فرحات للشيخ عبد الحميد بن باديس ولكـــن الاستاذ أحمد توفيق المدني فاجأ المؤرخين والكتاب سنة 1977 بأن هذا المقال هو الذي كتبه وليس ابن باديس . ينظر : بوالصفصاف عبد الكريم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 مرجع سابق ص 280.

[3] - الشهاب م12 ، ج1 قسنطينة أفريل ،1936 ،ص ص 44،43

[4] - بو الصفصاف عبد الكريم ، المرجع نفسه ، ص 381

[5]- Mohamed Harbi ,1954 , la guerre commence en Algerie ,Editions comles,1998 ,p,121

[6] - مولود قاسم : الجزائر لا تعرف العربية ، ص، 4

ورغم ابتعاد مولود قاسم عن دائرة الصراع الذي كان دائراً على الأرض الجزائرية غير أنه في المشرق العربي ظل يحمل معه مشروع الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية ، فمحاضراته التي كان يلقيها أمام النخبة العربية والجزائرية في مصر العربية وفي بلاد الشام كانت لا تخلو من التعرض إلى التأكيد على عروبة الجزائر وإسلامها وهذا اعتراضا على تلك الدعاية الفرنسية التي كانت تتشدق بها الكتابات الفرنسية بأن الجزائر أصبحت فرنسية قلباً وقالباً ، هذه المحاضرات التي جاء في طياتها فضح ورد الأقاويل الفرنسية الداعية إلى إدماج الجزائر في الأمة الفرنسية التي تختلف في مكوناتها عن الأمة الجزائرية من حيث اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد هذا من جهة ومن جهة أخرى الوقوف أمام النداءات المشجعة على الإدماج التي كانت تحملها فئة محدودة من الجزائريين [1] .

كما كان مولود قاسم في هذه المداخلات يبين لمستمعيه أن هذه الادعاءات ما هي في حقيقتها إلا ذر الرماد في العيون فالإدارة الفرنسية في الجزائر قائمة على العنصرية وتفضيل الغزاة الأوربيين عن السكان الأصليين في المناحي المختلفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية [2] .

هذا الخطاب كان في حقيقته خطاب ذو حدين فمن جهة دحر أكاذيب وادعاءات الفرنسيين ومن جهة أخرى فتح عيون العرب على حقيقة ما يجري في الجزائر وتنوير الرأي العام العربي على أن قضية الجزائر لا تقل أهمية عن قضية فلسطين [3] فهي أيضاً ــ أي الجزائر ــ تحت السيطرة الأجنبية وتحت الاستغلال والابتزاز من قبل الأوربيين والفرنسيين ، وعلى الأمة العربية مناصرة القضية الجزائرية ورفع الظلم والتعدي على الشعب الجزائري الذي ظل يتطلع إلى نجدة تأتيه من المشرق العربي بحكم الصلات التاريخية التي تربط بينه وبين الأمة العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج العربي [4] .

إن هذه الأدبيات وهذا الخطاب إذا أخذناه في إطاره التاريخي يعتبر في رأينا جهاداً ونضالاً ظلت النخبة الجزائرية في المشرق العربي تعمل بدون هوادة لترقيته وتوسيعه على أكبر عدد من أبناء الأمة العربية المسلمة .

والدليل على ما ذهبنا إليه أن مولود قاسم مثلا كان ينتقل بين الفينه والأخرى بين المدن والحواضر العربية حاملاً كتابات ومؤلفات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وتوزيعها في الملتقيات والندوات وتجمعات النخبة العربية في دمشق وبغداد وبيروت وحواضر أخرى وبهذه الطريقة الذكية من قبل هذه النخبة غدت القضية الجزائرية من مواضيع الساعة في النقاش الفكري والسياسي في البلدان العربية [5] .

وبنجاح هذا الرعيل في هذه المهمة أخذت القضية الجزائرية بعداً قومياً عربياً إسلامياً واستطاعت هذه الثلة أن تهزم الدعاية الفرنسية المغرضة على الأقل في البلدان العربية فزاد تعاطف الشعوب العربية مع القضية الجزائرية وما

[1] - شارل أندري جوليان :إفريقيا الشمالية تسير (القوميات والسيادة الفرنسية) ترجمة المنجي سليم وآخرون ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976 ، ص 309

[2]- CH.R .AGERON , Histoire de l'Algerie Comtemporaine ,, ,P21

[3] - إسماعيل دبش : المرجع السابق، ص47

[4] - المرجع نفسه، ص، 47

[5] - مولود قاسم : أصالية أم انفصالية ج2 ، ،، ص،ص ، 412 ، 413

إن اندلعت الثورة التحريرية حتى أصبح العالم العربي مهيئاً لتبني المولود الجديد وتقديم له المساعدات المختلفة المادية والسياسية [1].

وبالرجوع إلى أجندة مولود قاسم فإن هذا الأخيــــر لــــم يتــردد حتـــــــــى في الأحاديث واللقـــــــاءات العفوية عن شرح القضية الجزائرية وهو ما رواه بنفسه فــــي إحدى رحلاته حـــينما التقى بمثقف عربي على ظهر باخرة ودار بينهما الحوار التالي [2] :" كنا على ظهر باخرة إيـــطالية.

فـــي بداية صيف 1952 في رحلة من الإسكندرية نحو مرسيليا والتقينا هناك بدكتور وهو شخصية كبيرة من إحدى كبريات الدول العربية ... وكنا نتلاقى في البهو الرئيسي للباخرة وتحدثنــــــا طويــــلاً ونظن بـــــأن الدكتور التقى في ذلك اليــــوم لأول مرة بجزائري فأخذ يسألنا عن الجزائر وأخذنــــا نحن بحماس وإسهاب نشرح له ما عانته وتعانيه الجزائر منذ 1830.

" الاضطهاد واللغة وتحويل المساجد إلى كنائس " ويضيف مولود قاسم بأنه وجد الحجة لانتزع إقناع محاوره الذي كان يبدو على ملامحه التشكك أو على الأقل اتهامه بالمبالغة حيث يقول[3]:" حتى في جواز سفرنا مسخنا وسجلنا على أننا فرنسيون وهنا بدأ الاهتمام شديداً على ملامح الدكتور فقال لنا بلهفة :

يعني لديكم جواز سفر فرنسي فقلنا له نعم وأخرجنا الجواز من جيبنا . فرحين ظانين أننا بهذه الحجة قد أقنعناه ... إلا أنه أصبح لنا حاسداً أو على الأقل غابطا بعد أن كنا ظننا أنه سيكون على الاستعمار ساخطاً " ويمكن للباحث أن يجد في هذه الإجابة دلاله قاطعة على أن الشعب العربي كان يعبر عن حقيقة التطورات في الجزائر وهو الموقف الذي يتطلب :

1 – التصدي إلى دعوة الإدماج والخطورة تكمن هنا فالإدماج كلمة حق أريد بها باطل لأنه إدماج شكلي يتناقض كلياً مع الممارسات التعسفية اليومية [4] .

إضافة إلى هذا وجود مجموعة من الجزائريين قبلت الأمر الواقع وتعلقت بأهداف الحضارة الفرنسية بل راحت تدعو للإدماج[5] وهذه الدعوة شكلت هاجساً لهذه النخبة فكان لابد من إبطالها وإظهار مناصري هذه الفكرة بأنهم لا يمثلون حقيقة الرأي العام الجزائري وهو الخطاب الذي دأب الإبراهيمي والورتلاني ومولود قاسم على ترديده في هذه الديار .

[1] - إسماعيل دبش : المرجع السابق ، ص، 62

[2] - مولود قاسم : أنية وأصالة ، ص ، 241

[3] - المرجع نفسه ، ص، 242

[4]- CH.R .AGERON , Politique Coloniales au Magheb , (P.U.F) , paris , 1972,p,255

[5]- Ibid ,p, 255

ومن المنابر التي كافحت على عروبة الجزائر نذكر التجمعات مثل لجنة المغاربة ولجنة الدفاع عن شمال إفريقيا ولجنة تحرير المغرب العربي ، هذه المنظمات التي يقودها زعامات عربية معروفة (عبد الكريم الخطابي ، الفضيل الورتلاني ، الشاذلي المكي ، علال الفاسي) (1) .

وكانت تقوم على فلسفة كيفية البحث عن الطرق والوسائل لحماية الجزائر ودول المغرب العربي والشمال الإفريقي من الذوبان في المجتمع الفرنسي لأنهم أدركوا إن نجحت السياسة فتلك هي الطامة الكبرى فتفقد الجزائر دينها ولغتها وتندثر (2)

لقد قيد الله هذه الأمة عناصر وطنية واعية من أمثال مولود قاسم حيث تصدوا للسياسة الفرنسية من خلال هذه المنابر وحملوا هذه الفكرة بين المشرق العربي وأوربا وبهذا النضال الواسع والكثيف استطاعت

دول المغرب العربي أن تصمد أمام هذه السياسة الماكرة التي هي سياسة الإدماج (3).

وباندلاع الثورة التحريرية أصبحت الجزائر الإسلامية المكافحة تحمل شعارات جاءت في مواثيقها من بيان أول نوفمبر(*4) إلى أرضية الصومام والتي أعلنت صراحة على أن للجزائر هوية وشخصية متميزة تتكامل فيها كل المقومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والثقافية التي تجعلها غير فرنسية[5]

وهو ماساهم في وحدة التفكير والشعور وتوحيد السلوكات والاتجاهات وتجسيد القيم العليا للشعب الجزائري وحافظ على الشخصية الوطنية من الذوبان والاندثار (6) .

عشية الاستقلال تم تأجيل المسألة الثقافية لأن الدولة الوطنية كان من أولوياتها مواجهة الجهل والأمية والتخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

وفق منهج سياسي واحد وثقافة واحدة واقتصاد واحد (7) ولم يكن هذا التأجيل إلغاءً لمسألة الهوية بل إن القضية عادت إلى الظهور فيما بعد وأخذت هذه المرة صوراً تختلف على الفترة الاستعمارية فالسلطة اليوم سلطة وطنيـــــة والمطلب وطني غير أن الفاعلين لتحقيق هذا كانوا على صنفين كل منهما مبتور عن الآخر (8) .

---

[1] - حمري الجمعي : جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ودور الأستاذ الفضيل الورتلاني فيها ، ص ، 125

[2] - المرجع نفسه ص 126.

[3] - عمار بوحوش: العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1975،ص 76.

[4] - أحمد بن نعمان: اشهدي يا جزائر ،ط1،دار الامة 2002، ص 223.

[5] - وردت أربعة بنود تتعلق بالوجود والهوية :" إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية في إطار المبادئ الاسلامية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الاسلامي واحترام جميع الحقوق الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني والإعتراف بالجنسية الجزائرية التي تلغي كل القرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضاً فرنسية التاريخ واللغة والدين والعادات " ينظر : بيان أول نوفمبر 1954

[6] - عمار بوحوش:خصائص الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات الكبرى في القرن العشرين ،مجلة الدراسات التاريخية عدد 8 ماي 1993 ص 110. .110

[7] - عبد الكريم بوصفصاف: قراءة نقدية في كتاب" الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس لمؤلفه الزواوي بغورة ، ص ، 186

[8] - علي الكنز : حول الأزمة ، دار بوشان للنشر ، الجزائر، 1990 ، ص ، 21

الصنف الأول : دعاة الثقافة العربية الإسلامية الذين عرفوا في الكتابات الرسمية بالمعربين الذين نجدهم في قطاعات التربية والإعلام والثقافة والشؤون الدينية وبدرجة أقل في قطاعات العدالة والشؤون الخارجية ، أي في الجهاز الأيديولوجي[1] وقد إستطاع هذه الفصيل منذ منتصف السبعينات أن يتحول إلى مرشد وموجه بل وإضفاء الشرعية الأيديولوجية على النظام السياسي [2] .

الصنف الثاني: المستغربون الذين اعتبروا النموذج الغربي و الفرنسي خصوصا مصدر القيم و النماذج التنموية و هو بذلك متغرب عن نمط حياة غالبية الجزائريين رغم سلطاته المتعددة في الإدارة العليا و الاقتصاد و التسيير و حتى أماكن ومناصب اتخاذ القرار في قطاعات الإعلام و الثقافة[3] ويرجع هذا التقسيم أساسا إلى السياسة الاستعمارية الاستعمارية بالدرجة الأولى وتأثيرها على النظام السائد أثناء الاحتلال وتكوين مثقفين مختلفين في مراجعهم الفكرية واللغوية وأيضا استمرار الدولة الجزائرية المستقلة على نفس النهج بإعادة إنتاج المنظومة التربوية الاستعمارية لذلك لم تتوحد النخبة الجزائرية على مسألة الهوية[4] وبين هذين الفصلين نجد الفصل الثالث القليل العدد المتفتح على الواجهتين الثقافيتين العربية الإسلامية والفرنسية الغربية [5] وهو الفصيل الذي ينتمي إليه مترجمنا مولود قاسم ـــ والذي أحدث نوعاً من التوازن ـــ بين هذين التيارين فهو يختار من الماضي ما يستمد منه القدرة على الإستمرار ويأخذ من الحاضر ما يساعد على فهم الواقع ومن هذه الثنائية استمد مولود قاسم موقفه من الهوية الجزائرية أو ماسماه هو الآنية التي كانت مرتكزاتها في فكره وطروحاته الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ المشترك والوطن الجزائري

أ - الدين الإسلامي :

بالنسبة للمقوم الأول ـــ الدين ـــ فإن مولود قاسم يقدمه على غيره من المقومات المذكورة ويأتي في المرتبة الأولى ضمن العناصر المشكلة للآنية كونه السياق الروحي الذي استرسلت عبره مسيرة التاريخية لسكان شمال إفريقيا أو بلاد المغرب كما أضحت تعرف بعد الفتح الإسلامي لذلك ظل محوراً رئيساً مركزياً في فكر مترجمنا بالنظر إلى الأهمية القصوى التي نهض بها الدين في التحول إلى الأفضل بشخصية أهالي البلاد المغاربية على مدار القرون ، و لم ينظر مولود قاسم للدين الإسلامي على أنه عامل من عوامل صقل الشخصية وتشكيل الكيان التاريخي للأمة الجزائرية فحسب بل نظر إلى الإسلام باعتباره المعين الذي ظل يمثل فاعلية التجدد الروحي و إكسير المقاومة والإصرار على تحقيق البقاء والرقي [6] لذلك راح يؤكد على ضرورة غرس الروح الإسلامية خاصة لدى

---

1 - Mustapha Haddab , « Types d'intellectuels en Algerie » probleme de classification et de méthode , Réflexion , N° 1 ,Editions casbah ,Alger ,1993,p,33

2 - لعبيدي جمال : " التعريب والتناقضات الاجتماعية في الجزائر " المستقبل العربي ، مركز الدراسات العربية ، بيروت ، العدد، 191 ، جانفي، 1995 ، ص 97

3 - عمار بلحسن :أسئلة النص دراسات سوسيولوجية نقدية للأدب الجزائري " مجلة التبيين "العدد 07،الجزائر، 1993،ص 23

4- O,Lardjane,identité collective et indentite individuelle, Reflexion ,Edition ,casbah N°1 Alger,1997,P,16.

5- MAZOUNI IN J –DEJEEUX , culture Algerienne dans les textes ,OPU , Alger 1982 ,p63

6 - عبد اللطيف عبادة : بعض مواقف الفكر الجزائري المعاصر من قضية الإسلام والتنمية،مجلة الثقافة السنة السادسة عشر عدد 95 سبتمبر ، أكتوبر، 1986 ،ص ص 163 ، 165

فئة الشباب بمختلف الوسائل[1] مستدلاً بقول فيخته الفيلسوف الألماني في تربية الشعب على التمسك بالدين والأخلاق ويعتبر ذلك من واجب كل حكومة [2] ويدعو في خطاباته إلى ضرورة إعطائه ـــ أي الإسلام ـــ المكانة اللائقة عكس ما يتشدق له من وصفهم بأنصاف المتعلمين بأنه رجعية وتخلف ليؤكد لهؤلاء[3] " أن الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي كامل صالح لكل زمان ومكان " مثلما هو حقيقة الأمة والأصالة المميزة لها وهو في نفس الوقت الذي يطبع ثقافة الأمة وآدابها وتقاليدها وعلومها وفكرها ونظرتها للكون[4] .

والإســـــلام في الجزائـــــر له وضعه الخـــاص فحسب تأكيد مترجمنا أن الجزائـــــر لم تنصـــــرف عن الإســـــلام لا بالأمـــــس ولا اليـــــوم فمنـــذ القرن الأول الهجري تم الفتح الكامل

لبلاد الجزائر وتكون على إثر ذلك مجتمع عربي إسلامي بعد أن فهم الأمازيغ معاني الإسلام فآمنوا بتعاليمه السمحة من عدل وحرية وإخاء وانصهر العرب الفاتحون وتلاحموا مع أبناء الشعب المحلي دون تكبر ولا استعلاء وتلاحم بذلك اللسان والعقيدة [5] .

وفي مقام آخر يذكر مولود قاسم بأن الإسلام في حياة الأمة الجزائرية هو بمثابة الروح التي تقوي الشخصية ففي الفترة الاستعمارية كان الإسلام العامل الحاسم في كفاح شعبنا ، هذا الشعب الذي حفظ له الإسلام وحدته واستمراره وشخصيته أمام محاولات المسخ الاستعمارية[6] .

وقد أكد الدكتور عثمان سعدي في كتابة " عروبة الجزائر عبر الجزائر " ما ذهب إليه مترجمنا عندما يقول بأن الإسلام أدى دور الحامي للهوية الجزائرية لا لأنه دين فقط وإنما لأنه القلعة التي حمت بأسوارها المنيعة هذه الهوية [7] .

وفي نفس السياق يقول الدكتور عبد الله شريط : أن عنصر الدين كان من بين العوامل الأساسية التي جعلت الشعب الجزائري يحتفظ بشخصيته القومية [8] .

ويذهب مولود قاسم بأن الإسلام كان قد وقف أيضا في وجه محاولات التبشير المسيحي التي كانت عاملا محافظاً على التواجد الاستعماري هذه المحاولات التي أرادت النيل من رسالته ورمي معتنقيه بالتعصب والجمود لكي يتسنى للاستعمار التوسع ليس فقط في الزمان والمكان وإنما أيضاً في قلوب الجزائريين [9] وهو ما يترجمه مولود

[1] - مولود قاسم : إنية وأصالة ،ص 234.
[2] - المصدر نفسه ص، 54.
[3] - المصدر نفسه، ص، 339.
[4] - المصدر نفسه ،ص، 339..
[5] - أحمد بن نعمان : كيف صارت الجزائر مسلمة عربية ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر،1981، ص ص، 33 ، 35.
[6] - مولود قاسم : أصالة أم انفصالية ج2 ،،، ص، 105
[7] - عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982 ، ص 120
[8] - عبد الله شريط ومحمد الميلي ، مرجع سابق، ص 323
[9] - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ،، ص ص ،59 ، 60

قاسم على لسان أحد المبشرين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عندما قال [1] : " ... إن الهدف الهدف الذي ينبغي أن يرمي إليه المبشر المسيحي لا يتمثل في تنصير المسلم أو المسلمة وإنما أبعادهما عن الإسلام وذبذبتهما وفي ذلك خسارة للإسلام ونصر للمسيحية حتى وإن لم يتمسح ذلك المسلم " .

وقد أدى الإسلام كذلك دوراً أساسياً وحاسماً ليس فقط في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بل كان أيضاً المحرك والشحنة لتأكيد الوطنية الجزائرية في مواجهة محاولات إبادة هذه الأمة فجميع المقاومات بلا استثناء من مقاومة الأمير عبد القادر حتى الثورة التحريرية الكبرى في 1954 انطلقت بدعمه وباسمه حاربت الأمة الجزائرية ولمبادئه استشهدت[2] فكان بذلك الإسلام أسلوب مقاومة وتصدي للغزاة ـــ والدليل على ما ذهبنا إليه أن المجاهدين إبان الثورة التحريرية كانوا يوظفون الأدبيات الإسلامية ولعل أصدق مثال لذلك اختيار يوم الاثنين الفاتح من نوفمبر 1954 بداية للثورة وكلمة الله أكبر لانطلاقة الشرارة الأولى ، إضافة إلى استلهام الخطب الجهادية من القرآن الكريم وتوظيف السيرة النبوية وأسماء الصحابة كأدبيات استعملها المجاهدون في يوميات الثورة [3] .

والدارس لنظـــــرة مولود قاسم إلى مفــــــوم الدين يجد أن مترجمنا لا يفصل الدين الإسلامي في الفترة الاستعمارية عن فترة الاستقلال حيث راح يؤكد أن الإسلام كما كان بالأمس دعامة للشخصية الوطنية ضد مــــــحاولات الفرنسة والإدماج فهو اليوم وبعد انتفاء الاستعمار يمثل بعث الشخصية ومرجع مكانتها في أوساط العالم الإسلامي والعربي على حد سواء وحتى لا نكون ـــ على حد تعبيره ـــ مثل بعض البلدان الإسلامية التي كافحت بالإسلام ولما انتصرت تنكرت له [4] وعليه فالإسلام في الجزائر لم يكن مجرد استمرار تاريخي ولكنه الشعور القوي الراسخ في أعماق كل جزائري بمبادئ هذا الدين ومعتقداته التي ماتوا من أجلها وتحرروا بفضلها من الاستعمار الفرنسي وبها اليوم يدافعون عن بانيتهم وشخصيتهم ضد الغزو الثقافي والفكري وضد كل الأيديولوجيات الرامية إلى زعزعة الكيان القومي [5] .خصوصاً الوافدة من الحضارة الغربية وتحديداً فرنسا - المستعمر القديم - [6]

لقد كان مولود قاسم يؤمن الإيمان القاطع بأن الإسلام الذي أسهم أيما إسهام في الصمود وانتزاع النصر من الغازي المحتل هو يمتلك القابلية الكافية لأن يوجه الأمة نحو البناء المدني الشامخ والتطوير العصري المتزن لأن الإسلام دين ودولة فهو فياض بالروحيات والأخلاقيات كما أنه دين العمل والجهاد والقوة وليس دين الاستكانة والاتكال [7] .

---

[1] - مولود قاسم : أصالة أم انفصالية ج2 ،،، ص ص ، 142 ، 143

[2] - مولود قاسم : المصدر نفسه، ص ص ، 255 ، 257

[3] - Abdelghani Megherbi , Culture et personnalité de Massinissa a nos jours (ENAL-O.P.U) Alger 1986,p,30

[4] - مولود قاسم : إنية وأصالة ، ص ص 350 ، 351

[5] - مولود قاسم : أصالة أم انفصالية ج1 ، ص ص، 355 ، 357

[6] - المصدر نفسه، ص، 357

[7] - مولود قاسم : إنية وأصالة ، ص ص ، 112 ، 113

لقد عاش مترجمنا في مرحلة عاجة بالصراع الفكري والإيديولوجي لكنه ظل في هذا الصراع المحتدم منحازاً إلى الإسلام مدركاً برصيده وثقافته العربية الإسلامية الأهمية التي ينهض بها الدين في بناء الأمم وتشييد صرح النهضة وتسليح الهوية بالقيم الروحية [1] .

وبما أن الإسلام كان دائماً دين الكرامة الإنسانية والعدالة الإجتماعية والقيم الأخلاقية لذلك اعتقد مترجمنا أنه لايمكن لمن تشبع بالإسلام روحاً ومعنى إلا أن يكون من أنصار تحقيق هذه العدالة [2] وبالتالي من مؤازري الاشتراكية طالما حرصت على أن تكون نظاماً اقتصاديا واجتماعيا يراعي القيم الروحية للإسلام ومادامت منسجمة مع مبادئه الأساسية [3] .

ونـــرى في هـــذا التوجـــه محاولـــة أبي ذر الغفـــــــاري حيـــــن قال:"عجبت لمن تجوع بطنـــــــه ولا يخـــــــرج شاهـــــــراً سيفـــــــه " والقصـــد مـــن وراء هـــــذا الاستشهاد تساوي الفـــــرص فـــي العمــــــل وتوزيـــــــع الثـــــــروات بالعدل بين المجتمع فأصـــــول الإشتراكية في رأي مترجمنا قد وجدت منذ أربعة عشر قرناً [4] .

ومن هنا نرى أن مولد قاسم ـــ المثقف الرسمي ـــ حاول إضفاء الشرعية الدينية على الجهاز الإيديولوجي والنظام الاقتصادي السائدين آنذاك وبالتالي مسايرة الطرح الرسمي في تعايش الاشتراكية والإسلام وهذا الموقف في رأينا لا يعدو أن يكون مسايرة للسياسة الوطنية في تلك الفترة التي كانت تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ومبدأ تكافؤ الفرص بين جميع مكونات المجتمع الجزائري .

ب – اللغة العربيـــــــــة

احتلت اللغة العربية في فكر مولود قاسم موقعاً مركزياً بالنظر إلى صلتها بالآنية والتجذر ، ولما كانت اللغة الوطنية قد عاشت الاضطهاد الذي نالها أثناء الاستعمار فقد عاش الإنسان الجزائري يحمل لها شحنات من التقديس والتطلع بل ظل الجزائري يربط ما كان يحياه من غصب وإخضاع وبين ما كانت عليه اللغة من غبن وتنكيل لذا رأينا الحركة الوطنية تنافح عن اللغة وتضع مهمة المصاولة عليها من أولويات كفاحها بل لقد قام هناك نوع من التماهي بين اللغة العربية وبين الإنسان الأهلي في فكر الجزائريين وكتاباتهم إذ أن الحديث عن أحدهما ظل يحيل ضرورة على الآخر لاسيما وأن العربية لغة الدين الإسلامي ، الإطار الروحي الذي تبلور فيه الكيان البربري والعربي بشمال إفريقيا وأكتسب خصوصياته الحضارية والتاريخية التي بات يعرف بها وباتت تميزه عن غيره [5] .

---

[1] - محمد العربي ولد خليفة : مقابلة سابقة

[2] - عبد اللطيف عبادة : المرجع السابق ،،ص ص ، 164 ، 165

[3] - A MEZIANE IN J-DEJEUX : op-cit ,p63

[4] - مولود قاسم : المصدر السابق،، ص ، 113

[5] - عشراتي سليمان : أصالة الرؤية ورؤية التأصيل

لقد اقترنت اللغة العربية في الجزائر دائماً بالوعي العربي الإسلامي في كل أدواره التاريخية و أثبتت ـــ اللغة ـــ أنها كانت الدرع الصلب الذي يحتمي به هذا الوعي في المجتمع الجزائري كلما واجهته ظروف تهدد كيانه [1] .

إذ أن الجزائر ظلت محافظة على الثقافـــــة العربيـــة الإسلامية التي تقبلتهـــا وانصهرت في بوتقتها منذ الفتح الإسلامي حيث حافظت على هذه اللغـــــة التي أصبحت بذلك جزءاً لا يتجزأ من كيان الشخصية الجزائرية[2] ولا أدل على ذلك تشبث المجتمــــع الجزائري بلغته خلال فترة الاحتلال التي دامـــــت مائة وأثنين وثلاثين سنة كأحد مقومات إنيته تجاه الغزو الثقافي وعمليات الاستئصال والمسخ لهذه المقومات وعليه فاللغة تمثـــل السيـــــادة الوطنيـــــة والقومية ومن يتنازل عن لغته فهو على استعداد أن يتنازل على سيادته على حد تعبير المفكر عبد الكريم غلاب[3]. لذلك دافع مولود قاسم علـــــى اللغة وحاول

تبيـــــن حقيقتها وكشف كنوزها أمام الغـــــازي الفرنسي الذي حاول أن ينال منها ويذهب مترجمنا على غرار الكثير من المفكرين إلى الإجماع على عظمة هذه اللغة واتساع ألفاظها وتعدد معانيها فهي من أقدم اللغات المقوعدة والأكثر مطاوعة وقابلية للنحــــت والاشتقاق [4] فبالحرف العربي كتب القادة والعلماء والقضـــــاة في الإمارات والممالك الأمازيغية" أوال أمازيغ " في تعبير لحسن الوزان المعروف في الغرب بإسم ليون الإفريقي (L'éon L'Africain) [5] والعربية هي اللغة التي كانت يوماً ما لغة العلم فبها كتب ابـــــن رشد مؤلفاته وحتى أثناء النهضة الأوربية كان المتجادلون في جامعات نابولي والسوربون يبدأون النقاش بسؤال هل أنت مع ابن رشد [6] وكانت آنذاك لغة الضاد لغة الثقافة للأباطرة والقياصرة والعلماء فكان قيصر ألمانيا فريدريك الثاني يفضل التكلم بالعربية مع العلماء على التكلم بلغته أو بأي لغة أخرى كما كان علمـــــاء ألمانيا وفرنسا يقبلون على العربية ويفضلونها على اللاتينية وما انسلخ عنها من لغات [7] وإذا كانت فترة مائة واثنين وثلاثين سنة من الحصار والاضطهاد للغة لم يجد نفعاً في إستئصالها فيجب الإعتراف بأن الاستعمار الفرنسي قد نجح مع الأسف وإلى حدٍ كبير مع طائفة من الجزائريين في نشر الشعوبيـــــة وعادات الانتماء العربي عن طريق مسخ العقول وغزو القلوب [8] وذلك ما يعتبره الدكتور عثمان سعدي إحدى النتائج البارزة للاستعمار الذي شكل طبقة من المثقفين انقسمت إلى اتجاهين يدعو إلا و إلى بربرية الجزائر وإنكار عروبتها ويدعو الآخر إلى تحييها عن الأمة العربية وربطها بأوربا المتقدمة [9] ويؤكد أحــــمد بــــــن نعمـــان بأن الجزائريين كانوا مهيئين لتعلم اللغة العربية بعد الاستقلال مباشرة و إعطائها مكان الصدر والمحراب ولكن هناك طابور آخر من الجزائريين خلفه الاستعمار الفرنسي جهل

---

[1] - أحمد بن نعمان : فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر منشورات ، دحلب ، الجزائر ، دت، ص 59

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم : دور اللغة في الحفاظ على الشخصية الوطنية ، مجلة الأصالة، عدد 17، 18، ، 1974، ص 71

[3] - عبد الكريم غلاب : الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات ، الدار العربية للكتاب ، لبيبا ، 1977،ص 45

[4] - أنور الجندي : الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب و التبعية الثقافية ، مطبعة الرسالة ، دت ، ص ص 573،574

[5] - عبد المالك مرتاض ، مقابلة سابقة

[6] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أنية وأصالة ،ص ص، 46 ، 47

[7] - المصدر نفسه، ص 49

[8] - مولود قاسم نايت بلقاسم : تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة " المجاهد الأسبوعي العدد 136 تاريخ 15 نوفمبر 1962

[9] - عثمان سعدي : المرجع السابق ، ص ص 91 ، 92

تراثه الفكري واندمج مع الآخر الفرنسي لذلك لا يرى في اللغة العربية عنصراً من عناصر الهوية [(1)] بل راح يعمل على غرس الدونية اللغوية في نفوس الجزائريين تحت شعار التقدم [(2)] .

لقد كان مولود قاسم يرى أن لسان الجزائر هو لسان انتمائها الحضاري لذلك وجدناه يصارع بقوة من أجل إبراز مكانة اللغة العربية التي كانت في طليعة ما نافح عليه مترجمنا عندما ارتفعت أصوات تردد

عدم جدوى الاشتغال بإحياء العربية في مجتمع ورث عن مستعمره ماضياً ثقافياً طويلاً ولغة عصرية جاهزة للأداء وحسبه أن يعتبر الفرنسية غنيمة حرب يمتلكها ويستنفع بها بدل أن يضيع وقته في ترميم لغة

ميتة لم يعد لها صلة بالواقع العصري [(3)] فوجد بذلك مولود قاسم نفسه يتساجل مع أصحاب هذا المنحى التغريبي وجهاً لوجه فأنبرى يرد عليهم ويكشف حقيقة الدوافع الإستيلابية التي كانت تحملهم على أن يتخذوا تلك المواقف من مقوماتهم حيث يقول[(4)] :" نريد من البعض الإقلاع عن الزعم بأن العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة فالعجز ليس عجز اللغة وإنما عجز الأدمغة عن التفكير المستقل،وعن الإنتاج والبناء على أساس تراث الأجداد ، تراث الحضارة الإسلامية العربية ".

لاشك أن التذكير بمثـــــــــل هذه الحقائق في تلك المرحلة كان الدافع إليه هو الحرص على جعل المتغـــــربين ينظـــــرون إلى العربيـــــة بعين الموضوعيـــــة فمولود قاسم عندمــــــا يذكر بحقيقة أن العربيـــــة كانـــــت لغــــة القصــــور في الغرب ذات زمن إنــــما يريـــــد أن يكسر الصورة والموقف الذي أتخذه المستلبون من لغتهم [(5)] ، فقد كان الغرب نموذج هذه الفئـــــــة لذلك ما فتئ يذكرهم بالتبعيـــة التي كان عليها الغرب حيال العرب و أراد بذلك أن يوضح بأن موقف هذا الفصيل يتناقض مع عواطف الأمة و لا يتماشى مع خياراتها

ومن خلال تتبع خطابات ومحاضرات وحتى تصفح كتب مترجمنا نجد بعض خطب المفكر الألماني فيخته وما ألقاه مدافعاً عن الشخصية واللغة والأصالة الألمانية يتم نقله بصورة حرفية من قبل مولود قاسم ، ولاشك أن تطابق نظرتهما والمستوى المقنع الذي عبر به فيخته عن أفكاره إزاء اللغة الألمانية جعل مترجمنا يتبنى كلية تلك الرؤية التي نظر بها فيخته إلى لغة أمته وشخصيتها وقت أن استهدفها الغازي الدخيل وروض بعض الفئات كي تتنازل وتتخلى عن المقومات [(6)] .

---

[1] - أحمد بن نعمان : التعريب بين المبدأ والتطبيق، ص ص، 378، 380.

[2] - خالد محي الدين البرادعي : اللسان العربي والفكرنكفونية وجرحنا القديم،مجلة الثقافة ، السنة العشرون العدد110 ،111 سبتمبر ، ديسمبر، 1995 ،ص ص 150 ،152.

[3]- AKEB FATIHA ,Nacer ouramdane, entretien avace Mouloud Kassim ,parcours Maghrébins N ENAG , Alger,1986,p31

[4] - مولود قاسم نايت بلقاسم : إنية وأصالة ، مرجع سابق ص 51.

[5] - مولود قاسم نايت بلقاسم : مجلة الجزائرية ، مجلة شهرية يصدرها الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات عدد130 الصادر بتاريخ 07 ماي 1985 1985 ص ص 03، 04.

[6] - المرجع نفسه، ص 54.

والحق أن مترجمنا كان قد وجد في مواقف فيخته إزاء اللغة القومية ما يعبر به عن مشاعره هو إزاء لغته مولود قاسم حسب تعبير الدكتور محمد العربي ولد خليفة كان يرى الجزائر في عهده مثل ألمانيا في عهد فيخته قبل أن تتوحد فالوحدة الحقيقية هي وحدة الفكر واللسان [1] فالمستغربون تجاهلوا لغتهم وتجاوزوها إلى لغة أجنبية يحلونها مكانها لذلك نجد مترجمنا يردد ماكان قد قرره فيخته بشأن اللغة الألمانية لأنه وجد في الحجة التي كافح بها فيخته عن لغة حيال أعمال الفسخ وسيلة يدافع بها عن لغته التي رآها تلقى الجحود على أيدي هؤلاء المستغربين [2]

إن تذكير مولود قاسـم بأفكار فيخته لما كانـت تمثـله تلك الأفكار من موضوعية وبرهان ، واعتماد مولود لأفكار فيخته في هذا السياق يعد في رأينا اعتمادا ذكياً فاستغلال وجاهة هذا المفكر الغربي العظيم ووجاهة أفكاره حول اللغة عسى أن تلقى من المتنكرين الأذان الصاغية وكانت استراتيجية مولود قاسم في توظيف فكر فيخته في هذا السياق تعود إلى عاملين :

العامل الأول : جعل الحجة تصدر عن عالم غربي لا يجد ولا يملك المستلبون أمامه سبيلاً للاعتراض فالحجة هنا تصدر من طرف بعيد عن الصراع والسِّجال .

العامل الثاني : أراد مولود قاسم أن يضع خصومه أمام نموذج يعتبرونه مصدر القيم والمثل [3] .

لا ريب أن تركيز مولود قاسم على اللغة لإدراكه أنها المقوم الحاسم في بناء الفكر وإرساء ثوابت المجتمع باعتبار اللغة عامل يصون الكيان وينتقل بالهوية أينما سار الإنسان وحيثما انتقل فاللغة مقوم يكون الإنسان وليس العكس [4] بحكم أوليتها وبوصفها مؤسسة اجتماعية تهيكل الأفراد والجماعات وهي الضمير الجمعي للأمة والضمان والضمان الذي لا يواز يه ولا يضاهيه زمام في حفظ الهوية وصون مقوماتها [5] ويستشهد في هذا السياق بقول فيخته [6] :" إن الذي يفقد لغته يمزق الخيط الذي يصله بالأجداد ويفقد معها ماضيه ... إن اللغة الأصلية هي الحياة الحياة والتي تمد بالحياة ولأن الأمم المغلوبة التي تفقد لغتها تندمج وتذوب في جنس اللغة الغالبة " .

ويلون مولود قاسم شواهده عن مكانه اللغة في تأصيل الهوية ويستعرض تارة أخرى أفكار فيخته في هذا الصدد ويورد ما سجله هذا المفكر الألماني عما يلقاه المنسلخ عن لغته من تبعية مهينة شأن الجرمان بعد أن تمكن منهم الرومان عقلياً إذ بلغ منهم الحرص على التشبه بالرومان واصطناع لغتهم وخطا بهم إلى حد إلغاء جميع الكلمات التي يبدو عليها طابع الأصالة الجرمانية ليحلوا محلها اللاتينية لأن هذه الأخيرة في نظرهم مثال النبل والأناقة والثقافة الرفيعة [7] .

---

[1] - مقابلة مع الدكتور محمد العربي ولد خليفة ، فندق الأوراسي 28 مارس 2005.

[2] - المقابلة نفسها

[3] - مولود قاسم : إنية وأصالة ، ص53

[4] - عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1975، ص 573

[5] - عبد العزيز العاشوري : اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العــدد 28 ، بيروت، ،1981 ،ص 07

[6] - مولود قاسم : إنية وأصالة، ص 58

[7] - المصدر نفسه، ص 59

ولاشـــك أن مولـــود قاســـم بمثل هذا التعقب التفصيلي لأفكار فيختـه في مجال اللغة إنما كان يعبر عن واقع استلابي كانت طائفة من المثقفين الجزائريين تعيشه إذ تسممت شعورياً ووجدانياً بما حقنه المستعمر في نفوسهم من مركب نقص حيال حضارته فبات يسكنهم إعجاب مرضي بشكليات مدنيته وقشرياته .

وبالرغم من هذا الطرح وهذا الإلحاح وضرورة التمسك باللغة فقد وقفنا حائرين أمام النصوص التي يرد فيها مصطلح اللغة دون تحديدها ، فإذا تكلم مولود قاسم عن اللغة خصوصاً فهمنا من ذلك أنه يقصد اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم ولغة الخطاب العلمي والحضاري مع باقي الأمم الإسلامية أما إذا تطرق إلى موضوع اللغة عموماً فإن قصده من وراء ذلك يختلف فقد يقصد اللغة العربية وقد يقصد غيرها

وإذا ما قلنا غيرها فلا يخرج الأمر على أن تكون اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها واستعمالاتها الإقليمية (1) وهذا ما نفهمه في سياق كلامه عندما يقول (2) :" إني بلغتي التي كانت تناغيني بها أمي ، وتقص لي بها القصص جدتي ويتفاهم بها جميع سكان قريتي أو حيي في بلدتي أو مدينتي و أتناغم بها مع أبناء وطني ، وأتناجى بها مع آبائي وأسلافي وأقرأ بها تاريخ وأمجاد أمتي و منقوشة بها جدران وصخور بلادي ألقنها أولاد أولادي وأبلغ بها رسالتي إلى أندادي وأفاخر بها أضدادي " .

و إذا كان مولود قاسم وزيرا في الدولة الوطنية التي تبنت البعدين الحضـاريين العـربي والإسـلامي في دستورها ومواثيقها و أغلقت كل أبواب الحوار والنقاش حول باقي العناصر المشكلة للهوية الوطنية فإنه كانت لـه صرخات في هذا الموضوع وكان الدين الإسلامي أو البعد الديني إحدى الوسائل التي كان يحتمي بها ويسـتعملها في ذلك فوق كل دعوة للقومية العربية ففي تعقيبه على الدكتور صفوان القدسي (*) في الملتقى العاشر للفكر الإسلامي الإسلامي بعنابـة جـاءت مداخلـه مترجمنـا تحـت عنـوان " العروبـة بـدون الإسـلام جاهليـة " قـال فيها (3) :" فإذا كان يفتخر إخواننا في مصر بالفراعنة.

فأنا لا ألومهم على هذا عندما يبقى في حدوده كجزء من تاريخهم القديم ، والعرب كانوا يفتخرون بالجاهلية ونحن ندرس إمرؤ القيس وفلاناً وعلاناً لماذا ندرسهم ؟ لماذا أعتز بحضارة حِمَيَر ؟ فإذا كان الإسلام هو الفاصل بيننا فحمير لم تكن مسلمة فلماذا أعتز بها ؟ ؟، ... إذن فهذه العنصرية ، هذه الرجعية إلى الجاهلية نحن نستنكرها".

كما كانت لمترجمنا بعض فلتات اللسان المقصودة كقوله (4) :" هذا هو الإسلام كردي وأمازيغي وتركي وعربي ، خير الدين التركي ، صلاح الدين الأيوبي الكردي ، يوسف بن تاشفين أو عبد المؤمن وطارق الأمازيغ ومحمود الغرناوي الأفغاني وموسى بن نصير وعقبة بن نافع العربيان هذا هو غنى الإسلام هذه هي ميزة الإسلام " .

---

[1] - جوهري بوعلام : البعد القومي الأمازيغي في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم ، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول مولود قاسم ، فندق الأوراسي 28 مارس 2005

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالية أم انفصالية ج1 ، ،، ص 68

[*] - مدير مجلة المعرفة السورية ووزير الثقافة والإعلام آنذاك في سوريا

[3] - مولود قاسم : أصالة أم انفصالية، ص ص 398 ،400

[4] - المصدر نفسه، ص 191

ولعل مولود قاسم مولود قاسم من خلال كلامه هذا يريد أن يوجه دعوة لإطلاق الحريات القومية المقهورة من طرف القومية العربية التي استحوذت على موروث الحضارة الإسلامية التي ساهمت فيها كل الشعوب بمختلف عرقياتها ولغاتها ، ونعتقد أن في ذلك دعوة من طرف مولود قاسم لنبذ الانتماء العروبي والتعصب القومي له على حساب هذه اللغات والعرقيات التي ذكرها [1] .

والحق أن احتكام مولود قاسم للإسلام الجامع لكل هذا الشتات نابعاً من قدرته ـــ الإسلام ـــ على توحيد هذه الشعوب لذلك وجدناه في كل مرة يؤكد أن لاشيء يجمعه بالدولة العربية الأخرى من قومية بل ما يجمعه وشعبه ودولته بها هو الإسلام [2] وقد ورد على أحد المفتخرين بالعروبة في إحدى ملتقيات الفكر الإسلامي بقوله [3] :" نرجو منك ألا نعود إلى هذه الشعوبية والعنصرية والجاهلية ... بالنسبة لنا العروبة تنحصر في اللغة العربية ... وإذا كانت شؤون أخرى عربية فتدرس في إطار الجامعة العربية " وكان مترجمنا يستند بالانتماء الديني الواسع والجامع عله يجذب إليه جميع الأطراف فكتب يقول [4] :" علينا التمسك بالإسلام الذي يجمعنا ، وأن العروبة شيء جزئي فضلاً على أن أغلب كبار علماء العربية والإسلام من العجم " [*] .

وذهب مولود قاسم إلى أبعد من كل ذلك حين صرح وهو وزير الدولة الجزائرية المعترفة و العضو في جامعة الدول العربية ، بأن الوحدة العربية تحت راية جامعة الدول العربية إطار مؤقت لا معنى له ويجب أن يكون مؤقتاً [5] .

والحقيقة أن موقف مولود قاسم من اللغة الامازيغية يصعب على الدارس الفصل فيه بسبب غياب نصوص صريحة عدا بعض المواقف التي كانت له في ملتقيات الفكر الإسلامي لكن مترجمنا بدأ في الإفصاح عن رأيه في اللغة الأمازيغية بعد أحداث أكتوبر 1988 أي عقب دخول الجزائر عهد التعددية السياسة بموجب دستور 1989 ومن أشهر أقواله هي التي نشرت بعد وفاته عندما قال[6] :" ينبغي أن نعلم أن اللغة الامازيغية من كبريات اللغات في العالم، لغة عظيمة ويكفي أن نقول أنها كانت لغة ملك عظيم كماسينيسا ويوغرطة " كما يمكن اعتبار إقراره نشر الشعر الأمازيغي الثوري في مجلة الأصالة ودعوته إلى تصحيح كتابة أسماء بعض المدن الجزائرية ذات الأصل الأمازيغي مثل تامنغوشت بدل تمنراست وأكثر ما يفعل مع الكلمات البربرية فنجده مثلا يبحث في معنى بربر وكلمة بربراسك والفرق بينهما كما نجده يعطي معنى ألفاظ بربرية مثل لفظ إيمازيغن ويحيل إلى المناطق التي يتداول

---

[1] - جوهري بوعلام : المرجع السابق

[2] - مولود قاسم : أنية وأصالة ، ص 356

[3] - مولود قاسم : أصالية أم انفصالية ، ،، ص 399

[4] - المصدر نفسه، ص 23

[*] - وهي العبارة التي عقب بها على الدكتور صبحي الصالح في الملتقى السابع للفكر الإسلامي حينما قال : الأمام موسى الصدر (رئيس المجلس الإسلامي الشعبي الأعلى بلبنان ومبعوث نبيه بري) وإن كان فصيحاً إلا أن أصله الأعجمي يجعله لا يدرك بعض أسرار العربية ، مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق ، مسرح بجاية 09 سبتمبر 2004.

[5] - مولود قاسم : أصالية أم انفصالية ،،ص 76

[6] - مولود قاسم : جريدة المساء يوم 09 نوفمبر 1993 ،ص 17

فيها الاستعمال ولعل ذلك لربط الأمازيغ بمعين حضارتهم الإسلامية [1] وتحديدا لمعالم موقفه من الأمازيغية ومنه نستخلص أن مولود قاسم لم يكن معارضاً لها خاصة وأن الإسلام لا يعارض تعدد الألسن [2] .

وصفوه القول أن مولود قاسم كان يطرح مسألة الاعتراف بالأمازيغية ويشير إلى ذلك تلميحاً وتصريحاً في العديد من المناسبات إلا أنه لم يضع اللغتين الأمازيغية والعربية في مرتبة واحدة بل وضع اللغة العربية في الريادة دون منازع وحرص في موقفه على الاعتدال و الوسطية فهو يرفض الطرح الاقصائي للمتحمسين للأمازيغية إلى درجة الغلو وللمعارضين لها إلى درجة التنطع فالجزائر تتسع للأمازيغية والعربية معاً وفي ذلك يقول [3] :" ... إذا كان لكل بلاد أن تعتز بأصلها القديم فلا بأس لهذا مادام لا يمس بما أتى بعده وبما أسميه أنا نسخاً لما قبله وهو الإسلام الذي أتى بالدين وبالأخلاق ، الذي أتى بالثقافة التي تجمع هذه الأمم كلها ".وفي النهاية يمكن رصد الاستنتاجات التالية :

أولاً : أهمية اللغة كدعامة للهوية نابعة من ارتباطها وعلاقتها بالصراع الإجتماعي للمجتمع الجزائري اليوم وآثارها السياسية وكذلك تأثيرها على القطاعات الاقتصادية .

ثانيا : بروز طائفة ممن يدعون إلى جعل اللغة الرسمية للبلاد غير العربية وهنا يدل على عدم وجود اتفاق حول عناصر الهوية الجزائرية مما يعني أن هذا المقوم يواجه صراعاً لا يواجهه المقوم الأول ـــ الدين ـــ

ثالثاً : إعادة النظر وفتح النقاش في أي موضوع مهما كان مقدساً كاللغة فهو قابل لإعادة النظر باعتباره ليس حقيقة مطلقة بل يرتبط بقناعات معينة من خلال الانتماء التاريخي وهذا يمكن أن ينطبق عن الهوية الجزائرية بعد إدخال الأمازيغية كعنصر من مكونات الإنية الجزائرية .

رابعا : اهتمام مترجمنا باللغة كان أكثر بعد انتهاء مهمته من الوزارة والرئاسة بين 1970 إلى 1979 وأصبح أكثر تحمساً عن اللغة العربية بعد عضويته باللجنة المركزية والأمانة الدائمة بالمجلس الأعلى للغة العربية .

العربية سنة 1984 ولعل ذلك يرجع إلى كونه مثقف يمثل السلطة وموقفه خاضع لظروف سياسية أملتها المرحلة .

خامسا : يناصر اللغة العربية على أساس أنها لغة موحدة للجزائريين ويرفض العروبة لأنها في نظره شعوبية وقبلية وعودة إلى الجاهلية

سادساً : يرفض مترجمنا فكرة الازدواجية اللغوية ويعتبرها بمثابة رأسين لجسد إنسان واحد ، كما أن المزج بين اللغتين الأجنبية (الفرنسية) واللغة الوطنية (العربية) أثناء الكلام والخطاب هو مؤشر على سلوك مرضي وغير سليم .

---

[1] - مقابلة مع صالح بلعيد ، مسرح بجاية في 09 سبتمبر 2004

[2] - المقابلة نفسها

[3] - مولود قاسم : أصالية أم إنفصالية ، ص 409

جـ - التاريخ المشترك :

رغم تشعب أبعاد الشخصية ـــ الآنية ـــ وتعدد مستوياتها في فكر مولود قاسم وطروحاته فإن البعد التاريخي يعتبر إحدى المستويات التي ركز عليها مترجمان من خلال كتبه إنية وأصالة ، أصالية أم انفصالية وقد خص عنصر التاريخ بكاتبين : كتاب ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر وكتاب شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 .

والجدير بالذكر أن مترجمنا كان تكوينه الدراسي فلسفياً كما أنه لم يدرس التاريخ بالطريقة الأكاديمية لا باللغة العربية ولا بالفرنسية بل اعتمد في ذلك على ما قرأه في الكتب وما سمعه (الرواية وليس الوثيقة) وكانت بداية اهتمامه الأول بالتاريخ مع قراءته لكتب المؤرخ التونسي الشهير عثمان الكعاك [*] الذي تأثر له كثيراً [1] .

إن المقوم التاريخي عند مولود قاسم يمثل جزءاً كبيراً من هويتنا لذا نجد أن الشاهد التاريخي ومن سائر العهود والمراحل التي مر بها تكوين الأمة حاضراً ولا يتردد في سوقه وإبرازه وتقديمه في معرض فرض الحجة وإقامة الدليل لأنه ظل يؤمن أن تجلية الجذور واستحضار دروس التاريخ من أسباب ترشيد

المجتمع وتنوير فئاته من حيث تحديد الأفاق التي ينبغي للأمة أن تسلكها والخيارات التي ترتضيها [2] لذلك راح مترجمنا يربط بين حال هوان الأمم وأوضاع الضياع التي تعرضت لها كلما استنامت للغفلة عن دروس .

التاريخ حيث يقول [3] :" إن جميع الحضارات وسائر الأمم الكبرى قد انحلت بعد اختلت ثم إحتلت وانتهت

بالانهيار والامحاء لاستخفافها بتجارب التاريخ وغضها النظر عن المنزلقات التي جرتها إليها خطاها المبعثرة على شفا الجرف الهاري الذي أنهار بها" فالأمم بواسطة ماضيها تبني حضارتها لذلك كان الاعتزاز بالتاريخ بمثابة الاعتزاز بالذات وبالإنية خصوصاً وأن تاريخ الجزائر قد تعرض وعلى مدار القرن وأثنين وثلاثين سنة إلى التشويه والتحريف والمسخ ، وكان الفرنسيون يرددون أن هذه البلاد
- الجزائر - ليس لها تاريخ و لم يكن لها أي وجود تاريخي كدولة او امة وذلك شعب على حد تعبير مترجمنا مسخ للتاريخ وإظهار حقيقة الاستعمار الذي لم يكتف باستغلال خيرات الجزائر وشعبها وإنما كان يطمح لمحو هوية الشعب الجزائري بإنكاره عليهم ماضيهم وتاريخهم [4] إذ أن الاستعمار الفرنسي بعد أن أحتل الأرض كمرحلة

---

[*] - ولد في 15 أكتوبر 1903 بمدينة تونس من عائلة تونسية شهيرة تعلم في المدرسة الصادقية وأتقن العربية عن المشايخ الكبار بجامع الزيتونة كما يتقن عدة لغات منها الفرنسية والإيطالية و الإنجليزية والألمانية ، كان له نشاط ثقافي كبير أشرف على مكتبه العطارين ثم على المكتبة الوطنية التونسية له العديد من المؤلفات أهمها : موجز لتاريخ العام للجزائر ، وما تجدر الإشارة إليه أن هذا المؤرخ معروف جداً لدى المثقفين الجزائريين خاصة من خلال مشاركته في ملتقيات الفكر الإسلامي من الملتقى الأول إلى العاشر بعنابة الذي توفي في اليوم الرابع منه في 14 جويلية 1976 ، ينظر : جريدة النصر بتاريخ 1976/07/16

[1] - أبو القاسم سعد الله ، مقابلة سابقة.

[2] - عشراتي سليمان : مولود قاسم أصالة الرؤية ورؤية التأصيل

[3] - مولود قاسم آنية وأصالة ، ،، ص 144

[4] - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،،، ص ص ، 62 ،63.

أولى أنتقل في المرحلة الثانية إلى هدفه الحقيقي وهو التغريب والفرنسة وتشويه تاريخ الجزائريين [1] ولعل مقولة الفرنسيين عن الجزائر أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا وأنها لم تكن في يوم من الأيام أمة وليس لها تاريخ ولا هوية لا تخرج عن إطار طمس التاريخ ومحو الجنسية وخلق مبررات الغزو والاحتلال [2] .

والحق أن هذه الأحكام كانت تثير الغيض والثورة عند مولود قاسم مما حمله إلى التصدي إلى هذه الترهات بالبحث واستحضار النصوص التي تؤكد على عراقة الأمة الجزائرية الحاضرة والمساهمة في العمل الحضاري الإنساني منذ القدم فكان دائم التذكير بمقومات الجزائر وإذاعة صفحات من ماضيها وأمجادها حيث راح يلح على تعميق وتجلية وتكبير الصورة العتيدة للجزائر التي كان يرفض أن ينظر إليها على أنها وطن ناشئ لأن في ذلك طمس لحقيقة تاريخية وغضاً من الواقع الحضاري للوطن واستنقاصاً لشأنه رصيده التاريخي إذ أن الجزائر كما ظل يؤكد لم تخرج إلى الوجود غداة استرجاعها سيادتها [*] بعد أن انتفضت بثورتها على الاستعمار ولكن الجزائر دولة عريقة ويشهد على ذلك العهود الأسبق من تاريخها حينما رفعت الجزائر راية الإسلام ووسعت رقعة الفتح إلى ما وراء البحر شمالا والصحراء جنوباً وهي التي لاح نجمها بعد أن انتكست الراية في الأندلس [3] كما يشهد بذلك ماضيها القريب حين كانت سيدة المتوسطي وقاهرة الأساطيل الأوربية وجابية للإتاوات ومغارم الملاحة الدولية [4] .

وبحكم تعمق مترجمنا في دراسة الفلسفة الألمانية كما تمثلت له في مؤلفات أعلامها أمثال كانط وهيغل وشوبنهاور وفيخته ونيتشه فقد راح يبحث في ميدان التاريخ عن المواقف التي اتخذتها بعض هذه الشخصيات دفاعاً عن وطنها وقيمها الفكرية والروحية ويبدو أن تأثر مترجمنا بأعلام القومية الألمانية هو الذي دفعه إلى البحث والتنقيب للوصول إلى الأصول والجذور بل ونجده يلح ويكرر في كل المحافل على ضرورة تبجيل وتقديس التاريخ لأنه كما يراه فيخته في نفس درجة قداسة الإنجيل أو كما يراه مواطنه شوبنهاور كالعقل بالنسبة للأفراد [**] [5] .

.

[1] - مولود قاسم : مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا ، مجلة الثقافة، السنة السادسة عشر عدد94 جويلية أوت 1986 ،ص 18

[2] - فرحات عباس : ليل الاستعمار لحرب الجزائر وثورتها ، تعريب أبو بكر رحال المغرب ،مطبعة المحمدية بدون تاريخ ص52

[*] - كان مترجمنا في كل مرة يطرق هذه النقطة إلا ويستحضر نماذج من هذه الأقوال مستشهداً بـ: موريس طوريز الكاتب العام للحزب الشيوعي الفرنسي الذي قال عن الجزائر " أنها في طور التكوين " وقال عنها إدكارفو " إنها لم تكن أبداً أمة ولا دولة في التاريخ " أما دوغول فقد كتب عنها " لم تكن في أي ظرف من التاريخ وبأي شكل دولة جزائرية " وقال عنها أيضاً فاليري جيبيسكار ديستان " إنها ولدت أخيراً " . ينظر مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ج1، ص ص 30 ، 34.

[3] - صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر ، ،، ص 77

[4] - أبو القاسم سعد الله : الأستاذ جوليان والتاريخ الجزائري ، مجلة المعرفة ، وزارة الأوقاف السنة الثانية عدد 19 ماي ، جوان 1965، ص 05

[**] - هناك من يرفض النظرة التقديسية والتبجيلية للتاريخ كون ذلك يحيل بين العقل وبين النظر إلى التاريخ الذي يعتمد على النقد والبحث العلمي الصحيح ، ينظر : طه حسين : حديث الأربعاء ط12، دار المعارف الكتاب الثاني، ص 63

[5] - مولود قاسم : بعض مآثر نوفمبر ، ،، ص 01.

لذلك لم يتوقف مولود قاسم عند مرحلة معينة من تاريخ الجزائر وهو الفتح الإسلامي (***) ولعل أن مترجمنا رأى استحضاره لهذه الفترة التاريخية القديمة لم تكن كافية لإقامة الحجة على زعم الأطروحة الاستعمارية ـــ القائمة على أن الجزائر لم تكن دولة في التاريخ ـــ الاكتفاء بإبرازها في العصور المتأخرة أي في العهد العثماني فأضنى نفسه في البحث عن المعاهدات والوثائق التي تثبت تعامل الدول الأخرى مع الجزائر على أساس أنها دولة ذات سيادة وليست جزءاً من سيادة أخرى وأثمر هذا المجهود بإنتاج عمله الذي سماه شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 وينفي مترجمنا على أن يكون العهد العثماني استعماراً بل يذهب إلى القول أنه عهد الجزائر الدولة بكل ميزاتها ([2]) وأن كل مقومات السيادة تتوفر لديها وإنما الاعتداء الأجنبي هو الذي أفقدها شخصيتنا وحولها إلى مستعمرة ([*]) ويؤكد ذلك بقوله ([2]) :" كنا دولة مستقلة تابعة روحيا فقط للخلافة ولكننا كنا دولة ذات سيادة وكما تؤكده الكتب الفرنسية فإن الجزائر أول دولة اعترفت بالثورة الفرنسية " وإن هذه الدولة تأسست في بداية القرن السادس عشر بعد تصديها للغزو الإسباني وأطلق عليها دولة الجزائريين التي امتدت حدودها إلى أقصى الصحراء الجزائرية الحالية أي أن تشكيل الدولة الجزائرية في هذه الفترة معناه أنها تعود في امتدادها التاريخي إلى ما قبل وجود الأمة الفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من الأمم الحديثة ([3]) وكان من مظاهر سيادة دولة الجزائر أنها كانت تعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأخرى ، وكانت الجزائر أول من اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1795 م ([4]) .

وهناك العديد من المعاهدات أبرمتها الدولة الجزائرية خصوصاً في عهد الدايات الذي يعتبره مترجما أبرز العهود ، إلا أن الفرنسيين تعمدوا تشويه هذا العهد الذي سموه السيطرة التركة "La domination Turque"[(7)] رغم أن أن الجزائر في هذه الفترة كانت تبرم الاتفاقيات وتقدم المساعدات لفرنسا أيام محنتها عندما فرضت عليها الدول الأوربية حصاراً اقتصادياً وهذه القضايا معروفة في تاريخ العلاقات بين فرنسا والجزائر هذا من جهة ومن جهة أخرى أن هذه الحقائق تدْحَض الرأي الفرنسي القائل بأن تسمية الجزائر من نحت فرنسي وقد كان ملوك فرنسا أنفسهم من لويس الرابع عشر إلى شارل العاشر يعنونون رسائلهم إلى دايات الجزائر " السادة الأمجاد والعظام " وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كون الجزائر كانت في تلك الفترة دولة عظيمة ذات شأن بين الدول ([5]) .

[**] - يبدو أن موقف سعد الله في هذه النقطة مختلف مع موقف مترجمنا ففي الوقت الذي يتمسك مولود قاسم بتاريخ ما قبل الفتح وبرموز تلك الفترة أمثال ماسينيسا ويوغرطة يكتفي الدكتور سعد الله بتاريخ ما بعد الفتح معتبراً البحث فيما قبلها تشبث بالأشباح ،الدكتور أبو القاسم سعد الله ، المقابلة السابقة

[2] -ابو القاسم سعد الله: المقابلة نفسها

[*] - يذهب الدكتور سعد الله عكس ما ذهب إليه مترجمنا حيث يرى الدكتور سعد الله أن الحكم العثماني لم يتجزأر وبقي حكماً غريباً على الجزائر ، أبو القاسم سعد الله المقابلة نفسها

[2] - Ferhat Abbas : Le Jeune Algerien ,, , p, 131

[3] - مولود قاسم : المصدر نفسه ص .234

[4] - مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ج1،،، ص ،.29

[5] - مولود قاسم : مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخها ، ص، 12

[6] - مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ، ص، 13

ونظن أن هناك مقصداً آخر كان مترجمنا يتوخاه حين يستثير قضايا التاريخ والعراقة وهو ربط النشء بالجذور لأن الانطلاقة نحو المستقبل لا يكون إلا بتحديد المعالم السوية وانطلاقا من حقائق موضوعية وحضارية يمليها الواقع التاريخي وفي هذا الصدد يقول مولود قاسم [6] :" إننا نقدر كل التقدير شدة تعلق الأمم بتراثها وشخصيتها واعتزازها بماضيها وعراقتها وإشادتها بأنيتها وأصالتها وعدم إدارة ظهرها لأسلافها ومنطلقاتها وذلك أن الأمم بأصلها وأصالتها تأخذهما في الاعتبار في نموها وتطورها " .

يؤكد مولود قاسم على حقيقة حاجة الدولة الوطنية إلى إعادة كتابة التاريخ وإحياء التراث والذاكرة لأن الاستعمار هو الذي كتب تاريخ هذه الدولة ومن وجهة نظره بغرض تبرير استعماره لذلك فتاريخنا قدتعرض للتشويه والمسخ على حد تعبير فرحات عباس [1] ومن واجب الدولة الوطنية إحياء الذكريات والمناسبات .

ولقد قام مولود قاسم بنفسه بهذا الدور ودعا المثقفين والمسؤولين على شؤون الدولة إلى إعادة كتابة التاريخ الوطني إذ يقول [2] :" فليكن هناك سباق ومنافسات إيجابية بين مختلف مؤسساتنا وخاصة البلديات وقسمات الحزب ليكن ليكن هنالك تنافس بين مختلف جهات البلاد في إحياء هذا التراث " والملاحظ أن جميع المؤسسات المسند إليها كتابة و إحياء التراث هي مؤسسات أيديولوجية حيث يتم تثبيت التاريخ والتراث عبر تلك المناسبات المختلفة محلياً(*) ووطنياً [3].

وإذا كان مولود قاسم من أنصار إدراج الاهتمام بالتاريخ كمقوم حتى في عهد الدولة الوطنية فإنه يرى أن الوصول بهذا إلى النتائج الإيجابية هو الشروع في إعادة كتابة التاريخ انطلاقا من :

أولاً : تصفية التاريخ من الشوائب التي علقت به من خلال الإيديولوجية الاستعمارية وما ترتب عنها من اضطراب فكري عند الجزائريين بخصوص المقوم التاريخي [4] .

وفي مرحلة لاحقة كان يؤكد أن مسؤولية الدولة الوطنية هو إعادة كتابة تاريخ الجزائر وهذه العملية روج لها مولود قاسم وصحبه في هذه الفترة بحيث شهدنا دعوات في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية بل أن العديد من القيادات الوطنية كانت تحث الباحثين والمختصين في التاريخ للاهتمام بإعادة كتابة التاريخ الوطني وفي المقام الأول إبراز الدور القيادي لرجال الثورة التحريرية [5] .

وفي هذا السياق راح مولود قاسم يؤكد على ضرورة الاعتماد على الوثائق والمراجع الأجنبية وهذا بطريقة انتقائية حيث
يقول [6]:" ... ضرورة جمع الوثائق والمستندات من أجل كتابة تاريخنا من جديد و بعقلنه وبطريقة منهجية ...

[1] - فرحات عباس : ليل الاستعمار ،ص، 58،

[*] - تحولت هذه النزعة من وطنية إلى جهوية فكل ناحية تعظم أبطالها وشهداءها وتاريخها على حساب التاريخ الوطني مما ينمي الثقافة الجهوية

[2] - الزواوي بغورة : المرجع السابق،ص، 155

[3] - يحي بوعزيز : المقابلة السابقة

[4] - المقابلة نفسها

[5] - مولود قاسم : أصالية أم إنفصالية ،،، ص، 274

ولكن فيما يخص تاريخنا بالذات ذلك التاريخ الذي طالما كان موضوع تزوير لابد أن نزيد بعداً آخر إلى العقل والمنهجية والنزاهة العلمية ألا وهو الروح فعلينا أن نكتب تاريخنا بفكر علمي حقاً لكن أيضاً بروحنا تماماً كما تفعل جميع الأمم .

بقي أن نشير في سياق الحديث عن المقوم التاريخي أن مولود قاسم إذا كان موقفه من الأمازيغية قد شابه بعض الغموض فإن موقفه من الحقبة التاريخية الأمازيغية واضحة تمام الوضوح فهو يدعو صراحة إلى الإعتزاز بالبعد التاريخي الأمازيغي في هويتنا خلافاً للكثير من المثقفين والمؤرخين الجزائريين ولعل إصدار مولود قاسم للعدد الأول من مجلة الأصالة [1*] وعلى غلافها صورة الزعيم الأمازيغي يوغرطة (**) عبرة ودلالة عميقة وإجابة صريحة على من أقصى البعد الأمازيغي في تاريخنا (***) .

ويمكن أن نستحضر مواقف الاعتزاز بهذه الفترة في مشاهد كثيرة مثل الكلمة التي افتتح بها الملتقى الرابع للفكر الإسلامي بقسنطينة والتي جاء فيها [4] :"إن ما يزيد من شعوري بهذا الشرف أن ينعقد هذا الملتقى في هذه المدينة العريقة التي كانت العاصمة الثقافية لبلادنا في حقب مختلفة من تاريخنا الطويل ورمز الكفاح والمقاومة للبلاد كلها من عهود ماسينيسا ويوغرطة إلى أحمد باي وابن باديس ." وتحدث عن مآثر الأمازيغ خاصة في عهد الملك يوبا الثاني الذي يعود إليه الفضل في تأسيس أول جامعة كاملة قبل اليونان وفي تأليف أول دائرة معارف وفي وضع أول خريطة للجزيرة العربية كما ذكر أن أول من دون القصة على لسان الحيوان هم الأمازيغ وعن الجزائر أخذها الشرق والغرب [5] .

وأوضح الأسباب التي جعلته يهتم بالبعد الأمازيغي السابق عن الفتح الإسلامي بعد أن تساءل عن سبب ابراز هذا الجانب من تاريخنا حتى قبل الإسلام أجاب بقوله [6] :" لأن جميع الشعوب تهتم بتاريخها القديم لأننا غير مولودين من دون أصل " de generation spontanée " ، لم ننشأ عن جيل تلقائي وتاريخنا لم يبتدئ منذ أربعة عشر قرناً بل يضرب بجذوره إلى الماضي السحيق في غابر الأزمنة في العصر القديم ومن أعرق الأمم ومن أمجد الأمم هذه الأمة التي نحن إنحدرنا منها " .

وأنحى مترجمنا باللائمة على بعض المؤرخين ومنهم جوليان حيث جاء في كتابه تاريخ شمال إفريقيا الفقرة التالية [7] :" إن إفريقيا الشمالية الفرنسية ـــ المغرب ، الجزائر ، تونس ليست لها حالة مدنية مضبوطة " ، كما أنحى

---

* - صدر في مارس 1971

** - أحد ملوك البربر وحفيد مسينيسا ولد عام145 ق م واغتنم فرصة الحرب بين روما وقرطاجنة فثار على الاثنين وأسس إمبراطورية بربرية أقامها على الأصول البربرية البحته في نظام الحكم الجمهوري وبعث الثقافة والقيم البربرية الأصيلة وجعل عاصمتها مدينة سيرتا وامتد حكمه إلى الغرب التونسي وانظم إليه البربر فوحد صفوفهم وقادهم نحو النصر .ينظر تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ، ،، ص 145

*** - يبدو أن مترجمنا تجاوز إعجابه بيوغرطة كل الحدود إلى حد أن سمى نجله الوحيد باسمه في الوقت الذي اغتاظ كثيراً مـــن رئـــيس فرنســـا جيسكار ديستان حينما أطلق اسم يوغراطة على كلبه ، ينظر مولود قاسم : المصدر نفسه : ص، 408.

1 - مولود قاسم : إنية و أصالة ، مرجع سابق ص 102.

2 – المصدر نفسه ، ص 509.

3 – المصدر نفسه ، ص 511.

4 - مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 ج1، ص،11.

أنحى مترجمنا باللائمة على بعض المؤرخين الأشقاء لنكرانهم لتاريخ الجزائر في هذه الفترة وبعد أن تساءل عن الجهة المسؤولة عن هذا الطمس الفظيع للحقيقة أجاب بقوله [1] :" إن أجدادنا أيضاً مسؤولون على أننا لا نقل عنهم مسؤولية "ودعا إلى طرح البعد التاريخي للجزائر بصدق وبموضوعية

ونزاهة إذ يقول [2] :" ... وعلى كل منا أن يكون قدر الإمكان صادقاً صريحاً بدون أن يرجف بأحد ويتركه جريحاً ولا يلوي عنق التاريخ ويذره طريحاً ولا أن يبني للحقيقة قبراً ولا ضريحاً " .

ثم يواصل قائلاً:" نأمل أن يصحح تاريخنا ولا يبقى المزور الشاحب ولا نراعي في الحق الأخ والقريب والصاحب ،وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب ، و إلاّ فكل منا على التاريخ أصبح الباكي الناحب ".

وبعد هذا العرض الموجز وتتبعنا كيف رأى مولود قاسم في المقوم التاريخي أساس بناء الواقع ومستقبل الجزائر نخلص إلى القول أن مولود قاسم من مؤرخي الدولة الوطنية إذ كان يهدف إلى إبراز وجود دولة جزائرية قوية قبل الاحتلال ودولة متماسكة ومنسجمة بعد الاستقلال [3] .

[5] – المصدر نفسه، ص 45.

[2] - مولود قاسم : ردود العقل الأولية داخلاً وخارجاً على غرة نوفمبر،،، ص 250

[3] - عمار بلحسن : المشروعية والتوترات الثقافية الدولة والمجتمع في الجزائر ، مجلة الثقافة عدد2 ، دار الحكمة ، الجزائر أكتــوبر 1993 ،ص، 151

د. الوطن الجزائري :

يعتبر الوطن أيضاً عاملا من عوامل استكمال مقومات الهوية الجزائرية[1] لأن اشتراك أفراد الشعب في العيش داخل الوطن الواحد هو الذي يوحد بين عواطفهم وأفكارهم ومصالحهم وأهدافهم ومن الصعوبة بمكان تصور هوية دولة دون إقليم أو وطن تعيش في كنفه وله حدود جغرافية معلومة [2] .

وإذا كانت كل تعريفات الأنتربولوجيين النفسانيين لمفهوم الوطن الجزائري تدل على أنه كان قائماً ومحددا إذ كانت له حدوده الجغرافية وحكومته وكانت له لغته ودينه وتاريخه المشترك وكان له قبل كل شيء شعور وطني ، إلا أن أي أمة لا تكون واعية بخصائص وجودها إلا بعد أن تتعرض للاعتداء الأجنبي عندها فقط يستيقظ ضميرها الوطني وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله بقوله [3] : " الاعتداء كان عاملاً حاسماً في الحركة الوطنية لا لكون خلقها بل لكونه أيقضها " وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الوطنية الجزائرية كشعور وطني مشترك قد وجد بين الجزائريين منذ قرون ولكن خطر الاحتلال فقط هو الذي صقلها ووضعها في محتواها التاريخي كقوة تصارع من أجل البقاء وهذا ما اعترف به المؤرخ الفرنسي جوليان نفسه في قوله [4] : " أن للجزائريين مشاعر وطنية واتصال بالأرض وأن هذه الروافد لم تتحول إلى ضمير وطني إلا بعد الاحتلال " .

إن الاتجاه الوطني المرتبط بالأرض والأمة عرفته الجزائر منذ القديم وقد كان رائده حمدان خوجة [5] الذي أبت عليه وطنيته إلا أن يطالب بحكومة حرة لبلاده في 1833 [6] وكانت الوطنية بالنسبة له عاطفة الشهامة التي تحركت عندما أصبحت الجزائر تشعر بالاضطهاد من طرف أمة أجنبية [7] .

ويعتبر الأمير عبد القادر أيضاً من الرواد المدافعين عن وجود الوطن الجزائري ورفع شأنه وقد اعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الأمير عبد القادر هو زعيم الوطنية في الجزائر ، وكانت حكومته حكومة وطنية حقيقية ممثلة للشعب الجزائري [8] ويضيف قائلاً أن كل الثورات التي سبقت ثورة الأمير عبد القادر وإن فشلت في طرد المحتل إلا أنها حافظت على الضمير الوطني حياً غير أن ثورة الأمير عبد القادر كان فيها الشعور بالوطنية أكثر عمقاً وهدفاً وأرغم فرنسا على الإعتراف به وبهدفه المحدد وهو دولة جزائرية وطنية [9] .

---

[1] - مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ج2 ، ص 366

[2] - تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ، ص 42

[3] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2،ط4، دار العرب الإسلامي ، بيروت،1992،ص، 67

[4] - المرجع نفسه، ص،71

[5] - إسماعيل زروخي : الدولة في الفكر العربي الحديث ط1 ،دار الفجر للنشر والتوزيع ،القاهرة، 1999 ،ص ،362

[6] - مصطفى الأشرف : الجزائر الأمة والمجتمع، تر ،حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983 ، ص 247

[7] - على المحافظة : الاتجاهات الفكرية والاجتماعية والسياسية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914) الدار الأهلية للنشر والتوزيـــع ، لبنان، 1978، ص، 128

[8] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ج2،ص 48

[9] - المرجع نفسه ص 57

كما كان للأمير خالد أثر واضح في ظهور الوطنية الجزائرية كونه منح وصوله إلى الساحة السياسية للجزائر الوحدة الوطنية التي كانت تنقصها وهو ما استفادت منه الحركة الوطنية التي انصرفت إلى التكوين الثوري والتربية النضالية وطرح المشكل السياسي المتمثل في التحرير الكامل للوطن الجزائري من السيطرة الأجنبية [1] .

ويستشهد مولود قاسم بأهمية الوطن الملازم للشخصية والإنية الجزائرية بما ذهب إليه رائد الحركة الإصلاحية بن باديس الذي رفع شعار الوطنية بشكل صريح في جريدته المنتقد [*] عندما كتب في عددها الأول شعار " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء " وبين في هذا السياق عاطفة حب الجزائريين لوطنهم ودور الوطن في بناء الشخصية الوطنية حيث قال [2] :" إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلاً ونحب

وطننا ونعتبره منها جزءاً ... " ويضيف قائلاً[3] :" إننا نحب من يحب وطننا ويخدمه ونبغض من يبغضه ويظلمه فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائر "والوطن في مفهوم ابن باديس ليس مجرد أرض ومعالم فحسب بل هو تاريخ وحضارة وذكريات وأمال ومصالح [4] فقد كتب في افتتاحية له في جريدة الشهاب تحت عنوان : الرجل المسلم الجزائري " متسائلاً ومجيبا [5] " من هو الجزائري ؟ إنما ننسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل ... والذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون ... والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعه بنية فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه" .

ونظراً لأهمية هذا المقوم - الوطن - في تشكيل الهوية الجزائرية والمحافظة عليها فقد منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر لأبنائها سواء في مدارس التعليم الفرنسي الحكومي أو في مدارس التعليم العربي الحر وكانت بدلاً من ذلك تدرس لهم جغرافية فرنسا بتفصيل وافٍ حتى يعرف الجزائريون كل شيء عن الوطن الفرنسي ويجهلون وطنهم الجزائر وكان ذلك بقصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائري بالولاء إلى الوطن الفرنسي ومن ثم تسهيل عملية سلخهم عن شخصيتهم الوطنية ودمجهم في الكيان الفرنسي [6] ورغم ذلك أفردت مناهج التعليم العربي الحر مكانة خاصة لتربية النشء على حب الوطن والاعتزاز به والتضحية من أجله فكانت كتب الجغرافيا المقررة [*] مكتوب على غلافها الخارجي الشعار الذي يلخص مقومات الشخصية الجزائرية وهو " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا " وهو الشعار الذي رفعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتبعتها في ذلك الكثير من فصائل الحركة الوطنية [**] والذي يبين حرص جمعية العلماء المسلمين على تحرير الوطن

---

1 - عبد القادر جغلول : الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ط1 ،دار الحداثة للتوزيع والنشر، بيروت،1984، ص ص209 ، 210

* - ظهر العدد الأول منها في يوم 02 جويلية 1925 بقسنطينة وكانت تصدر صبيحة الخميس من كل أسبوع توقفت بعد صدور 18 عدد منها وذلك يوم 29 أكتوبر 1925

3 - عبد الحميد بن باديس : جريدة المنتقد عدد1 قسنطينة 02 جويلية 1925،ص1

4 - علي مرحوم : نظرة على تاريخ الصحافة العربية ،مجلة الثقافة ،عدد 24 فبراير مارس 1978 ،ص ص، 24,25

5 - الشهاب ، قسنطينة جمادى الثانية 1348 هـ نوفمبر 1929 ج10 م 05 ص 11

6 - تركي رابح : المرجع السابق، ص 58

** - مثل كتاب جغرافية القطر الجزائري للأستاذ أحمد توفيق المدني الذي صدر بالجزائر في طبعته الأولى سنة 1947

ولكن ذلك يتطلب قبل كل شيء النجاح الكامل في خلق المناخ الأيديولوجي وتهيئة العقول والنفوس هذا هو المعنى الموضوعي الذي يجب أن يعطي لكلمة الشعار الأول " الإسلام ديننا " مع إحياء اللغة العربية التي هي عنصر أساسي في الشخصية الوطنية وهذا هو التفسير الذي يمكن أن يعطي لمفهوم الشعار الثاني " العربية لغتنا " ومن ثمة الكفاح من أجل الاستقلال الوطني [1] وهو ما يعني ارتباط مفهوم الوطن الجزائري بالدين الإسلامي خصوصاً وأنه كان - الإسلام - مصدر قوة وإلهام للتحرر و الانعتاق من الظلم الاستعماري وكان بذلك المحرك الروحي للوطنية الجزائرية ([2]) وهو ما يؤكد مترجمنا عندما يقول [3] : " لقد أدى الإسلام دوراً ثورياً حاسماً في إنهاء الوضع الاستعماري في الجزائر برغم كثافة هذا الاستعمار

وعمق تغلغله إذ كان المحرك الأوحد لتأكيد الوطنية الجزائرية في مواجهة محاولات إبادة الأمة الجزائرية "وهنا يبين مولود قاسم دور الدين في بلورة الشعور الوطني انطلاقاً من فكرة أن الدين الإسلامي كان عاملاً حاسماً في الثورة ضد الاستعمار فبالإسلام احتمى الجزائريون من محاولات المسخ والإدماج وبه قاوموا الاستعمار منذ الأمير عبد القادر وباسمه قام الكفاح الثوري السياسي والإصلاحي في الجزائر .

الذي حفظ للشعب الجزائري وحدته الوطنية عبر القرون [4] ويسانده في ذلك الدكتور عبد الله شريط الذي يقول [5] :" إن الوطنية بدون دين أو عقيدة دينية تنظم حياة الشعب هي وطنية عاجزة فقدت أبعادها الحضارية ، وإن الدين الذي لا يخدم الشعب بالتربية هو دين محكوم بالانعزال " .

وفي هذا الصدد نجد مولود قاسم يردد أراء فيخته الذي يقول في حب الوطن مايلي [6] :" فكما أن الدين هو العنصر العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا ... فإن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين " ثم يتساءل فيخته من هو الوطني ؟ ويجيب ([7]) " إن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته التي هو عضو منها ، إن الوطن خالد ، هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه وأن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن و أنى لأرثي كل الرثاء لمن لا وطن له " .

والمتمعن لفحوى الخطاب يصل إلى فكرة مفادها أن الوطنية لا تعني الدفاع عن الوطن فقط إذا كان خاضعاً للسيطرة الأجنبية بل إنها شعور ينتاب الفرد ويتجلى في حب الوطن وتحريره من الفقر والجهل والاستغلال [8].بمعنى آخر إن تحرير الوطن من الاحتلال والسيطرة ليس هو كل ما يربط الفرد بوطنه ليجعل منه وطنياً أم العكس العكس بل إن ما يربط الإنسان بالوطن يتجدد ويتكيف وفق ما يكون عليه الوطن وشعبه فيتحول بذلك حب الوطن من دفع العدو عنه إلى المساهمة في بنائه وتشييده خصوصاً إذا كان الشعب يخوض هذه المعركة التي تعتبر من

[1] - عبد الكريم بوالصفصاف ، المرجع السابق ص 306

[2] - المرجع نفسه ، ص 307

[3]- CH.R. AGERON ,histoire de L'Agerie contemporaine,, ,p, 333

[4] - مولود قاسم المصدر نفسه ، ص ص، 104 ، 105

[5] - عبد الله شريط : مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص، 114

[6] - مولود قاسم : أنية وأصالة ، ص 62

[7] - المصدر نفسه، ص، 63

[8] - عبد الكريم غلاب : أزمة المفاهيم وإنحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1998، ص ص، 58، 59

أقدس المعارك ، معركة لا يفوقها في التحول إلا هذه التي عاشها أثناء حرب التحرير ، فهي معركة شاملة هدفها الأسمى تكوين الإنسان الجزائري وإيجاد ظروف اجتماعية مواتية لتطوره وتقدمه وهو ما يضمن الخلود للوطن والوطنية بهذا المفهوم تعني أن يرعى المواطن مسيرة الوطن وهو يتحرك نحو التنمية الاقتصادية والديمقراطية والمطلوب هو هضم المفهوم الجديد للوطنية الذي يرتكز في النطاق المحلي على عنصر الجماهير ومصلحتها التنموية وفي النطاق الدولي على مقاومة المصالح الأجنبية [1].

وهكذا نرى أن مولود قاسم كان يضع التشكيلة الجامعة لعناصر الآنية الجزائرية تتمحور حول بعد أساسي ومهم في هذه الآنية وهو عنصر الدين الذي هو الإسمنت الذي يمزج ويجمع كل الأبعاد الأخرى وهو العنصر المشترك الذي يبدأ منه التوحد والالتحام وفي ذلك يقول أبو القاسم سعد الله [2] " رغم أن مولود قاسم عميق التأثر بالفكر القومي القومي الألماني القائم على اللغة في المقام الأول إلا أننا نجده يربط بين اللغة والدين عند الحديث عن الإنية الجزائرية" وهو ما يؤكده الدكتور محمد العربي ولد خليفة في قوله [3] :" كان مثله ونبراسه الأول عند الحديث عن الأصالة والهوية الشيخ عبد الحميد بن باديس الصنهاجي الأمازيغي والرمز القرآني الذي لا يهادن كلما تعلق الأمر بمسألة الهوية وكانت مواقف بن باديس في هذا المجال الإنتمائي مرجعاً لمولود قاسم ولنظرته فيما يخص الهوية ." وهو الموقف الذي لخصه الأستاذ سعيد آيت مسعودان ـــ الوزير الأسبق ـــ عندما يقول [4] :" كان للمرحوم ـــ ـــ وكنت أشاطره ـــ مفهوم باديسي للهوية ، وكان بدون عقدة وفياً للأصالة الأمازيغية للشعب الجزائري بكامله كما كان وفياً لكل ما يربطنا لغة وديناً وانتماء بالحضارة الإسلامية ... كان يعتز وهو على حق بالدور العظيم والباع الطويل الذي أسهم به هذا الشعب في تشييد تلك الحضارة بأبطاله وعلمائه من أمثال طارق بن زياد وعبد الحميد بن باديس كما كان يفخر بيوغرطة وتاكفاريناس والأمير عبد القادر وفاطمة نسومر " .

ويتجسد الطرح الباديسي في نظرة مولود قاسم للآنية فيما يخص العلاقة بين الأمازيغية والعربية المبنية على أساس الرابطة الدينية الاسلامية فقد ذكر العلامة بن باديس في إحدى مقالاته التي وقعهـــا بإسم عبد الحميد الصنهاجي (وصنهاجة قبيلة أمازيغية مشهورة) عن العرب والأمازيغ وذلك سنة 1939 بعنوان " ما جمعته يد الله لاتفرقه يد الشيطان([5]) ما يلي :" إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام" وصفوه القول أن سليل زواوة عرف أن فرنسا الكولونيالية استخدمت وسائل القهر والإخضاع إلى جانب حيل الخداع والاستهواء لتقسيم المجتمع الجزائري وزرع بذور الفتنة بين الجزائريين للسيطرة عليهم والقيام بدور الوصي الأبدي فلم يكن في المنطقة قبل عدوانهم على بلادنا سنة 1830 قبائل صغرى وكبرى و لا وجود للتمايز بسبب اللغة أو العرق فالإسلام كان ولا يزال جامعهم الأول واللغة العربية لسان ثقافتهم المشتركة.

---

[1] - محمد مصايف : في الثورة والتعريب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981 ،ص، 42

[2] - أبو القاسم سعد الله ، مقابلة سابقة

[3] - محمد العربي ولد خليفة ، مقابلة سابقة

[4] - سعيد آيت مسعودان عن الدكتور أحمد بن نعمان : مولود قاسم نايت بلقاسم ، حياة وآثار ، شهادات ومواقف،،،ص ص ، 211 ، 212

[5] - عبد الحميد بن باديس : مجلة الشهاب ، المجلد 11 ج11 ، قسنطينة فيفري 1939، ص، 605

{ الخاتمـــــــــــــة }

كانت فترة ظهور مولود قاسم على الساحة الوطنية فترة الوطنية والقومية حيث كان عقـد الاربعنيـات أكثـر العقـود حسـماً في تارخ الجزائر .

ـــ إنخرط في سن مبكرة في مدرسة الحركة الوطنية وفصيليها الأكثر تجذراً في عمـق الشـعب وهمـا حـزب الشـعب وجمعيـة العلماء المسلمين الجزائريين حيث تعلم فيهما فضائل الإنضباط والنظام والدفاع عـن مبـدأ الهويـة الجزائريـة المتشـبعة بالثقافـة الإسلامية ، وفي فصول هاتين المدرستين نضجت شخصية مولود قاسم وكانـت فتـرة الأربعينـات فتـرة نضـاله الأول حيـث ظهرت مواهبه وتجربته النضالية التي لابست تكوينه المعرفي بالجامع العتيـق الزيتونـة وحينـها كانـت قراءاتـه الأولى لكتابـات أحمد توفيق المدني والشيخ مبارك الميلي وهناك أيضاً كان تـأثره الكـبير بـالمؤرخ التونسـي عثمـان الكعـاك الـذي كانـت دروسه وكتاباته عن الجزائر هي من دفعت مولود قاسم إلى الاهتمام بالتاريخ .
وإلى جانب نشاطه العلمي كان يتمرن على الخطابة ، السياسية ويشارك بالكتابـة في جريـدة المغـرب العـربي الناطقـه بإسـم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية والتي نشر بها العديد من المقالات الـتي تنـدد بالإسـتعمار والاسـتبداد ونعتقـد أن هـذه التجربة السياسية الصحفية التي خاضها في تونس قارئاً ومساهماً بكتاباته الجريئة هي التي جعلتـه أكثـر مـن مـرة وجهـاً لوجـه أمام الإدارة الاستعمارية وأوصلته إلى السجن في صائفة 1948 .

وبعد تونس الخضراء كان أرض الكنانة مصر العربية المحطة الثانية في مسيره مولـود قاسـم حيـث انتقـل إلى جامعـة القـاهرة وانتسب إلى قسم الفلسفة ليقضي هناك أربع سنوات أعتبرت بحـق فتـرة المخـاض بالنسـبة إليـه حيـث توسـعت أفكـاره ومعارفه وتفتحت آفاقه على قضايا الجزائر والعالم العربي وأيضاً الفكر الانسـاني المتشـبع بقـيم الحريـة والتحـرر وقـد كـان لأساتذته الأثر الكبير في توجيه فكره في تلك المرحلة أمثال عبد الواحد وافي وعثمان أمين هـذا الأخـير الـذي اعتـرف مولـود قاسم بأنه مثله الأعلى في الحماس والفضول وحل اللغة العربية ومن مؤلفه المشـهور " الجوانيـة " أخـذ مترجمنـا فكـرة الإنيـة والأصالة التي ظلت المحور الأساسي لفكر مولود قاسم .

والحقيقة أن الفلسفة عند مولود قاسم ماهي إلا غلاف شـفاف للسياسـة والتـاريخ ولعـل ذلـك راجـع بالدرجـة الأولى إلى دراساته الفلسفية المتعددة في الفلسفة والتاريخ الألمانيين كما تمثلا له في مؤلفات الواد الأمـان أمثـال كـانط وهيغـل وفيختـه وشوبنهاور وكان بدوره يبحث عن مواقف هذه الشخصيات التاريخية ليوظفها هـو في الـدفاع عـن الـوطن والـدين واللغـة والتراث والحضارة .

كانت الثورة المباركة ساحة نضاله الثانية حيث تجند في صفوفها منذ الأيام الأولى وكـان في مقدمـة النخبـة الـتي كافحـت في مقاعد الدراسة ومدرجات الجامعة ليغادرها إلى مواقـع أخـرى علـى جبهـة القتـال ليتحمـل مسـؤولية التعريـف بـالثورة وبقضيتها العادلة في ألمانيا ثم أقصى الأرض الإسكندنافية وما أن انتهت حرب التحريـر حـتى تـبين أن مولـود قاسـم المناضـل في صفوف الثورة هو أيضاً رجل دولة ومسؤول تولى مناصب هامـة في هـرم السـلطة لعـل أبرزهـا وزيـر التعلـيم الأصـلي والشؤون الدينية ومستشار بالرئاسة لأكثر من عشرين عاماً في عهـدي بومـدين والشـاذلي وحـاول بمـا يملـك مـن إرادة أن يوجه القيادة إتجاهاً إسلامياً عربياً وطنياً .

ومن خلال تتبعنا لمسيرة مولود قاسم في الحركة الوطنية والدولة الوطنية ودراستنا لفكر هذا الرجل وموقفه من الهوية تمكنا من إستخلاص النتائج التالية :

أولاً : دور مولود قاسم لم ينحصر في مجال الدولة الوطنية بل أرفقه بدور المثقف الحامل لمشروع المجتمع الهادف إلى تحسين الواقع الاجتماعي والثقافي محاولاً إبراز ذلك من خلال إحياء التعليم الأصلي ذي التقاليد العريقة في الجزائر الزوايا معقل المقاومة والحصن المنيع للقرآن والعربية لأكثر من مائة عام بعد الإحتلال وإلى اليوم ، إلى جانب ملتقيات الفكر الاسلامي التي ربطت الجزائر بالعالم العربي والإسلامي وحولتها - أي الجزائر - إلى مركز الاشعاع الروحي والعلمي على مستوى العالم الاسلامي ، إضافة إلى مجلة الأصالة التي كانت منبراً لتنافس الأراء والإجتهادات من الجزائر ومن شتى أنحاء العالم لتكشف جانباً من التوجهات العامة للفكر والثقافة في جزائر السبعينات .

ثانياً : إستطاع مولود قاسم بحنكة أي يوسع دائرة النشاط الثقافي من المستوى النخبوي إلى المستوى الشعبي الجماهيري من خلال ملتقيات الفكر الإسلامي التي بث فيها روحاً جديدة تتماشى والوسائل الحديثة في إبراز العمل الثقافي الفكري بهدف توسيع الإستفادة من عصارة الفكر المطروح في هذه الندوات كما نجح مولود قاسم في توسيع النشاط الثقافي من المستوى المثقف إلى المستوى السياسي وذلك بحضور شخصيات رسمية محاضرة وهو ماشرع فيه إبتداءا من ملتقى الفكر الإسلامي الخامس بتلمسان 1971 وهو مايبين إعجاب وقناعة في ترجمة المستوى الذي إرتقت إليه هذه الملتقيات من حيث جديتها في طرح الأفكار الجديدة في الجزائر المستقلة وهو ماجعل من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية منارة للفكر الحديث الوضعي منه والديني .

ثالثاً : لاتزال إشكالية المثقف الجزائري حول الهوية الثقافية تثار حتى اليوم نتيجة إنقسام الحقل الثقافي إلى تيارين رئيسين المثقفين ثقافة عربية إسلامية والمثقفين ثقافة فرنسية وهي ثنائية فكرية أوجدت صراعاً حول اسبقية ترسيخ أبعاد الهوية الثقافية للدولة الجزائرية ، هذا الصراع دفع بالسلطة إلى ايجاد حلول وسيطة توفيقية ممثلة في البحث عن شخصيات مثقفة ومتفتحة على الثقافتين العربية الإسلامية والفرنسية الغربية وهو مايطلق عليهم بالمثقف الرسمي ونجد منصب وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية وبذلك كان دوره تحقيق التوازن والانسجام بين مختلف المواقف داخل الحزب الواحد .

رابعاً : نجاح مولود قاسم في احتلال هذه المكانة في الجهاز الإيديولوجي للدولة كان بفضل رصيده التاريخي المتمثل في نضاله في الحركة الوطنية إضافة إلى مسار تكوينه المتميز فهو أمازيغي الأصل خريج مدارس مشرقية تمرس على ثقافة الغرب ومدينته كل ذلك جعل منه نقطة توافق بين مختلف تيارات الحقل الثقافي وفي نفس الوقت قدرته على مواجهة التيار الفرونكفوني المضاد للتعريب .

خامساً : حاول مولود قاسم في كل مرة أن يحتل موقع الوسط بين المثقفين المعربين والمفرنسين من خلال تبني الطرح الرسمي الذي حدده في الاسلام كدين للدولة واللغة العربية لغة وطنية رسمية والوطن الجزائري العريق وهو ماعبرت عنه المواثيق الرسمية مثل برنامج طرابلس 1962 وميثاق الجزائر 1964 والميثاق الوطني 1976 .

سادساً : في مسألة الهوية يستعمل مولود قاسم مصطلح الإنية الذي انتقاه من الفيلسوف المسلم أبي علي بن سينا في كتابه " التنبيهات والإشارات " لذلك يعتبر مصطلح الإنية مصطلحاً إسلامياً أصيلا بدل مصطلح الهوية الذي يراه مصطلحاً غربياً ودخيلاً عن التراث والثقافة العربية الإسلامية إستعمله المعربون عندنا نقلاً عن المشارقة الذين نقلوه بدورهم عن الغرب بعد ترجمته ويعتبر مولود قاسم أن الكوجيتو الديكارتي ونظريات الفيلسوف الألماني فيخته ماهي إلا نقلاً عن ابن سينا لذلك لم يمانع من الجمع بين التراث الاسلامي (ابن سينا) والفلسفة الغربية الحديثة خصوصاً الألمانية (فيخته وشوبنهاور) ومن هذه الثنائية إستمد مفهومه للإنية وجعلها على أربع عناصر متكاملة هي الدين واللغة والتاريخ والوطن .

سابعاً : يتميز مولود قاسم في موقفه عن الهوية الثقافية من حيث مكوناهما وترتيبها عن موقف المثقفين المشكلين للحقل الثقافي الجزائري ، فالمقوم الديني يتقدم غيره من المقومات وبذلك يحتل محوراً مركزياً في تصوره للهوية الجزائرية ومن خلاله حاول إضفاء الشرعية الدينية على الجهاز الإيديولوجي والنظام الاقتصادي السائدين وبالتالي مسايرة الطرح الرسمي في تعايش الإشتراكية والإسلام ، وتأتي اللغة العربية في المركز الثاني فهي في نظره سجل التراث الحضاري للشعوب الإسلامية باختلاف لغاتها ولهجاتها ، ورغم أنه شديد التأثر بالقومية الألمانية التي تعتمد على اللغة في المقام الأول إلا أن مولود قاسم يربط دائماً اللغة العربية بالدين الإسلامي وهي بعد العقيدة الرابطة التي تجمع وتوحد الجزائريين وترجع علاقة مترجمنا بلغة الضاد إلى إداركه في سن مبكرة للرصيدين التاريخي والشعبي للعربية في الجزائر فشد إليها الرحال إلى تونس والقاهرة وأصبح فيما بعد عضواً في مجمعها بالقاهرة والمؤسس الأول لمجمعها في الجزائر ، أما المقوم التاريخي فيرجع به إلى الأصول والجذور دون التوقف عند مرحلة حاسمة وفاصلة من تاريخ الجزائر وهو الفتح الإسلامي لذلك راح يبحث في التاريخ القديم لإستحضار أمجاد يوغرطه وماسينيسا وحتى القديس أوغسطين لتحقيق العِّز التاريخي بين الشعوب والدفاع عن الإستمرارية التاريخية للدولة والمجتمع الجزائري عبر القرون بلا إنقطاع ولاقطيعه مع أية مرحلة ، أما مقوم الوطن فيراه مولود قاسم ملازماً لمقوم الدين الإسلامي الذي حفظ للشعب الجزائري وحدته الوطنية عبر العصور .

ثامناً : لم يكن وراء دفاع مولود قاسم على اللغة العربية إنغلاق فكري أو تعصب مذهبي فمن المعروف أن الرجل متعدد الألسن وشغوف بالإطلاع على الثقافات التي تحملها اللغات الأخرى لما فيها اللغة الأمازيغية التي يعتبرها مترجمنا من كبريات اللغات في العالم ، إلا أنه لم يضعها في مرتبة واحدة مع العربية بل وضع اللغة العربية في الريادة وليس هناك من تضاد بين اللغتين مادامت الجزائر تتسع للغتين معاً .

تاسعاً : جمع مولود قاسم في مقارباته الفكرية وخطابه السياسي بين التعلق بالإنية والأصالة وضرورة التطور والتفتح على مايجري في العالم وبذلك حاول التوفيق بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافة الثورية التطورية التي تبنتها النخبة المفرنسة وبذلك يكون مولود قاسم قد أعطى الأصالة مفهوماً متحركا أو ديناميكيا فالسكوت في رأيه موت وفناء والتفتح يبدأ من الأصالة ويعود إليها ليثريها إنها كما كان يقول : أن يكون الإنسان إبن عصره ، مع البقاء على أديم مِصْرِه ، ودون أن يصبح نسخة غيره .

وبإختصار فمن الطبيعي أن يكون لشخصية مولود قاسم أنصار ومعجبون كثيرون إلى جانب معارضين ومناهضين لمنهجه ومقولاته فقد عاش الرجل ليفكر ويمارس تفكيره في حياته العملية التي كانت عبارة عن جدل بين مثالية يتوق إليها وواقعية تتطلب نقد الذات والآخر وتجديد الحاضر بالإرادة والهمة لتخليص شعبنا من التركة الكولونيالية الثقيلة في

الأذهان والسلوكات وهنا نشير إلى أننا لا نستطيع تناول كل محطات البناء الفكـــري لمولـــود قاســـم ، ففكـــر هـــذه الشخصـــية لايزال فكراً خصباً غير مدوس وهو مايبقى على العديد من التساؤلات والإســـتفهامات حـــول العديـــد مـــن القضـــايا الفكريـــة التي ستكون مواضيع الباحثين الجامعيين والنقاد الأدبيين في المستقبل .